



وقائع محجوت مؤتمراً فتاوى الدفاع المقدسة
العدي الذي للعلامة الخميني

تحت إشراف

المجمعين الذين حضروا من الإسلاميين

وغيرهم

فتاوى الدفاع المقدسة بين الماضي والحاضر
تشابه الأهداف واختلاف الأساليب

مصحح الطائفة سماحة السيد السيستاني
وسماحة الميرزا أبي القاسم القمي



العنوان: (وقائع بحوث مؤتمر فتاوى الدفاع المقدسة
العلمي الدولي الخامس)

النّاشر: جمعية العميد العلمية والفكرية - قسم النشر
الإشراف العام: السيد عقيل عبد الحسين الياسري
أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

المتابعة والتنفيذ: م.م. ضياء محمد حسن

الادارة الفنية: م.م. علي رزاق خضير

الإخراج الطباعي: احمد هاشم الحلو

عدد النسخ: ٢٥٠

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

العتبة العباسية المقدسة، مؤتمر فتاوى الدفاع المقدسة العلمي الدولي الخامس : 2024 : كربلاء، العراق، مؤلف.

وقائع وبعوث مؤتمر فتاوى الدفاع المقدسة العلمي الدولي الخامس : تحت شعار المرجعية الدينية حصن الأمة الإسلامية : وبعنوان فتاوى الدفاع المقدسة بين الماضي والحاضر نفاذه الاهداف واختلف الاساليب : مرجع الطائفة سعادة السيد السيستاني دام ضله الوارف وسماحة الميرزا ابي القاسم العمي قدس سره-الطبعة الاولى-كربلاء، العراق : جمعية العميد العلمية والفكرية، قسم النشر، 1446 هـ - 2025.

مجلد : 24 سم

يتضمن إرجاعات بليوجرافية.

النص باللغة العربية : ومستخلصات باللغة العربية والانجليزية.

ISBN : 9789922680989

1. الحسيني السيستاني، علي، 1349 هجري--فتاوى--مؤتمرات. 2. داعش (منظمة إرهابية)--العراق--القرن 21-مؤتمرات. 3. الفتاوى الشرعية (فقه جعفري)--مؤتمرات. 4. الجهاد في الاسلام (شيعة)--مؤتمرات. 5. العنوان.

LCC: KBP494.76.567 A39 2025

مركز المهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
المهرسة أثناء النشر



٢٦٩/٦٣

م ٦٨٨ مؤتمر فتاوى الدفاع المقدسة العلمي الدولي (٥ : ٢٠٢٥ :
كربلاء)

وقائع بحوث مؤتمر فتاوى الدفاع المقدسة العلمي
الدولي الخامس / المؤتمر - ط١ - . كربلاء :
جمعية العميد العلمية ، ٢٠٢٥ .
٣٥٢ ص ؛ ٢٤ سم .
١ . الفتاوى الشرعية - مؤتمرات . ٢ . العنوان .
بيت النبي.

رقم الايداع

٢٠٢٥ /٥٧١

المكتبة الوطنية / المهرسة أثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٥٧١) لسنة ٢٠٢٥

المكتبة الوطنية/ المهرسة أثناء النشر

ISBN: 978-9922-680-98-9



المحتويات

الشيخ عليّ سعدون الغزّيّ	فتوى الدفاع بين القمّي والسيستانيّ الموضوع والمعالجات والخلفيات الفقهيّة	١٢
أ.د. نجم عبدالله غالي الموسوي	دور فتوى الدفاع الكفائيّ في التحفيز النفسيّ للمجتمع العراقيّ من وجهة نظر طلبة الجامعات	٤٠
الدكتور الشيخ عماد موسى الكاظمي	الآثار الإنسانية لتعاليم الشريعة الإسلاميّة المقدّسة - قراءة موجزة في نصائح وتوجيهات المرجعيّة الدينيّة للمقاتلين -	٧٦
أ.د. جميل خليل نعمة المعلّة	القيم الأخلاقيّة في التعايش والتسامح مع الآخر في وصايا السيد السيستانيّ وأثر ذلك في الحفاظ على النسيج الوطنيّ	١١٤
م.د. حيدر ناجي طاهر	أثر المصدر الدينيّ في مبادئ القانون الدوليّ العامّ (أثر) فتاوى المراجع الدينيّة في مبدأ الدفاع الشرعيّ - أنموذجا	١٥٠
م.د. حيدر عواد رفيج	قراءة إستمولوجيّة لسانیّة في مفهوم الجهاد وتمثلاته «فتوى السيد عليّ السيستانيّ اختياراً»	١٦٨
د. عبد الخالق كاظم إبراهيم	السيد السيستانيّ وأثره على المشاركة السياسيّة في العراق بعد عام ٢٠٠٣ م	٢٠٢

٢٣٢ فتوى الجهاد الكفائي وقبول الآخر في فكر المرجعية الدينية
قراءة في الأبعاد والأهمية
الشيخ أحمد ذجر طلاب الجابري

٢٥٨ وصايا السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف) في مرحلة الجهاد
الدفاعي دراسة تحليلية في المنهج الإسلامي الحنيف
الشيخ نبيل سرحان كاظم الحسناوي

٢٩٦ أثر القيم الأخلاقية في صناعة الإنسان والحفاظ على
الوطن
الباحثة ضياء علي عياد

٣٢٢ خُطبُ الجمعة السياسية للمرجعية الدينية العليا
لعام ٢٠٠٥ م - دراسة في ضوء تحليل الخطاب -
م.م. زهراء سالم جبار

كلمة الجمعة

الحمد لله الذي شرع الإسلام فَسَهَّلَ شَرَاغَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَابَهُ، فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسَلِيمًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَنُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْ مَنْ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ الْأَمِينِ عَلَى وَحْيِهِ وَعَزَائِمِ أَمْرِهِ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا اسْتَقْبَلَ، وَالْمَهْيِمِينَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ، ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، الْأَثَمَةِ مِنْ بَعْدِهِ، الْمُطَهَّرِينَ الَّذِينَ ارْتَضَاهُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا لِدِينِهِ، وَشُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَعْلَامًا لِعِبَادِهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

المرجعية الدينية تعني بمفهومها العام رجوع المسلمين إلى مصدرٍ تشريعيٍّ مؤهَّلٍ يرشدهم إلى السلوك العباديِّ السليم مع تنظيم حياتهم ومعاشهم، وأبسط ما يمكن الاستدلال على هذا الإجراء القاعدة العقلية التي تنصُّ على وجوب رجوع الجاهل إلى العالم المتخصِّص؛ ابتغاءً لتقويم المسار وتصحيح السلوك، وضبط الأداء الدينيِّ، وهذا الإجراء ليس بالجديد على الواقع الإسلاميِّ؛ إذ كان المرجع للإسلام في عهده الأوَّل رسول الله ﷺ، وبعده كان للمسلمين طرائق في الرجوع إلى مرجعيَّاتهم، وقد اختصَّ شيعة أهل البيت (عليهم السلام) بالرجوع إلى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تمسُّكًا بالتنصيب الإلهيِّ والتبليغ النبويِّ، فكانوا يعتصمون بهم، ويأخذون الدين عنهم، ويتولَّوهم إمامًا بعد إمام إلى أن وصل الأمر إلى الإمام الثاني عشر المهديِّ المنتظر (عليه السلام)، فكان التقدير الإلهيُّ أن يغيب ذلك الإمام، وهنا لا بدَّ من تهيئةٍ للأئمة التي اعتادت على القيادة المباشرة للمعصوم، فكانت الغيبة الصغرى التي نصَّب فيها الإمام المهديُّ نوابًا ووكلاء عنه بالتنصيب المباشر، وهذه المرحلة سُمِّيت بالغيبة الصغرى؛ لأنَّ المؤمنين كانوا يتواصلون مع الإمام (عليه السلام) بواسطة الوكلاء، ومن هنا بدأ التاريخ الفعليُّ للمرجعيةِ الدينيَّةِ بوصفها النيابيِّ عن المعصوم، ثمَّ تلت هذه المرحلة الغيبة الكبرى المستمرَّة إلى اليوم، وفيها أُرِجِعَ الإمام المهديُّ (عليه السلام) المؤمنين بالتوكيل العامِّ إلى رواة الحديث، وأعطى جملةً من الأوصاف لمن يتصدَّى لهذا المقام الرفيع، واستمرَّ المؤمنون من شيعة أهل البيت (عليهم السلام) بالالتزام بهذا الأمر، فكانوا ينصاعون إلى قيادة وكيل الإمام المعصوم العامِّ وطاعته، ولا يجوزون الخروج عن أمره ما دامت حجَّته لازمة.

وهذا النهج ميّزهم عن باقي المسلمين، ومنحهم قوّة وثباتاً حفظ لهم وجودهم واستمرارهم؛ بل وانتشارهم وامتداد منهجهم حتّى خارج مساحة التأثير عندهم، على الرغم من شدّة الظروف عليهم وتواتر التضييق والظلم فيهم على امتداد المعمورة وتقادم الأزمان؛ ولكن محوريّة القيادة متمثّلة بالمرجعيّة الدنيّة حفظت وجودهم، وجعلتهم نهجاً واحداً بلا تشطّي أو تفرّق أو انقسامات متضادّة، وكذلك حفظتهم بالمجمل العامّ من بروز التيارات المنحرفة في داخل الخطّ الشيعي، وإن ظهرت فسرعان ما تلاشى وتضمحل؛ لأنّ القيادة مركزيّة والقرار محوري؛ ولذلك يصعب الاختراق وبناء الضدّ النوعي.

وهكذا استمرّت المرجعيّة في قيادة الأئمة منذ الغيبة الصغرى وإلى اليوم، وهي ممتدّة إلى أن يأذن الله تعالى بظهور المهدي المنتظر ﷺ، وعمرها الآن يتجاوز الألف عام، وهذا الامتداد القيادي والطول الزمنيّ أورثها زخماً معرفيّاً وخبرةً واسعة النطاق، وقدرةً فائقة على إدارة الأزمات والتفاعل مع الأحداث، والتمكّن التامّ من حفظ أبناعها وضمان حقوقهم، فكانت قادرةً بتأييد الله تعالى على تشخيص المصلحة واتّخاذ القرار في أشدّ الظروف نكايّة، وقد مرّت بنا حوادث شتّى في الماضي والحاضر، وكانت فيها المرجعيّة الركن المتين والعروة الوثقى في حفظ النفوس والحقوق ومجابهة الظالمين وتوحيد الصفوف، ولم يقتصر ظلّها وبركتها وخيرها على الشيعة فقط؛ وإنّما امتدّ لعموم المسلمين جميعاً؛ بل للآخر على اختلاف نهجه ومشارب وعيه وانتماءاته؛ لتكون المرجعيّة ركناً أساساً في تشكيل الهويّة الثقافيّة والاجتماعيّة للمجتمع برمته، وقد تميّز خطابها بالحكمة والتوازن والتركيز على تعزيز الوحدة، وترسيخ القيم الأخلاقيّة والدينيّة، والوقوف على مسافةٍ واحدةٍ من كلّ الأطراف المشاركة في المجتمع الواحد؛ ليكون ذلك منطلقاً لبناء مجتمع متماسك، تسوده مبادئ التسامح، والتعايش السلمي بين الطوائف والمذاهب المختلفة، ونبذ الكراهيّة والتفرقة، واحترام التنوّع الثقافي والديني في البلاد، ثمّ التأكيد على احترام سيادة القانون والمؤسّسات الحكوميّة، وحلّ النزاعات بطرقٍ سلميّةٍ وحضاريّة، والتشجيع على تعزيز روح التكافل بغضّ النظر عن الانتماءات الدينيّة أو العرقيّة.

ولو راجعنا الأحداث في الوقت الحاضر - ولاسيما في العراق - فسنجد للمرجعية الكلمة الفصل في جملتها، وكلما اشتد الأمر وبلغ حدّ اليأس من النجاة وساد الصمت من الجميع خرجت خارطة الحلّ من المرجعية؛ لتثبت في كلّ حين أنّها القلب النابض والعقل السليم في قيادة الأمة الإسلامية، ومن أهمّ المعتركات في العصر الحاضر خطر الإرهاب متمثلاً بالتنظيمات الإرهابية، التي استطاع العدو أن يخلق منها ضداً نوعياً بالاعتماد على جملة من المقولات لفرق دينية منحرفة، مدّعية للإسلام من خارج منظومة أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، وهنا كانت المرجعية الصام الأمان، والحصن المنيع في مواجهة هذا الخطر الذي هدّد الوجود العراقيّ بأمنه ووحدته، وما حوله من البلدان الإسلامية، لتكون فتوى «الدّفاع الكفائي» التي أطلقتها عام ٢٠١٤ لمواجهة تنظيم «داعش»، ولم تكن هذه الفتوى موجّهة لخصوص فئةٍ معيّنة؛ بل كانت لعموم العراقيين بمذاهبهم وطوائفهم وقومياتهم كافة، لأنّ يهبوا في الدّفاع عن دينهم ومقدّساتهم، وعرضهم وأرضهم، وقد استجاب لها الجمع الأكبر، وكانت النتيجة إرجاع الكفّة باتجاه الإسلام الأصيل فطردت تلك التنظيمات بعد معارك ضارية امتدّت لمساحاتٍ واسعة من العراق، فتحرّرت البلاد وحُفِظت الأعراس، وأُرجعت الأرض إلى أصحابها على الرّغم من الاختلاف الدّيني والقوميّ لأغلب البلدان التي سيطرت عليها التنظيمات الإرهابية، فأثبتت المرجعية مرّةً أخرى أبوّتها ورعايتها للجميع بلا تمييز، مثبتةً بذلك القيادة الإسلامية الأصيلة التي لا تقبل بظلم رعاياها حتّى لو كانوا على أديانٍ أخرى، ومشارب فكريّة مختلفة.

ولم يكن دور مرجعيّتنا متمثلاً بسماحة المرجع الأعلى آية الله العظمى السيّد عليّ الحسيني السيستانيّ (أدام الله ظلّه الوارف على المسلمين) بدعاً عمّا سبق من دور مرجعيّ لهذا الخطّ المبارك في مواجهة الظالمين والانتصار إلى الحقّ وكرامة الإنسان، فقد سبق ذلك مسار طويل من المواجهة بين الحقّ والباطل، ومن أجل استقرار ذلك ومقاربتة مع الحاضر، وكذلك إحياء دور المجاهدين من علمائنا الأعلام، والإفادة من تجارب الماضي، وتأكيد المنبع الواحد لقياداتنا على طول المسار قرّرت جمعيّة

العميد العلميّة والفكريّة إقامة مؤتمرٍ سنويٍّ دوليٍّ يُقارب بين الماضي والحاضر على مستوى فتاوى الدِّفاع الكفائيّ، وقد مرّت أربع مؤتمراتٍ في ذلك الصدد، ونحن اليوم مع المؤتمر الخامس، الذي عُقد بعنوان: (فتاوى الدفاع المقدّسة بين الماضي والحاضر، تشابه الأهداف واختلاف الأساليب، مرجع الطائفة سماحة السيّد السيستاني «دام ظلّه الوارف»، وسماحة الميرزا أبي القاسم التَّمي «قدس سره»)، وقد شاركت في هذا المؤتمر جملةً من الأبحاث ركّزت على محورتيّ الفتوتين ومسارهما الفقهيّ والتأثيريّ والتقويميّ؛ فضلاً عن مشاركاتٍ أخرى استقرأت آثار فتوى آية الله العظمى السيّد السيستانيّ (دام ظلّه) في الدِّفاع الكفائيّ على مستوى ترسيخ القيم الأخلاقية، وتعزيز ركائز الهوية الوطنيّة والمواطنة، والوحدة بين أبناء المجتمع، ومدى الاستجابة الجماهيرية لهذه الفتوى، وسريان فاعليّتها على ما تلاها من الأحداث، وكذلك متابعة صداها في الإعلام العالمي، وغير ذلك من الموضوعات التي جادت بها أفلام المشاركين في هذا المؤتمر المبارك، ولا نملك لهم أفضل من الدُّعاء بالتوفيق والسداد، وأن يتقبّل الله تعالى منهم بأحسن قبول.

وختاماً لا بدّ من توجيه خالص الشكر وكبير الامتنان إلى المتولّي الشرعيّ للعتبة العبّاسيّة المقدّسة، سماحة السيّد أحمد الصّافي (دام عزّه) على رعايته الكريمة لهذه المشاريع العلميّة والفكريّة، وكذلك دعمه المتواصل في سبيل الارتقاء بالبحث العلميّ والمعرفيّ، ولا نملك إزاء تلك الجهود إلاّ الدُّعاء له بدوام التوفيق والعافية.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغِبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعَزِّبُ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَتُنْذِلُ بِهَا النَّفَاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ، وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

جمعية العميد العلميّة والفكريّة

فتوى الدفاع بين القمي والسيستاني الموضوع والمعالجات والخلفيات الفقهية الشيخ علي سعدون الغزي

ملخص البحث

إن فوق كل برٍّ برٌّ حتى يُقتل الرجل في سبيل الله - عزَّ وجلَّ - فلا برٌّ فوقه، كما ورد في الحديث^(١)، فإنَّ تحمُّل مسؤولية القتال ومشقته، وما يصحبه من معاناة أعطت للجهاد هذه المنزلة الرفيعة.

لكن هناك ما هو أشدُّ مشقةً منه وهو تحمُّل مسؤولية الأمر به شرعاً، وترتيب الآثار الشرعية عليه، مع خطرها وأهميتها، وهذا ما قام بها علماءنا على مرِّ العصور، كلِّما وجدوا لذلك ضرورةً؛ ولعلَّه من هنا ورد أنَّ مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء^(٢).

ومَن تحمُّل تلك المسؤولية في زمانه العالمان العظيمان المحقِّق أبو القاسم القمي - رحمه الله - والسيد السيستاني - دام ظله - فهما مع اشتراكهما في زعامة الطائفة ومرجعيتها العليا، ابْتُلِيَ زمانهما بمواجهة من يريد نيلاً من الإسلام والمسلمين؛ فقاما بواجب المسؤولية الشرعية، وأصدرا موقفاً شرعياً يُبيِّن وجوب الدفاع عنهما.

سنتناول في بحثنا هذا فتوى الدفاع الصادرة عنهما من حيث الموضوع، والمعالجات، والخلفيات الفقهية، في ستة مطالب، وهي:

المطلب الأوَّل: التعريف بالمحقِّق القمي - رحمه الله -.

المطلب الثاني: مبناه في نحوي الجهاد.

المطلب الثالث: تشخيصه لحكم مواجهة الروس.

المطلب الرابع: التعريف بالسيد السيستاني - دام ظله - .
المطلب الخامس: المقارنة بين فتوى القمي والسيستاني. وهو المطلب الأهم في
المبحث.

المطلب السادس: هل تعاطف المحقق القمي - رحمه الله - مع البلاط في
فتوى قتال الروس؟

وقد قدمتُ هذا البحث إلى (مؤتمر فتوى الدفاع المقدس الخامس)، وتحت
المحور الثاني من محاوره، أعني: محور الأسس الشرعية.
وأسأله تعالى أن يتقبله بقبول حسن، ويُنبته نباتاً طيباً، فإنه أرحم الراحمين.

الكلمات المفتاحية:

الجهاد، الدفاع، الشهيد، في سبيل الله، الوجوب الكفائي، المحقق القمي،
السيد السيستاني.

Abstract:

Indeed, above every act of righteousness is a great man , until a man is martyred in the path of Allah, Almighty and Exalted, for there is no virtue beyond it, as stated in the tradition. The responsibility of engaging in combat, enduring its hardships, and the accompanying suffering is what has elevated jihad to this exalted status. However, there is an even greater hardship: the responsibility of issuing a legal edict for it, determining its religious implications, and addressing its critical consequences. This is the burden our scholars have shouldered throughout the ages whenever necessity demands it. Perhaps it is in this context that the ‹The ink of scholars is more sacred than the blood of martyrs.

Among those who bore this responsibility in their respective times were the two great scholars, the jurist Abu al-Qasim al-Qummi—may Allah have mercy on him—and the grand ayat Allah Seid. al-Sistani—may Allah prolong his life. Despite their shared role as leaders of the Shi’a community and supreme religious authorities, their eras were marked by challenges from those seeking to undermine Islam and Muslims. They fulfilled their religious duty by issuing a legal stance affirming the obligation to defend both.

In current study, we will examine the defensive fatwa issued by both scholars in terms of its subject, approaches, and jurisprudential backgrounds with six sections as follows:

First Section: An Introduction to the Jurist al-Qummi—May Allah have mercy on him.

Second Section: His Jurisprudential Framework Regarding the Types of Jihad.

Third Section: His Ruling on Confronting the Russians.

Fourth Section: An Introduction to Grand Ayat Allah Seid. al-Sis-

tani— may Allah prolong his life

Fifth Section: A Comparison Between the Fatwas of al-Qummi and al-Sistani (the most critical section of the study).

Sixth Section: Did the Jurist al-Qummi—May Allah have mercy on him—Show Sympathy Toward the Court of the Ruler His Fatwa on Fighting the Russians?

I have presented this study at the Fifth International Scientific Sacred Defense Edict, Fatwa, Conference under its second thematic axis, namely: the axis of jurisprudential foundations.

I pray to Allah, the Highest, to accept it with good acceptance and to bless it with righteous growth, for He is the Most Merciful of the merciful.

Keywords:

Jihad, defense, martyr, in the path of Allah, sufficient jihad, Jurist al-Qummi, Seid. al-Sistani.

المطلب الأول: المحقق القمي

الميرزا أبو القاسم بن المولى محمد حسن بن نظر علي الجيلاني، ولد في مدينة (درّه باغ) من أعمال بروجرد، سنة (١١٥١هـ)، ودرس فيها، وفي مدن أخرى، ثم انتقل إلى العراق فدرس في كربلاء والنجف، ثم عاد إلى إيران، وتنقل بين عدة مدن حتى سكن قم، واستقر بها إلى أن توفي سنة (١٢٣١هـ)، فعُرف بنسبته إليها (القمي)، و ب (المحقق القمي)؛ لما أثر عنه من تحقيقات مهمّة في الفقه والأصول، كما عُرف -أيضاً- بالكُنية (أبو القاسم)، ولم يتّضح تحديداً هل هي كنيته أو أنّها اسمه؟

نعم، قد يرجح أنّها اسمه؛ بشهادة ما روي من النهي عن التكنية بكنية رسول الله ﷺ لمن كان اسمه محمد^(٣)، كما في والد القمي هنا. ويُعدّ -رحمه الله- مؤسس حوزة قم، وانتهت إليه زعامة الطائفة فيها، وله مؤلفات عديدة من الكتب، والرسائل حتى قيل: إنّه كتب ما يزيد على ألف رسالة في علوم شتى.

واشتهر عنه كتاب (القوانين المحكمة في أصول الفقه) حتى عُرف به، فيُقال (صاحب القوانين)، مع أنّه قيل: إنّ فقهه أقوى من أصوله، لكن اشتهر بكتابه المذكور في الأصول، على عكس معاصره صاحب الرياض إذ اشتهر بكتابه الفقهيّ (رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل)، مع أنّ أصوله أقوى.

وقد وصلتنا بعض كتبه الفقهيّة -رحمه الله-، ومنها كتابه (جامع الشتات)، وهو كتاب أغلبه باللغة الفارسيّة، وعلى منهج (سؤال وجواب) في مسائل الفقه في مختلف الأبواب، وقد قيل فيه: إنّه أحسن وأنفع ما كتّب في الفقه للخواص والعوام، وإنّه كتاب نفيس يحتاج إليه كلّ مجتهد وفقهه، ومن أراد أن يطلع على فقاوته وكثرة اطلاعه فليرجع إليه^(٤).

وامتاز الكتاب بأن إجاباته كانت تفصيليّة، مع ذكر الآراء والأدلة فيها. ومن مميزات هذا الكتاب أنه الكتاب الوحيد من بين كتبه الذي تناول فيه مبحث الجهاد وأحكامه، في تسعة وثلاثين سؤالاً، كان اثنان منها باللغة العربيّة. ومن أجل ذلك وقع التركيز عليه في بحثنا.

المطلب الثاني: مبناه في نحوَي الجهاد

من بدييات الفقه في كتاب الجهاد أنه على نحوين:

الأوّل: ابتدائي، ويُقصد به ابتداء المسلمين بمهاجمة غيرهم بأمر الإمام أو نائبه الخاصّ من أجل دعوتهم للدين، وإعلاء كلمته. وهو يتوقّف على إذن الإمام أو من يقوم مقامه، والمقتول فيه شهيد، ويجرم الفرار منه، وتقسّم غنيّمته على أساس خاصّ.

الثاني: دفاعي، ويُقصد به وقوف المسلمين في مواجهة عدوّ تقدّم عليهم، يريد الإطاحة بالدين، والقائمين عليه. وهو لا يتوقّف على إذن الإمام أو نائبه الخاصّ. وسنقف عند هذا النحو؛ لتعلّق فتوى المحقّق القميّ -رحمه الله- والسيد السيستانيّ -دام ظلّه- به، وفيه سؤالان:

الدفاعيّ ليس جهاداً

السؤال الأوّل: هل القتال دفاعاً عن الإسلام والمسلمين يصدق عليه عنوان الجهاد شرعاً؟

بنى المحقّق القميّ -رحمه الله- على عدم صدق الجهاد شرعاً عليه؛ لأنّ القدر المتيقّن ثبوته شرعاً هو تسمية القتال الذي يكون بأمر الإمام أو نائبه الخاصّ جهاداً، ولا سبيل للتعدّي منه إلى غيره، قال -رحمه الله-: «وأما مثل الدفاع عن بيضة الإسلام والمسلمين الذي هو قتال جازٍ شرعاً وإن لم يكن بإذن الإمام، فهل هو داخل تحت مفهوم الجهاد الذي صار لفظ الجهاد حقيقة فيه عند المشرعة والشارع أم لا؟ الأظهر لا»^٥.

من يُقتل في الدفاعي لا يُغسل ولا يُكفن

يترتب على إجابة السؤال السابق أن أحكام الجهاد وآثاره لا تترتب على الدفاعي؛ لعدم صدق عنوان الجهاد عليه، ولذا قال -رحمه الله-: «وعدم ثبوت الحقيقة فيه يكفى في عدم ترتب الأحكام والآثار، ويلزم ثبوت العدم؛ لأصالة عدم النقل والوضع بالنسبة إليه»^٦.

وحاصله: أنه لما كان القدر المتيقن من عنوان الجهاد شرعاً هو ما كان ابتداءً، وبأمر الإمام أو نائبه، فلا يصدق على القتال دفاعاً، ومع عدم صدق عنوان الجهاد فلا تصدق أحكامه وآثاره، فلا يحرم الفرار منه، ولا تُقسّم غنائمه، ولا يكون من يُقتل فيه شهيداً ولا يُغسل ولا يُكفن، بل أكثر من ذلك فإن مجرد عدم صدق العنوان كافٍ في الحكم والعلم بعدم صدقه؛ لأن صدقه عليه يكون بأحد طريقتين كلاهما قام الأصل على نفيه:

الأول: أن يفرض اتساع معنى الجهاد لما كان دفاعاً عن بيضة الإسلام والمسلمين.

لكنه مبتنٍ على فرض حصول نقل له من معناه الخاص المتعلق بالقتال ابتداءً وبأمر الإمام أو نائبه الخاص، إلى ما يشمل القتال دفاعاً، وأصالة عدم حصول نقل للفظ تدفعه.

الثاني: أن يفرض حصول وضع جديد للفظ الجهاد في القتال دفاعاً، بحيث يكون لفظ الجهاد مشتركاً لفظياً بين القتال الابتدائي والدفاعي.

لكن أصالة عدم الوضع تدفعه؛ فإن الوضع لا يثبت إلا بوجود كواشف تدل عليه، كتصريح الواضع -وهو المشرع في المقام- أو حصول التبادر في أذهان المتشرعة له، أو عدم صحّة سلب اللفظ عن المعنى الجديد، وكلّ حسب الفرض لا يوجد ما يُثبت، وعليه فأصالة عدم الوضع جارية فيه.

نعم، في خصوص بعض الأحكام التي ترتبت على الجهاد الحقيقي ثبت

ترتبها على الدفاعي، وأقصد عدم التمسك والتكفين لمن يُقتل في القتال الدفاعي، فهو وإن لم يصدق عليه عنوان الشهيد -رحمه الله-، ولكن دلّ الدليل على كونها أثراً مترتباً على عنوان من قُتل في سبيل الله، ولا شك في صدق العنوان المذكور على من يُقتل في الدفاع عن الإسلام والمسلمين؛ بشهادة ما روي في «الصحيح عن أبان بن تغلب، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الذي يُقتل في سبيل الله، أيُغسل ويُكفن ويُحنط؟ قال: يُدفن كما هو في ثيابه، إلا أن يكون به رمق ثم مات فإنه يُغسل ويُكفن ويُحنط ويُصلى عليه، إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى على حمزة وكفنه؛ لأنه كان جُرّداً»^(٧).

قال -رحمه الله-: «وقد تحصّل من مجموع هذه الكلمات: أن القتال لحفظ بيضة الإسلام والمسلمين جازٍ وإن لم يكن بإذن الإمام، وأنه ليس بجهاد حقيقي، يترتب عليه حكم الغنيمة وأحكامها، وحكم الفرار وغيره؛ لعدم ثبوت كونه جهاداً حقيقياً، ولم يثبت كون المقتول فيه شهيداً حقيقياً ولو قيل: إن له فضيلة الشهادة، ويثبت فيه سقوط الغسل والكفن؛ لصدق أنه قُتل في سبيل الله على ما اخترناه، لا لأنه شهيد حقيقي»^(٨).

حكم الدفاعي وشرطه

السؤال الثاني: ما حكم هذا النحو من الجهاد؟ وهل يُشترط فيه أن يكون بإذن الإمام أو نائبه الخاص؟

يرى الميرزا القمي -رحمه الله- كباقي الفقهاء، أن حكمه هو الجواز، بل الوجوب، قائلاً: «فالظاهر جوازه، بل وجوبه سواء كان بتبعية إمام جابر أم لا»^(٩)، أي: يجب مطلقاً سواء كان بأمر إمام عادل، أو نائبه، أو بدونها، بل حتى لو كان الإمام جائراً وليس بإمام حق، فإنه يجب مثل هذا النحو من الجهاد على كلّ حال، وعليه فلا يُشترط فيه ما يُشترط في الابتدائي من توقّفه على إذن الإمام أو نائبه.

ومدركه في ذلك هو وجوب الدفاع عن بيضة الإسلام، واستدل له بثلاثة
نصوص:

الأوّل: «الصحيح عن^(١٠) يونس، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت له:
جُعِلَتْ فداك، إنَّ رجلاً من مواليك بلغه أنّ رجلاً يعطي السيف والفرس في
سبيل الله، فأتاه فأخذهما منه، وهو جاهل بوجه السبيل، ثمّ لقيه أصحابه
فأخبروه أنّ السبيل مع هؤلاء لا يجوز، وأمروه بردهما؟
فقال: فليفعل.

قال: قد طلب الرجل فلم يجده، وقيل له: قد شخص الرجل؟
قال: فليربط، ولا يقاتل.

قال: ففي مثل قزوين والديلم وعسقلان وما أشبه هذه الثغور؟
فقال: نعم.

فقال له: يجاهد؟

قال: لا، إلاّ أن يخاف على ذراري المسلمين.

قال: رأيتك لو أنّ الروم دخلوا على المسلمين لم ينبغ لهم أن يمنعوهم؟!
قال: يربط، ولا يقاتل، وإن خاف على بيضة الإسلام والمسلمين قاتل،
فيكون قتاله لنفسه، وليس للسلطان.

قال: قلت: فإن جاء العدو إلى الموضع الذي هو فيه مرابط كيف يصنع؟

قال: يقاتل عن بيضة الإسلام، لا عن هؤلاء؛ لأنّ في دروس الإسلام
دروس دين محمد عليه السلام ^(١١).

وعلق عليها بقوله: «ولا يخفى أنّ هذه الرواية تدلّ على جواز المقاتلة
عن بيضة الإسلام والمسلمين، بل وجوبها وان لم يكن بإذن الإمام ونائبه
الخاصّ» ^(١٢)، لوضوح أنّ الوقوف بوجه منع اندراس دين النبيّ محمد عليه السلام لا
يتوقف على أمر خاصّ من الإمام أو نائبه.

الثاني: إطلاق «صحيح العيص، قال: سألت أبا عبد الله -عليه السلام- عن قوم مجوس خرجوا على أناس من المسلمين في أرض الإسلام، هل يحلّ قتالهم؟ قال: نعم، وسيبهم»^(١٣). فإن إجابته -عليه السلام- بالإيجاب مطلقة تشمل ما إذا كان ذلك بإذن الإمام ونائبه الخاص أو لا.

الثالث: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١٤)، قائلاً -رحمه الله-: «قال في (مجمع البيان): وفي هذا دلالة على أنه يجب على أهل كل ثغر الدفاع عن أنفسهم إذا خافوا على بيضة الإسلام وإن لم يكن هناك إمام عادل»^{١٥}.

لكنه -رحمه الله- صَدَّر الاستدلال بها بقوله: «ويمكن أن يُستدلَّ عليه»^{١٦}، ممَّا يؤشِّر إلى عدم كونها دليلاً كافياً في المطلوب، ولعلَّ الوجه فيه ظهور الأمر فيها على الجهاد الابتدائي، كما يشهد له فهم ذلك منها من قبل جملة من الأعلام^{١٧}. نعم، استُفيد من الآية المذكورة أنَّ القتال لا يجب على جميع المسلمين للدفاع عن بيضة الإسلام والمسلمين، بل يجب على نحو الكفاية، وعلى الأقرب فالأقرب للعدوِّ، وقد وافق على ذلك المحقِّق القميّ -رحمه الله-، لكن له في كلا الأمرين تعليقا:

معنى الوجوب الكفائي

أمَّا الوجوب الكفائي فهو مع الاتفاق على كون ذلك التكليف الذي يسقط عن المكلفين بفعل بعضهم، لكن هل سقوط ذلك بنحو الفعلية أو الشأئية؟ وبعبارة أخرى: هل أُخِذَ في مفهوم الوجوب الكفائي أن يسقط فعلاً عن بقية المكلفين بفعل بعضهم بحيث لو لم يسقط عنهم لعارض فلا يكون كفايًّا، كالصلاة على الميت، فإنها تسقط عن بقية المكلفين فيما لو أتى بها أحدهم، لكن ماذا لو لم يكن مع الميت إلا مكلف واحد، يكون وجوب صلاة الميت عليه عينياً أم يبقى كفايًّا؟

هنا تظهر الثمرة، فلو فرضنا تقوّم مفهوم الواجب الكفائيّ بالسقوط الفعليّ فلا تكون صلاة الميت واجبةً عليه كفايةً؛ لعدم السقوط فعلاً بفعل غيره؛ لفرض عدم وجود غير له أصلاً، فتكون واجبةً عليه عيناً. لكن لم يقبل بذلك المحقّق القميّ -رحمه الله- وبنى على بقاء الوجوب بالنسب إليه كفايًّا؛ لأنّ الوجوب الكفائيّ ليس متقوّمًا بالسقوط الفعليّ، بل الشائيّ، أي: كون التكليف من شأنه أن يسقط بفعل بعض المكلفين، وإن لم يسقط كذلك لعارض خارجيّ، كما في المثال.

ولذا في المقام لو انحصر الدفاع عن بيضة الإسلام والمسلمين بجماعة لعارض يبقى وجوب قتالهم وجوبًا كفايًّا.

معنى الأقرب فالأقرب

وأما الأقرب فالأقرب، فقد استُفيد من مفردة (يلونكم) في الآية مضافًا إلى الإجماع؛ فإنّ ما يلي الشيء هو ما يكون بعده قريبًا منه. وتوضّح ممّا تقدّم أنّ خصّ الأقرب بالوجوب لا يُخرج كون القتال واجبًا كفايًّا؛ لأنّه لعارض القرب المقتضي له، وليس من حيث كونه وجوبًا مختصًا بهم. والذي يبدو منها بظاهر اللفظ هو القرب المكانيّ، فمن كان أقرب مكانًا للعدوّ المهاجم كان هو المكلف بمقاتلته وصدّه.

لكن المحقّق القميّ -رحمه الله- يرى أنّ كون المراد من الأقرب القرب المكانيّ محمول على الغالب، وأنّ المراد من القرب هو قرب المستعد للقتال، فربّما كان القريب غير مستعدٍ له، ولكنّ البعيد مستعد، فيكون البعيد هو الأقرب، وهو من تجب عليه مقاتلة من يريد استئصال الإسلام وإضعافه، والاستيلاء على مقدراته.

ويظهر منه -رحمه الله- أنّ الوجه في فهم ذلك هو أنّ من مرجّحات تعلق الوجوب بالأقرب مكانًا كونه الأكثر استعدادًا للمواجهة؛ بحكم تيسر اطلاعه

على خطط العدو، وعدده، وتوقيت تحركه، وما إلى ذلك بخلاف الأبعد بحسب العادة، فلو انعكس الأمر كان الأبعد هو الأقرب. هذا، ومن وجوه ترجح تعلق التكليف بالأقرب هو حاجته للدفاع عن نفسه وماله وعرضه مع ضرورة دفاعه عن الإسلام وبيضته^{١٨}.

المطلب الثالث: تشخيص حكم مواجهة الروس

من الأحداث التي وقعت في زمان المحقق القمي - رحمه الله - قيام الروس بمهاجمة القبائل والمدن المسلمة الساكنة في إيران من جهتهم، وبحكم كون المحقق القمي - رحمه الله - مرجع الطائفة الشيعية - أعلى الله كلمتها - آنذاك، وجه له السؤال عن حكم مواجهتهم شرعاً.

وحاصله بعد الترجمة: في هذه الأوقات التي تقف فيها روسيا في مواجهة الممالك الإسلامية في إيران وغيرها، وتحاول فتح البلاد الإسلامية، ومنع تنفيذ أوامر الإمام عليه السلام فهل يجب دفعهم بداعي نصر المسلمين عليهم؟

أجاب - رحمه الله - وترجمة جوابه هي: إذا كان قصدهم تغيير شرائع الإسلام وأحكامه، أو الإضرار بأرواح المسلمين وأعراضهم، أو نهب أموالهم وسلبها فيجب دفعهم.

ولكن يجب على الأقرب فالأقرب، فإذا كان هناك جماعة كافية لصدهم وجب عليها، ووجب على باقي العشيرة مساعدتهم في ذلك ببذل الأموال، وتوفير المعدات والمؤن، وإن لم يكف الأقرب انضم إليهم الأقرب إليهم، وهكذا، ومع توقف دفعهم على مشاركة الجميع فيجب على الجميع.

ثم جَوَّز - رحمه الله - صرف الحق الشرعي والزكاة في شأن القتال والمقاتلين، ونبه أن صرفها فيها هو صرف في موردها وهو سبيل الله، ولكن واجهته مشكلة واحدة، وهي: أن مصرف هذه الحقوق الشرعية هو الفقير، وقد لا يكون المقاتل فقيراً؛ باعتبار امتلاكه لقوت سنته قوّة أو فعلاً.

وتغلّب عليها بيان أنّه وإن فُرِضَ عدم كونه فقيراً من حيث هو، وبحسب حاله الشخصي أو العائلي، ولكنّه فقير باعتبار الحال الذي هو فيه فعلاً، وهو حال القتال؛ لبداية فقر المقاتل وحاجته إلى السلاح وكلّ ما يتعلّق بشؤون المعركة، وبذلك يكون فقيراً حقيقةً، ويصحّ صرف الحقوق الشرعيّة عليه^{١٩}.

المطلب الرابع: السيّد السيستانيّ

إنّ التعريف بشخص مرجعنا المفدى يكاد أن يكون من قبيل توضيح الواضح؛ لشدّة معرفتيّه عند القريب والبعيد، إلّا أنّ من صفاته البارزة التي يُدرّكها كلّ متابع لما يصدر عنه في وقت الشدّة وعدمها انضباطه وأتّزانه الواضحين في المواقف والبيانات؛ حتّى أنّك لا تجد انفعالاً شخصياً، أو ردّة فعل عصبية، بل تجد الانضباط والعقلانيّة والرؤية البعيدة، متمثلةً باختيار المفردة الهادفة، والكلمة الواضحة، وتجنب ما يقابل ذلك ممّا لا ينبغي صدوره عن مثل المرجعيّة، أو لو صدر منها لفهمٍ بغير مساقه ومقصوده.

وقد تحمّلت المرجعيّة الدينيّة متمثلةً بشخصه الكريم كامل مسؤولياتها في مواجهة مختلف التحديات التي مرّت على الشيعة من أتباعها بشكل عامّ، وعلى بلد العراق بشكل خاصّ.

ومن أبرز تلك التحديات -ولعلّها الأشدّ- هي الفتوى بمواجهة تنظيم داعش الإرهابيّ، فأصدرت فتوى بوجوب مقاتلته دفاعاً عن العراق ومقدّساته، وجوباً كفائياً، ونريد هنا عقد مقارنة بين تفاصيل فتواها، وما سبق بيانه من مباني المحقّق القميّ -رحمه الله- وتشخيصه لمواجهة الروس.

المطلب الخامس: المقارنة بين فتوى المحقّق القميّ والسيستانيّ

إنّ عقد المقارنة المذكورة يكون من جهات متعدّدة وهي:

الجهة الأولى: نوع القتال

أشترك موقف المحقّق القميّ -رحمه الله- وفتوى السيّد السيستانيّ -دام

ظله- في كونها قد تعلقا بقتال دفاعي، وليس ابتدائيًا، فإنَّ المحقّق عاصر هجوم الروس على القرى والقصبات المسلمة في أطراف إيران، فبين وجوب مواجهتهم في حال كان مقصودهم هو الإسلام وأهله.

وهكذا عاصر السيد -دام ظله- هجوم داعش على مدن من شمال العراق بدءاً من الموصل إلى مناطق متاخمة للعاصمة العراقيّة بغداد التي تقع في منتصفه تقريباً، وعلى مساحة واسعة منه، وبسرعة بالغة بعد انهيار الجيش والقطاعات العسكريّة، وقد اعتمدت هذه الجماعة منهج القتل والإبادة والتدمير لكلّ من لا يكون معها، وعلى وفق رؤيتها، فهي تستهدف استئصال كلّ من لا يوافقها من المسلمين وغيرهم، حتّى ممّن يشترك معها في عقائدها، فهي كالروس في زمان المحقّق القميّ تستهدف القضاء على بيضة الإسلام في هذا البلد، وتدمير كلّ ما يرمز إليه، مع تهديدها للسلم الأهليّ.

الجهة الثانية: شدّة الموقف

يظهر جليّاً أنّ الموقف في زمان مرجعنا الكريم كان أشدّ ممّا كان عليه في زمان المحقّق؛ لأنّ المحقّق -رحمه الله- واجه عدوّاً كافراً لا يؤمن بالإسلام أصلاً، فيكون تشخيص الموقف من مواجهته -بعد فرض استهدافه لبيضة الإسلام والمسلمين- واضحاً، ولا يواجه أيّة مصاعب اجتماعيّة.

ولم يكن في زمان المحقّق -رحمه الله- دورٌ للإعلام المسيّس والساعي إلى تشويه صورة الإسلام ورجالاته.

بينما كان الحال على عكس ذلك تماماً فيما عاصره مرجعنا، فالعدوّ ينتحل صفة الإسلام، ويرفع شعار إقامة دولة العدل الإلهيّة، ويريد أن يطهر الأرض من الشرك وعبادة الأصنام (القبور في فهمه)، وتقف خلفه دولٌ تمثّل غالبية الوجود الإسلاميّ اعتقاداً، وتدعمه بما تستطيع من مال وسلاح ومقومات الحرب الأخرى.

فضلا على امتلاك تلك الدول وغيرها أدوات إعلاميّة ضخمة تسعى

لتشويه صورة الإسلام ورجاله، وعملت لمدة ليست بالقصيرة على تقديم مفهوم الجهاد على أنه إرهاب تقف وراءه جماعات وأشخاص متطرفون. ولذا كانت مساحة المفردات التي يمكن استخدامها في بيان الموقف، وتحريك الجمهور نحو العدو قليلة؛ لما اقتضته الحكمة من تجنب مفردة (الجهاد) بعد أخذها من قبل الأطراف المشار إليها إلى مسارات فهمية سيئة، فلم نجد المرجعية قد استعملت في بياناتها إلا مفردة الدفاع، وأصدرت بيانات أخرى تؤكد فيها على عدم سعيها ولا دعوتها لوجود احتراب بين أبناء الشعب الواحد.

الجهة الثالثة: نوع التدخل

بينما نجد أن المحقق القمي -رحمه الله- لم يصدر فتوى بالمعنى الحرفي لذلك، وأن ما صدر عنه تشخيص موردٍ بعد أن سُئِلَ عن الموقف من هجمات الروس على أطراف القرى والقصبات المسلمة في حدود إيران مع روسيا، وكانت إجابته -رحمه الله- بالتعليق على الشرط، حيث جاء فيها: «إذا كان قصدهم تغيير شرائع الإسلام وأحكامه، أو الإضرار بأرواح المسلمين وأعراضهم، أو نهب أموالهم وسلبها فيجب دفعهم». مما يعني أنه -رحمه الله- ترك تشخيص المصداق على عهدت المكلفين هناك، وأنه متى ما أدركوا ذلك وشخصوه كان قتالهم معهم قتالاً دفاعياً، خصوصاً بعد الالتفات إلى أن قتال الدفاعي لا يحتاج إلى أمر من إمام أو نائبه الخاص أو العام.

وهذا يعني أن ترتيب آثار الدفاع من كون القتل في تلك المعارك قتيلاً في سبيل الله، لا يُغسل ولا يُكفن، وأنّ صرف الحقوق الشرعية فيه كذلك يكون على تقدير تشخيصهم أنّ الروس قصدوا بحرهم بيضة الإسلام والمسلمين. وأمّا لو لم يُشخصوا ذلك فسيكون قتالهم دفاعاً عن أموالهم وأنفسهم كأشخاص، ولا يكون القتل في مثل ذلك ساقطاً عنه الغسل والكفن، كما

أنَّ صرف الحقِّ الشرعيِّ فيه يحتاج إلى مراجعة خاصَّة إلى فقيه العصر في زمانه. وهذا بخلاف مرجعنا الكريم إذ أصدر فتوى في الدفاع، ومن منصَّة متابعة من قبل العالم - أعني: منبر الجمعة في حرم الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء المقدَّسة - كما حُفِظت تلك الفتوى في الأماكن الرسميَّة للمرجعيَّة، ومنها كتاب (النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني - دام ظلُّه - في المسألة العراقيَّة) (٢٠).

ويترتَّب على صدور الفتوى كذلك أنَّها قامت بتشخيص المورد، وأنَّه من القتال دفاعاً، وبذلك رفعت عن المكلفين مسؤوليَّة تحديده، ووفَّرت عليهم مؤونة تشخيصه.

كما ترتَّب آثار القتال الدفاعي وأحكامه بلا تردد أو تعليق، فكان القتل في ذلك الدفاع المقدَّس شهيداً يسقط عنه الغسل والكفن، وكان صرف الحقِّ الشرعيِّ فيه صرفاً في مورد سبيل الله جزماً.

الجهة الرابعة: على من يجب القتال

نصَّ كلام المحقِّق القميِّ - رحمه الله - على أنَّ وجوب الدفاع ضدَّ الروس إنَّما يجب على الأقرب لهم فالأقرب، ثمَّ فسَّر الأقرب بمن كان أكثر استعداداً وتهيئاً للقتال وإن كان أبعد من حيث المكان. لكنَّ فتوى مرجعنا الكريم نصَّت على وجوبه على كلِّ من كان قادراً على حمل السلاح.

ولعلَّ الوجه فيه عدم وجود ظهور في الآية الكريمة المتقدِّمة في كون الدفاع كالجهاد الابتدائي في مراعاة الأقرب فالأقرب، بل يظهر من العلامة أنَّه حتَّى في الجهاد الابتدائي لا يجب، بل هو الأفضل (٢١) - خصوصاً مع ملاحظة ما قيل من وجه الحكمة فيه من انسجامه مع التكتيك العسكريِّ والعمليَّاتي، وأنَّه ليس من الصحيح الشروع في جهاد الأبعد مع ترك الأقرب؛ إذ الدفاع لا يقتضي ذلك بل هو الوقوف بوجه العدوِّ وصدِّه، ومقتضى التكتيك العسكريِّ فيه صعود من يستطيع المساهمة في ذلك، ولا دخل للقرب

والتباعد فيه، خصوصاً مع الفهم الذي قدّمه المحقق القميّ - رحمه الله - من فهم الأقرب بالأكثر استعداداً وتهيئاً؛ لوضوح أنّ فيه إلغاءً ظاهراً لخصوصيّة القرب، وعدم كونها فاعلةً إلا إذا كان هناك استعداد من قبل الجميع فيكون الأقرب هو متعلّق التكليف.

الجهة الخامسة: صدق عنوان الشهيد

عنوان الشهيد لم يكن صادقاً على من يُقتل في قتالٍ دفاعي عن بيضة الإسلام والمسلمين عند المحقق القميّ - رحمه الله -؛ لفرض أنّ صدق عنوان الشهيد عنده تابع لصدق عنوان الجهاد شرعاً. وقد علّم صدق عنوان الجهاد على الابتدائي بأمر الإمام أو نائبه الخاصّ، فيكون القتل فيه شهيداً، وأمّا الدفاعي فلم يُعلم صدقه، بل علّم عدم صدقه - لأصالة عدم النقل والوضع - فلا يكون القتل فيه شهيداً، وإنما سقط عنه الغسل والكفن؛ لأنّه قُتل في سبيل الله، وليس لكونه شهيداً.

لكن يظهر من مرجعنا الكريم أنّ عنوان الشهيد صادق على من يُقتل في الدفاع عن بيضة الإسلام والمسلمين حيث قال في تعريف الشهيد في بحث أحكام الأموات، وسقوط الغسل عن بعضهم: «الشهيد المقتول في المعركة مع الإمام أو نائبه الخاصّ، أو في الدفاع عن الإسلام...»^(٢٢).

ولعلّ الوجه فيه أحد أمور ثلاثة:

الأمر الأول: صدق عنوان الجهاد على الدفاعي صدقاً حقيقياً، كما يظهر ذلك من العلامة في التحرير والتذكرة، والفاضل المهنديّ في كشف اللثام^(٢٣)، حيث قسّم الأول الجهاد على قسمين، وجعل الدفاعيّ قسمه الثاني، قائلاً في التحرير: «الجهاد قد يكون للدعاء إلى الإسلام، وقد يكون للدفع، بأن يُدّهم المسلمين عدوّ، ويشترط في الأوّل إذن الإمام العادل أو من يأمره الإمام، والثاني: يجب مطلقاً...»^(٢٤)، وأوضح منه ما في الجواهر من قوله:

«بل ظاهر غير واحد كون الدفاع عن بيضة الإسلام مع هجوم العدو ولو في زمن الغيبة من الجهاد؛ لاطلاق الأدلة، واختصاص النواهي بالجهاد ابتداءً للدعاء إلى الإسلام من دون إمام عادل - (عليه السلام) - أو منصوبه، بخلاف المفروض الذي هو من الجهاد من دون اشتراط حضور الإمام ولا منصوبه ولا إذنها في زمان بسط اليد، والأصل بقاؤه على حاله. واحتمال عدم كونه جهاداً حتى في ذلك الوقت مخالف لإطلاق الأدلة وإن كان قد يظهر من خبر يونس الآتي في للرابطة [تقدم ذكره في حكم الدفاعي وشرطه] كون الجهاد هو الابتداء إلا أنه محمول على إرادة كون ذلك الأكمل من أفراده، وإلا فالجهاد أعظم كما يشعر به تقسيمهم إياه إلى الابتداء وإليه، بل قد تقدم في كتاب الطهارة تصريح جماعة بكون المقتول فيه شهيداً كالمقتول بين يدي الإمام (عليه السلام)، فلا يُغسل ولا يُكفن» (٢٥)

ويترب على ذلك كون القتل فيه شهيداً بالضرورة؛ لأنه قد قتل في جهاد (٢٦)، بل هو الشهيد الأكبر، على حدّ تعبير الشيخ كاشف الغطاء (٢٧). الأمر الثاني: أنّ عنوان الجهاد وإن لم يكن صادقاً على الدفاع، إلا أنّ من يُقتل في معركة الدفاع عن بيضة الإسلام والمسلمين يُقتل في سبيل الله - كما نصّت على ذلك صحيحة أبان بن تغلب المتقدمة - وكلّ من يُقتل في معركة في سبيل الله فهو شهيد، سواء كانت معركة جهاديّة ابتدائيّة وبأمر الإمام أو نائبه الخاصّ أم لم تكن جهاديّة، بل دفاعيّة. كما يظهر ذلك من المحقق في المعتمد (٢٨)، والشهيد الأوّل في الذكرى (٢٩)، والمحقق الكركي في الجامع (٣٠). الأمر الثالث: أنّ عنوان الشهيد يصدق على كلّ من قتل في معركة أمر الله تعالى بها، والدفاع معركة أمر الله بها؛ بشهادة صحيحة أبان بن تغلب المتقدمة، فالقتيل فيه يكون شهيداً، قال العلامة في التذكرة: «والقتيل من أهل العدل شهيد؛ لأنه قتل في قتال أمر الله تعالى به، ولا يُغسل ولا يُكفن، ويصلى عليه

عندنا؛ لأنه شهيد معركة أمرَ بالقتال فيها، فأشبهه معركة الكفار»^(٣١). ويمكن أن يُضاف أمرٌ رابعٌ، حاصله: أنه يظهر من الأعلام أن الدفاعي مع أمر الإمام أو نائبه الخاص به يكون جهاداً حقيقياً، وأن القتل فيه يكون شهيداً؛ لأنه قُتلَ بمعركة أمر بها الإمام أو نائبه الخاص.

والظاهر إمكان تعدية ذلك إلى أمر الدفاع الصادر عن الفقيه الجامع لشرائط التقليد، باعتبار نائباً عاماً عن الإمام، وقد أُبطلت به مسؤولية حفظ الأمور العامة المتعلقة بالإسلام والمسلمين، كالقضاء، والأوقاف، ومنها رصد المعتدين على الإسلام والمسلمين، والأمر بمواجهتهم. فيكون ما يأمر به من الدفاع جهاداً حقيقياً، والقتيل فيه شهيداً؛ لأنه قُتلَ في معركة أمر بها نائب الإمام العام.

المطلب السادس: هل تعاطف المحقق القمي مع البلاط في فتوى الجهاد؟

صرّح بعض من ترجم للمحقق القمي -رحمه الله- بأنه تعاطف مع البلاط الحاكم في فتوى الجهاد ضدّ الروس، قائلاً: «وغاية ما ثبت من تعاطف الميرزا القمي مع البلاط هي فتواه بوجوب الدفاع مقابل هجمات الروس على إيران، كما يظهر من بعض كتبه في باب الجهاد»^(٣٢).

لكن لم يتّضح لي الوجه في ذلك؛ إذ فهم التعاطف من كلام الميرزا القمي -رحمه الله- لا يخلو من أحد أمرين، كلاهما لا يدلّ على شيء منه: الأمر الأوّل: ما تقدّم من فتواه -رحمه الله- بوجوب الدفاع ضدّ الروس في هجومهم على القرى والقصبات الإيرانية.

لكن اتّضح ممّا مرّ -أيضاً- أنّه -رحمه الله- لم يُفتِ أصلاً بالجهاد ضدّهم، بل علّق الحكم بوجوب الدفاع على تقدير أنّه قد أحرز كون مقصود الروس هو النيل من الإسلام والمسلمين، فهو في مقام تشخيص مورد خارجي على تقدير أن المكلف قد تحقّق من موضوعه، وليست في مقام إصدار فتوى عامّة

بالجهاد ضدّهم، مضافاً إلى خلو كلامه في هذا الشأن من أيّ إشارة أو تلميح على البلاط ورجالاته.

الأمر الثاني: في حديثه -رحمه الله- عن بيضة الإسلام، وتفسير معناها، وأنّ منه استئصال أصل الإسلام؛ باعتبار أنّ البيضة أصلٌ للمخلوق منها، وقد يتحقّق ذلك بقصد رئيس الدولة من أجل الإطاحة به ممّا يمكن العدوّ من الإضرار بالإسلام والمسلمين، وأنّه حينئذٍ يجب الدفاع ضدّهم، حتّى لو كان الرئيس حاكماً غير عادل؛ لأنّ العدوّ لا يلحظ فيه ذلك، بل يستهدفه بما أنّه شخص يحفظ بوجوده الإسلام ومقدرات المسلمين، وأنّ الإطاحة به تسهل لهم النيل منها.

قال -رحمه الله-: «أقول: الظاهر أنّ المراد من الخوف على بيضة الإسلام الخوف من استيصاله وانقطاعه بالمرّة، ولما كان يحصل انقطاع كلّ شيء بانقطاع أصله وانصرامه، كأساس الجدار وأصل الشجر، فأريد بالخوف على بيضة الإسلام الخوف على ما به قوامه وقيامه، فالبيضة هنا إمّا مأخوذ من بيضة الطائر فإنّ أصل الطائر هو البيضة؛ فإنّه يتولّد منه فاذا استؤصلت البيضة يستأصل الطائر، أو من بيضة الحديد، فإنّه يخاف ظاهر الرأس، والرأس في الجسد كالأصل له، فالمراد أنّ الكفار يريدون انصرام الإسلام بانصرام السلطان الذى هو بمنزلة الرأس لاستنزاه انصرام البدن، وبذلك يظهر مناسبة أخذه من بيضة البلد -أيضاً- أو يريدون استيصال البيضة يعنى ما يتولّد منه الإسلام حتّى لا تولّد منه طائره، ولذلك عبّر الفقهاء عنه بالأصل والمجتمع؛ فإنّ اجتماع أركان الإسلام والمسلمين إنّما هو بسلطانهم، فهم يريدون كسر بيضة الحديد من رأس الإسلام لينتفى الرأس فيتنتفى الإسلام أو يريدون إهلاك نفس السلطان الذى هو بمنزلة بيضة البلد أو بيضة الطائر، كأركان الإسلام؛ لينهدم أركانه، فلذلك فسّروه بالأصل والمجتمع؛ فإنّ

سلطان الإسلام أصل الإسلام ومجتمع أركانه.

فإن قلت: إن هذا لا يلائم الرواية التي نقلتها؛ فاتها وردت فيما لم يكن الإمام العادل مبسوط اليد، والرواية مصرحة بأنه تجاهد لنفسه لا عن السلطان.

قلت: إن هذا لا ينافي ما ذكرناه؛ فإن الكفار لا يفرقون بين السلطان العادل من المسلمين والجائر منهم، بل إنهم يعلمون أن للمسلمين سلطاناً هو أصلهم ومجتمعهم، ويريدون استيصاله ليرتب عليه استيصال الإسلام فاذا دهموا على الإسلام والمسلمين فيتفرق المسلمون وبذلك ينقطع أثر الإسلام شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى منه أثر.

والحاصل: أنهم وإن كان غرضهم بالأصالة هلاك السلطان الذي هو أصل الإسلام ومجمعه، ولكنه يستلزم هلاك المسلمين وتبدهم، وهذا يكفى في جواز الدفاع...»^(٣٣).

لكن من الواضح -أيضاً- أنه ليس في حديثه -رحمه الله- هذا أي تعاطف أو دعم للבלاط الحاكم آنذاك، بل هو تحقيق لمعنى كلي سارٍ في زمانه وغيره، ويجب إبداء الحق حتى لو كانت السلطات تستفيد منه، خصوصاً إذا كان في إبدائه حفظٌ للإسلام والمسلمين كما في مورد الكلام، حيث بيان معنى بيضة الإسلام التي يجب حفظها شرعاً.

الخاتمة

يتضح مما تقدم من بحثنا هذا عدة أمور:

الأول: مدى عظمة وأهمية المحقق القمي -رحمه الله- والأدوار التي قام بها، بدءاً من إنشاء حوزة قم، ومروراً بالآثار العلمية التي تركها في الفقه والأصول، وإنهاءً بتشخيصه لمورد الدفاع عن بيضة الإسلام والمسلمين في زمانه، مع ترتيب الآثار عليه، من تعيين من يجب عليه الجهاد، وأنه متعلق بالأقرب فالأقرب، وسقوط الغسل والكفن عن القتل في تلك المعارك، وجواز صرف الحق الشرعي فيها.

الثاني: ذوقه -رحمه الله- الفقهي في تخريج ما أشكل عليه من خصوصيات مسائل الجهاد، أو ما احتاج إلى تفسير وتنبيه، كبيان المراد من الوجوب الكفائي، ومعنى الأقرب فالأقرب، والوجه في سقوط الغسل والكفن عن قتل في الدفاع مع أنه ليس شهيداً عنده، والوجه في صرف الحق الشرعي فيه مع توقفه على كون المصروف فيه فقيراً.

الثالث: المقارنة بين فتوى المحقق القمي -رحمه الله- والسيد السيستاني -دام ظلّه- في تفاصيل الموضوع، والمعالجة، والخلفيات الفقهية. فكان نوع الموضوع متحداً من جهة كونه قتالاً دفاعياً، وفي زمن سيدنا المرجع اكتسب طابع الشدة من جهة متعلقه، وهو كون العدو طرفاً يدعي الإسلام، ويسعى لإقامة دولته، وأنه ينطلق من خلفية عقائدية تمثل غالبية المسلمين في المنطقة، مع الضغط الإعلامي الدولي الساعي إلى تقديم الإسلام عموماً، والجهاد خصوصاً على أنه إرهاب يجب الوقوف بوجهه، والإعلام العربي المسلم، وبعض المحلي الذي يتخذ موقفاً سلبياً من الإسلام وقيادته، خصوصاً الشيعة.

كما اختلفت المعالجة بينهما، فكانت معالجة المحقق القمي -رحمه الله-

تشخيصه لمورد على تقدير إحراز موضوعه من قبل المكلّف من دون إصدار فتوى عامّة به، بخلاف سيدنا المرجع إذ أصدر فتوى عامّة بذلك، ووثقتها المصادر الرسميّة التي تمثله، كما تكفّلت تشخيص المورد، والتخفيف عن المكلّف من جهة مسؤوليّة ذلك التشخيص. وأيضاً ألزمت كلّ من يستطيع حمل السلاح بوجوب الدفاع عن العراق ومقدّساته بينما خصّ المحقّق القميّ -رحمه الله- ذلك بالأقرب فالأقرب من حيث الاستعداد للمواجهة، ومع استعداد الجميع يكون الوجوب متوجّهًا للأقرب مكانًا.

كما اختلفت الخلفيّة الفقهيّة إذ بنى المحقّق القميّ -رحمه الله- على عدم كون القتل في معركة الدفاع شهيداً؛ لعدم صدق الجهاد على الدفاع، بينما بنى سيدنا المرجع على كونه شهيداً، وذكرنا أربعة وجوه شرعيّة لصدق عنوان الشهيد عليه، إمّا مباشرةً أو بتوسط عنوان آخر، كصدق عنوان الجهاد على الدفاعي، وصدق القتل في سبيل الله، والقتل في معركة أمر الله تعالى بها.

الرابع: دفع ما قيل من تعاطف المحقّق القميّ -رحمه الله- مع البلاط في فتواه بالجهاد ضدّ الروس، بعد عدم اتّضح وجه سليم لها من كلامه؛ لعدم دلالة الفتوى به على التعاطف، وعدم دلالة تفسير الدفاع عن بيضة الإسلام والمسلمين بما يشمل الدفاع عن السلطان فيما لو كانت الإطاحة به تستلزم الإضرار بالإسلام، ومقدرات المسلمين.

الهوامش

١ - وهو ما رواه الصدوق - رحمه الله - عن «محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد - رضي الله عنه - قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن العباس بن معروف، عن أبي همام - إسماعيل بن همام - عن محمد بن سعيد بن غزوان، عن إسماعيل بن مسلم السكوني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام: أن النبي صلى الله عليه وآله، قال: فوق كل بر حتى يقتل الرجل في سبيل الله - عز وجل - فإذا قُتل في سبيل الله فليس فوقه بر. وفوق كل عقوق حتى يقتل الرجل أحد والديه، فإذا قتل أحدهما فليس فوقه عقوق». الخصال: ٣١ / ٩.

٢ - وهو ما رواه الصدوق - أيضاً - عن «جعفر بن محمد بن مسرور - رضي الله عنه -، قال: حدثنا الحسين بن محمد بن عامر، قال: حدثنا المعلّى بن محمد البصري، عن أحمد بن محمد بن عبد الله، عن عمرو بن زياد، عن مدرك بن عبد الرحمن، عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله - عز وجل - الناس في صعيد واحد، ووضعت الموازين، فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء». أمالي الصدوق: ٢٣٣ / ح ١.

٣ - يُنظر: فقه الرضا عليه السلام: ٢٣٩، والمقنع: ٣٣٥.

٤ - يُنظر: روضات الجنات في أخبار العلماء والسادات: ٥ / ٣٦٩ / رقم ٤٥٧، والكنى والألقاب: ١ / ١٤٢.

٥ - جامع الشتات: ١ / ٣٦٣.

٦ - م.ن. ١ / ٣٦٣ - ٣٦٤.

٧ - م.ن. ١ / ٣٦٥ - ٣٦٦. يُنظر: الكافي: ٣ / ٢١٠ / ح ١. والملاحظ أن المحقق القمي - رحمه الله - وصف الرواية بـ (الصحيح عن)، والوصف المذكور يُعرف بالصحة النسبية التي تدلّ على عدم شمول ما بعد حرف الجر (عن) بالتصحيح؛ لمحدور فيه يمنع إما من أصل وثاقته، أو من سلامة عقيدته، وكلاهما غير متحقق في (أبان بن تغلب) لمعلومية وثاقته وسلامة عقيدته.

ولكن ما يهون الأمر أن الصحة الإضافية قد جرى من الفقهاء استعمالها في الصحة المطلقة، فلا تدلّ دائماً على المعنى المذكور، ويشهد لذلك أنه - رحمه الله - عبر عنها بـ «صحيحة أبان بن تغلب» في كتابه (غنائم الأيام: ٣ / ٣٩٥) في حديث عمّن يسقط عنه الكفن من أحكام الأموات.

٨ - جامع الشتات: ١ / ٣٦٧.

٩ - م.ن. ٣٥٧.

١٠ - يُلاحظ على استعماله (الصحيح عن) بنفس ما تقدّم على سابقه.

١١ - جامع الشتات: ١ / ٣٥٧ - ٣٥٨، ويُنظر: الكافي: ٥ / ٢١ / ح ٢.

- ١٢ - م.ن.
- ١٣ - م.ن، ويُنظر: تهذيب الأحكام: ٦ / ١٦١ / ح ٣.
- ١٤ - التوبة: ١٢٣.
- ١٥ - جامع الشتات: ١ / ٣٥٨، ويُنظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٥ / ١٤٥، لكن سبق إلى ذلك الشيخ الطوسي في (التبيان)، قائلاً: «وذلك يدلّ على أنّه يجب على أهل كلّ ثغر أن يقاتلوا دفاعاً عن أنفسهم إذا خافوا على بيضة الإسلام إذا لم يكن هناك إمام عادل». التبيان في تفسير القرآن: ٥ / ٣٢٣.
- ١٦ - جامع الشتات: ١ / ٣٥٨.
- ١٧ - شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام: ١ / ٢٣٥، وتذكرة الفقهاء: ٩ / ١٤، وجواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: ٢١ / ٤٩-٥٠، وغيرها.
- ١٨ - يلاحظ: جامع الشتات: ١ / ٣٥٨-٣٥٩.
- ١٩ - جامع الشتات: ١ / ٣٧٧ وما بعدها.
- ٢٠ - النصوص الصادرة عن ساحة السيد السيستاني - دام ظلّه - في المسألة العراقية: ص ٢٢١.
- ٢١ - حيث قال: «والأولى أن يُبدأ بقتال من يلي دار الإسلام؛ لقوله تعالى: (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار)، إلا أن يكون الخوف من الأبعد أكثر فيبدأ بهم». تذكرة الفقهاء: ٩ / ١٤.
- ٢٢ - منهاج الصالحين: ١ / ١٩١ / مسألة ٢٨٢.
- ٢٣ - كشف اللثام عن قواعد الأحكام: ٦ / ٣١٠.
- ٢٤ - تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية: ٢ / ١٣٢، ويُنظر: تذكرة الفقهاء: ٩ / ٢٠-١٩.
- ٢٥ - جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: ٢١ / ١٥-١٦.
- ٢٦ - يُنظر: تذكرة الفقهاء: ٩ / ٤٥٣.
- ٢٧ - يُنظر: كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء: ٢ / ٣٨١.
- ٢٨ - يُنظر: المعبر في شرح المختصر: ١ / ٣٠٩.
- ٢٩ - يُنظر: ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: ١ / ٣٢١.
- ٣٠ - يُنظر: جامع المقاصد في شرح القواعد: ١ / ٣٦٥.
- ٣١ - تذكرة الفقهاء: ٩ / ٤١٧، ويُنظر: منتهى المطلب: ٢ / ٩٨٦.
- ٣٢ - عباس تبريزيان في ترجمته للمحقّق القميّ في مقدّمة كتابه غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام: ١ / ٤٥.
- ٣٣ - جامع الشتات: ١ / ٣٧٠-٣٧١.

المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم
- * أمالي الصدوق، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، المتوفى ٣٨١هـ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعث، قم، إيران، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ.
- * التبيان في تفسير القرآن، للطوسي، لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى ٤٦٠هـ، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- * تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية، العلامة الحلي، الحسن بن يوسف المطهر، المتوفى ٧٢٦هـ، تحقيق الشيخ إبراهيم البهاري، نشر مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- * تذكرة الفقهاء، للعلامة الحلي، الحسن بن يوسف المطهر، المتوفى ٧٢٦هـ، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- * تهذيب الأحكام، للشيخ الطوسي، أبي جعفر، محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى ٤٦٠هـ، تحقيق السيد حسن الموسوي الخراساني، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة ١٣٦٤ش.
- * جامع الشتات، للمحقق أبي القاسم القمي، المتوفى (١٢٣١هـ)، تحقيق مرتضى رضوي، نشر كيهان، إيران، الطبعة الأولى ١٣٧١ش.
- * جامع المقاصد في شرح القواعد، للمحقق الكركي، الشيخ علي بن الحسين الكركي، المتوفى ٩٤٠هـ، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، قم، المطبعة المهدوية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- * جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، للجواهري، الشيخ محمد حسن بن باقر بن عبد الرحيم بن محمد، النجفي، الجواهري، المتوفى ١١٦٦هـ، تحقيق الشيخ عباس القوجاني، طبع دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية ١٣٦٥ش، طهران، إيران.
- * الخصال، للصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المتوفى ٣٨١هـ، تحقيق: علي أكبر غفاري، نشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ١٤٠٣هـ.
- * ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، للشهيد الأول، محمد بن جمال الدين مكي العاملي، المتوفى ٧٨٦هـ، طبع مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- * روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، للسيد محمد باقر الخوانساري، المتوفى ١٣١٣هـ، تحقيق أسد الله إسماعيليان، نشر دهاقاني، إيران، قم، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ.
- * شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، للمحقق الحلي، أبي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي، المتوفى (٦٧٦هـ)، تحقيق السيد صادق الشيرازي،

- نشر استقلال طهران، قم، مطبعة أمير، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
- * غنائم الأيَّام في مسائل الحلال والحرام، للميرزا أبو القاسم القمِّي، المتوفى ١٢٣١هـ، تحقيق عباس تبريزيان، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، خراسان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- * فقه الرضا عليه السلام، منسوب للإمام الرضا عليه السلام، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- * الكافي، للكُليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُليني الرازي، المتوفى ٣٢٩هـ، صححه وعلّق عليه: علي أكبر غفاري، نشر: دار الكُتب الإسلاميّة، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٧ش.
- * كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، للشيخ جعفر المعروف بـ(كاشف الغطاء)، المتوفى (١٢٢٨هـ)، نشر مهدوي، أصفهان.
- * كشف اللثام عن قواعد الأحكام، للفاضل الهندي، الشيخ محمد بن الحسن المعروف بالفاضل الهندي، المتوفى سنة ١١٣٧هـ، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- * الكنى والألقاب، للشيخ عباس القمي، المتوفى (١٣٥٩هـ)، تقديم محمد هادي الأمين.
- * مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي، أبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي، المتوفى (٤٥٨هـ)، تحقيق لجنة من العلماء، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- * المُعتبر في شرح المُختصر، للمُحقّق الحليّ، أبي القاسم جعفر بن الحسن الحليّ، تحقيق عدّة من الأفاضل، نشر مؤسسة سيد الشهداء، قم، سنة ١٣٦٤ش.
- * المنع، للصدوق، أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ، المتوفى ٣٨١هـ، تحقيق لجنة التحقيق التابعة لمؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، نشر مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، قم، مطبعة اعتماد، ١٤١٥هـ.
- * منتهى المطلب في تحقيق المذهب، للعلامة الحليّ، أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأَسديّ، المتوفى ٧٢٦هـ، طبع الاستانة الرضويّة المقدّسة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ.
- * النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستانيّ في المسألة العراقيّة، حامد الخفّاف، معاصر، نشر دار المؤرّخ العربيّ، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة ١٤٣٦هـ.

دور فتوى الدفاع الكفائي في التحفيز النفسي للمجتمع العراقي من وجهة نظر طلبة الجامعات

أ.د. نجم عبدالله غالي الموسوي / كلية التربية / جامعة ميسان

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى معرفة أثر فتوى الدفاع الكفائي في التحفيز النفسي للمجتمع العراقي من وجهة نظر طلبة الجامعة ، ولتحقيق أهداف البحث استعمل الباحث منهج البحث الوصفي ، ولما كان لطلبة المرحلة الجامعية من أهمية كبيرة اختارهم الباحث مجتمعاً لبحثه ، واقتصر البحث على طلبة كلية التربية / جامعة ميسان ، للعام الدراسي ٢٠٢٣ - ٢٠٢٤ ، تكونت عينة البحث الكلية من (٢٠٠) طالب وطالبة . أعد الباحث في بداية الأمر استبانة استطلاعية لمعرفة اثر فتوى الدفاع الكفائي في التحفيز النفسي للمجتمع العراقي تضمنت السؤال الأتي : ما أثر فتوى الدفاع الكفائي في التحفيز النفسي للمجتمع العراقي ؟ وعرضت على عينة استطلاعية بلغت (١٠٠) طالب وطالبة ، بعدها أعد الباحث الاستبانة النهائية التي صاغتها على وفق إجابات طلبة الجامعة ، تم التأكد من الصدق الظاهري للاستبانة بعرضها على مجموعة من الخبراء والمتخصصين في العلوم التربوية والنفسية ، وحُسب ثباتها بطريقة إعادة التطبيق إذ بلغت درجة ثباتها (٨٧،٠) ، ثم عرضت الاستبانة النهائية على العينة الأصلية المكونة من (١٠٠) طالب وطالبة . وبعد معالجة البيانات حسابياً وإحصائياً أوضحت نتائج البحث أن هناك اثر كبير لفتوى الدفاع الكفائي في التحفيز النفسي للمجتمع العراقي ورفع معنوياته النفسية والقتالية وتحصينه الفكري والنفسي في مواجهة قوى الشر المتمثلة بداعش الإرهابي ، وفي ضوء النتائج قدم الباحث مجموعة من التوصيات والمقترحات .

الكلمات المفتاحية : فتوى الدفاع الكفائي ، التحفيز النفسي .

Abstract

The current research aims to find out the effect of the Sufficient Jihad Fatwa on the psychological motivation of Iraqi society from the point of view of university students. To achieve the research objectives, the researcher used a descriptive research approach. Since university students are of great importance, the researcher chose them as a group for research, and the research was limited to students of the College of Education/University of Maysan, for the academic year 2023-2024, the total research sample consisted of (200) male and female students.

The researcher initially prepared an exploratory questionnaire to determine the effect of the Sufficient Jihad Fatwa on the psychological motivation of Iraqi society. It included the following question: What is the effect of the Sufficient Jihad Fatwa on the psychological motivation of Iraqi society? It was presented to a survey sample of (100) male and female students, after which the researcher prepared the final questionnaire, which he formulated according to the answers of the university students. The apparent validity of the questionnaire was confirmed by presenting it to a group of experts and specialists in the educational and psychological sciences, and its stability was calculated by the method of re-application, as it reached the degree of stability. (87.0), then the final questionnaire was presented to the original sample of (100) male and female students.

After processing the data mathematically and statistically, the results of the research showed that there is a significant impact of the Sufficient Jihad Fatwa on the psychological stimulation of the Iraqi society, heightening its psychological and combat morale and strengthening it intellectually and psychologically in the face of , the evil forces, the terrorist ISIS. In light of the results, the researcher shows a set of recommendations and proposals.

Keywords: Keywords: Sufficient Jihad Fatwa, psychological motivation.

المبحث الأول

مشكلة البحث :

تعرض المجتمع العراقي في مدّة غزو داعش الإرهابي إلى حملة إعلامية شعواء نظمتها مؤسسات إعلامية كبيرة أرادت أن تسبب فقدان التوازن والدعم النفسي للدولة والمجتمع ، ولا بد من بيان أن وسائل الإعلام لها السطوة الكبيرة على سلوك المجتمعات، فقد يتأثر الفرد أو مجموعة أفراد بما تعرضه هذه الوسائل من أفكار وآراء وأحداث ومواضيع عرضت بوسائل وأساليب جديدة مقنعة ظاهرياً أو بأطر سيكولوجية تؤثر على فكر الفرد والمجتمع وتجعلهم يتفاعلون مع هذه المادة المعروضة وسعيّاً لخلق القنوات لديهم مع علم الأفراد والمجتمع بان ما يعرض لا يتلاءم مع منظومته الفكرية والأخلاقية والتربوية .

وقد تم توجيه الإعلام العالمي بصورة مخططة ومدروسة وذات غايات وأبعاد متعددة الاتجاه ، لغرض تحريك الفرد أو المجتمع نحو موضوع سلبي معين أو تثبيط عزميتهم ، وبذلك يشن الإعلام هجوماً غير مسلح على عقليّة الفرد والجماعة وعلى ذاتهم ونفسيّتهم ومن ثمّ تحقّق الأجندة المرسومة لتسهيل انقياد المستهدف وتحويله إلى كائن مسلوب الإرادة والسيطرة على عقله وجعله يعيش ضمن دائرة اللا شعور .

ومّا لا يخفى أنّ مجتمعاتنا الإسلامية على مر التاريخ تواكب وتعيش حروباً عسكريّةً مع قوى الاستكبار العالمي المتمثلة بالغرب، وفي الوقت نفسه تواكب الحرب الفكرية أو ما يُطلق عليها (الحرب الناعمة أو الإعلامية أو النفسية) والتي تعتمد على الدعاية المضللة في الإعلام^(١).

واعتمدت قوى الشر الحرب النفسية كمبدأ مهم من مبادئ الإعلام بوسائله ومؤسّساته الحديثة بخاصّة بين الدول والمجتمعات التي تعيش من حالة الحرب الباردة ، فكل مؤسسة إعلامية تُحاول أن تجعل الحرب النفسية

والدعاية نقطة انطلاق في مواجهة الآخر والنيل منه على الأصعدة كافة سواء السياسية أم الدينية أم الاقتصادية أم الاجتماعية أم العسكرية وغيرها .

فأصبحت الحرب النفسية مصدراً كبيراً للضعف النفسي للمجتمع العراقي قيادة وجيشاً وشعباً ، فالحرب النفسية هي شن هجوم مبرمج على نفسية الفرد والجماعة وعقليتهم ؛ لغرض إحداث التفكك والوهن والارتباك فيهما وجعلها فريسة لمخططات الجهة صاحبة العلاقة وأهدافها^(٢) .

وعادة ما تعاني الشعوب من الصدمات النفسية في أوقات الأزمات التي تهز كيانها وتنخر نسيجها وتحاول تخريب عقائدها ، وقد عانى المجتمع العراقي من صدمة نفسية قاسية شكلت نسبة كبيرة من الانهيار النفسي والنكوص والإحباط كون العدو بدأ بهجمة شرسة وقوية أدت إلى أن يحقق الكثير من المكاسب ويسيطر على العديد من المناطق والمحافظات العراقية . الأمر الذي جعل الفرد العراقي المجتمع العراقي يعيشان في مأزق الاضطراب الانفعالي والقلق حيال بعض الأمور وزعزعة شخصيتهما ونفسيتهما وربما الاختراق النفسي الذي يؤدي إلى الانهيار والضعف والاستسلام والشعور بعدم القدرة والاستطاعة على مواجهة الأمور الصعبة ، وهذا ما وجدناه فعلا هذه الأيام من خلال الحرب الواقعية الداعشية والحرب الإعلامية العالمية الداعشية التي شنت على العراق ، لكن الله سبحانه وتعالى وفيوضات أهل البيت عليهم السلام على هذه البلاد المقدسة وحكمة سماحة الأمام السيستاني (دام ظلّه) وتضحيات الأبطال من رجالات العراق أحببت كل هذه المحاولات وأعدت العزة للعراق أرضاً وشعباً .

وتمثلت مشكلة البحث بالإجابة عن التساؤل الآتي : هل لفتوى الدفاع الكفائي دورٌ في تحقيق الدعم النفسي للمجتمع العراقي ؟ .

أهمية البحث :

تعتبر فتوى الدفاع الكفائي التي أصدرها الإمام السيستاني (دام ظلّه) ظاهرة ملفتة للنظر، فقد تحطت الحدود المحلية والإقليمية وانطلقت إلى حدود العالمية، وأخذت صدى كبيراً في الأوساط المحلية والعربية والعالمية وملأت أذهان المهتمين والباحثين والدارسين من مختلف الأديان والمذاهب والقوميات والشعوب، لأنها فتوى دينية سياسية اجتماعية فريدة من نوعها جاءت بوقت مناسب وقد سلطت عليها الأضواء الدينية والتربوية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتاريخية وغيرها لكونها أجهضت مخططاً عدائياً كان يرسم لنفسه أبعادا وأوجه يكمن وراءها الاستكبار العالمي وأعداء الدين والمذهب والشعب العراقي .

فنرى العديد من الشخصيات الاجتماعية والسياسية والدينية والإعلامية بمختلف انتماءاتها واتجاهاتها أقرت واعترفت باهمية هذه الفتوى المباركة في حفظ العراق وشعبه ومقدساته، فضلا على ذلك كتبت عنها الأقلام في بقاع العالم المختلفة في الجرائد والمجلات والمؤلفات والموسوعات وفي وسائل الاتصال الجماهيري المتعددة بأنها القشة التي قصمت ظهر الإرهاب وأعوانه وقادته .

وقد أصدر الإمام السيستاني (دام ظلّه المبارك) هذه الفتوى المباركة بتاريخ ٢٠١٤ / ٦ / ١٣ بعد الاحتلال الهمجي وسيطرة فلول الجماعات الإرهابية على بعض المحافظات العراقية وجاءت هذه الفتوى المباركة لحفظ العراق وشعبه ولصيانة المقدسات ودفع الشر عن هذا البلد وعن أبنائه بطوائفهم وانتماءاتهم المختلفة والمتعددة .

وقد كان للفتوى دور كبير في مواجهة الحرب الإرهابية الشاملة التي كادت أن تجتاح العراق والمنطقة وتخلق حالة إرباك كبير بسبب تمدد الإرهابيين وسرعة انتشارهم وسيطرتهم على مناطق شاسعة من العراق، فلولا هذه الفتوى المباركة لشهدت المنطقة برمتها وليس العراق فحسب بل العالم العربي

والإسلامي حرباً واقتتالاً طائفياً يهلك الحرث والنسل ويبيد المنطقة برمتها فضلاً على الدمار الذي سيحلق بالبلاد والعباد .

وتجلت أهمية البحث هذا فيما يأتي :

١. بيان أهمية المرجعية الدينية الشيعية في حفظ البلاد والمنطقة .
٢. توضيح الدور السياسي للمرجعية الشيعية العليا .
٣. تأكيد الأثر الأبوي للمرجعية الشيعية العليا واحتضانها كل الطوائف والقوميات .
٤. أهمية فتوى الدفاع الكفائي في مساندة الشعب العراقي ورفع الروح المعنوية للشعب وإسهامها في حفظ الدين والبلد والمجتمع .
٥. إن هذا البحث يسهم في بيان أهمية التحفيز النفسي والدعم المتواصل لبناء الفرد والمجتمع والصمود بوجه المعتدين .
٦. توجيه أنظار المتخصصين في العلوم التربوية والنفسية إلى ضرورة دراسة أهمية فتوى الدفاع الكفائي في تثبيت نفسية الفرد والمجتمع وبيان الهجمة الإرهابية على بلدنا وبيان أثرها وترسباتها النفسية والمعنوية .

ثالثاً : هدف البحث : هدف هذا البحث إلى معرفة دور فتوى الدفاع الكفائي في تحقيق الدعم النفسي من وجهة نظر طلبة الجامعات .

حدود البحث :- يتحدّد هذا البحث بما يأتي :

* الحد البشري : طلبة جامعة ميسان .

* الحد الزماني : العام الدراسي ٢٠٣٤ / ٢٠٢٤ .

خامساً : مصطلحات البحث :

١. فتوى الدفاع الكفائي :

وهي الفتوى التي أصدرها المرجع الديني الأعلى الإمام علي الحسيني السيستاني في صلاة الجمعة التي ألقاها الشيخ عبد المهدي الكربلائي في الصحن الحسيني الشريف لمواجهة التمدد التكفيري لعصابات داعش التي

تمكنت من السيطرة على مدينة الموصل ، مركز محافظة نينوى شمال العراق في العاشر من حزيران عام ٢٠١٤ (٣) .

التعريف الإجرائي :

وهي فتوى دينية شرعية صدرت من المرجع الديني الأعلى في العراق آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه) في النجف الاشرف بتاريخ ١٣ / حزيران / ٢٠١٤ واستجاب لفتواه جمع غفير من مقلديه ومن غيرهم داخل العراق وخارجه، حتى من المذاهب الأخرى ومن الديانات الأخرى لأنها كانت تهدف إلى حماية العراق وشعبه من دنس الإرهاب والتكفير .

وجاءت بما نصه : ((إن طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق وشعبه في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن هذا الوطن وأهله وأعراض مواطنيه وهذا الدفاع واجب على المواطنين بالوجوب الكفائي، ومن هنا فإن على المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح ومقاتلة الإرهابيين دفاعاً عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم عليهم التطوع للانخراط في القوات الأمنية لتحقيق هذا الغرض المقدس)) .

٢. التحفيز النفسي :

وهو عملية شحن وتقوية المشاعر والأحاسيس الداخلية التي تقود الفرد والمجتمع إلى تحقيق أهدافهم وتسهيل عليهم أداء مهامهم بصورة صحيحة وتوصلهم إلى النجاح المثمر بتقديم أقصى ما لديهم من قدرات وقابليات (٤) .

التعريف النظري :

ويقصد به خلق الرغبة والدافعية والأمل والطموح لدى الفرد والمجتمع في إعطاء وبذل جهد أعلى من الطاقات المتاحة وتسخير الإمكانيات والطاقات الكامنة كافة لديهم لتحقيق أهدافهم الذاتية وغيرها على مستوى الفرد والمجتمع، وعليه فأن التحفيز يركز على بذل الكثير من الجهود مع وجود أهداف واضحة محددة وغايات متوافقة مع إمكانات الفرد والمجتمع .

المبحث الثاني

أولاً: الجوانب النظرية :

* مفهوم الحرب النفسية :

إن الحرب النفسية اليوم هي عبارة عن حرب تغيير قناعات وسلوكيات ومبادئ للأفراد والمجتمعات والشعوب سواء كانوا مدنيين أم عسكريين ، وتعتبر الحرب النفسية والإشاعة النفسية من اخطر الأسلحة الفتاكة لأنها تُهاجم المعنويات والإرادات وتضعفها فتدب عملية اليأس والقنوط ومن ثم الانكسار والانزمام وبعدها يحقق العدو مآربه وغاياته وأهدافه ، فالحرب النفسية هي حرب معنوية وليست مادية وهناك من يسميها حرب الأفكار أو الحرب الدعائية، فهي حرب لها أسسها وقواعدها وقد استعملتها دول متحاربة كثيرة على مر التاريخ وهي جزء من أساسيات علم النفس العسكري .

إن الحرب النفسية هي أكثر خطورة من الحرب العسكرية؛ لأنها تستعمل وسائل متعددة، إذ توجه تأثيرها على أعصاب الناس ومعنوياتهم ووجدانهم، وفوق ذلك كله تكون مقنعة بحيث لا ينته الناس إلى أهدافها ومن ثم لا يجتاطون لها^(٥) .

وهذا ما حصل فعلاً في العراق عندما تعرض لهجمة إرهابية شرسة رافقها استعمال مخطط للدعاية من مؤسسات إعلامية دعائية عالمية وقفت وراءها دول كبيرة استهدفت الشعب العراقي بغية التأثير على آرائه واتجاهاته وسلوكه تأثيراً سلبياً يرافق الهجمة العسكرية الإرهابية بهدف هدم كل قوى الدولة والمجتمع وإخضاعها وإثبات فشلها وعدم قدرتها على الصمود بوجه الأعداء كمبدأ أولي لاجتياح البلد .

أساليب الحرب النفسية :

تستعمل الحرب النفسية أسلوبين أساسيين يذكرها^(١) وهما :

١ . الدعاية : وتعتمد على استعمال وسائل الإعلام الحديثة من نشر وترويج

للأفكار والمعتقدات والأخبار التي تود نشرها وترويجها بغرض التأثير في

نفسية الأفراد والمجتمعات وخلق اتجاهات معينة لديهم .
والدعية بوصفها أسلوباً من أساليب الحرب النفسية تأخذ أشكالاً متنوعة طبقاً
للأهداف وطبقاً لنوع الفرد والجماعات الموجهة إليهم، فالدعاية تستهدف الاقتناع
بالنصر وإقناع العدو بهزيمته وتشكيكه بمبادئه ومعتقداته الوطنية والروحية وبذر الشك
في نفوس أفرادها، وكذلك تستهدف بث الفرقة وعدم الوئام بين صفوف الخصم ووحداته
المقاتلة، وتقصد من وراء ذلك كله تفتيت الوحدة وتفريق الصفوف ليسهل لها النصر .
٢. الشائعة :

وهي عبارة نوعية أو موضوعية مقدمة للتصديق تتناقل من شخص لآخر، وهي
تعتمد على المبالغة في أخبار معينة والترويج لها ونشرها على نطاق واسع أو خلق أخبار
لا أساس لها من الصحة، بهدف التأثير على الرأي العام تحقيقاً لأهداف سياسية أو
اقتصادية أو عسكرية، وتستعمل الشائعة في أوقات الأزمات ويُعدُّ من الحرب أنسب
وقت لتلك الشائعات ونشرها؛ إذ يكون الأفراد في حالة استعداد نفسي لتصديق كثير
من الأخبار والأقاويل بسبب حالة التوتر النفسي الذي يعيشونه .

مواجهة الحرب النفسية : تمَّ مواجهة الحرب النفسية باستعمال الوسائل الآتية :

١. التوكُّل على الله تعالى وشحذ الهمم والإيمان المطلق بعون السماء ومساندتها .

٢. رفع الروح المعنوية للفرد والمجتمع .

٣. تبصرة الفرد والمجتمع بالطاقات الكامنة لديه .

٤. غرس روح التعاون والتآزر والتكاتف في صفوف المجتمع .

٥. تحديد نقاط القوة والعمل على تعزيزها .

٦. تشخيص نقاط الضعف والعمل على علاجها ووضع المقترحات

اللازمة لذلك .

٧. استعمال وسائل الإعلام المناسبة وبيان أكاذيب العدو وحيله وخدعه وأكاذيبه .

٨. إظهار أثر القادة وصانعي النصر الذين يتمتعون بقبول ولديهم شخصيات متميزة .

٩. الاستمرار بالتوعية المناسبة عن طريق وسائل الإعلام المختلفة .

١٠. بيان التقدم الحاصل وتسجيل الإنجازات العسكرية الايجابية كافة .

أثر الإعلام في الحرب النفسية :

- اعتماد الحروب النفسية كمبدأ مهم من مبادئ الإعلام بوسائله ومؤسساته الحديثة وخصوصا بين الدول والمجتمعات التي تعيش حالة الحرب الباردة ، فكل مؤسسة إعلامية تحاول أن تجعل الحرب النفسية والدعاية نقطة انطلاق في مواجهة الآخر والنيل منه على الأضعدة كافة سواء السياسية أم الدينية أم الاقتصادية أم الاجتماعية أم العسكرية وغيرها .

- العمل على زعزعة الأفكار المترسخة في ذهنية الفرد والمجتمع بالأمور المسلمة لديه وخصوصا الأمور العقائدية وغيرها وخلق إحساس لدى الآخرين بضعف قدراتهم وقابليّاتهم وعدم الاستطاعة على المواجهة والتصدي وتضخيم قدرات العدو وجعلها حالة أسطوانية .

- زرع حالة الكراهية والعدوان والحقْد بين الأفراد أو المجتمعات أو الأديان أو الطوائف أو القوميات (إثارة النعرات) لأجل إدامة الصراعات وتضعيف المقابل وإشغالهم فيما بينهم وتمرير المخططات والأهداف المرسومة أي استغلال الأطراف المتنازعة وتحقيق المآرب المقصودة .

- عمل وسائل الإعلام المعادية على إبعاد المجتمع المسلم عن المنظومة الدينية وعن القيم التربوية الأصيلة والأعراف الاجتماعية الجيدة ومحاولة إيجاد بدائل لا تتناسب مع طبيعة المجتمعات الإسلامية المؤمنة بحجة أن الجديد عصري وحضاري وهادف فيُسوّق بصورة إعلامية دعائية محببة .

- إشعار المجتمعات الإسلامية أن سبب تدهورها وما آلت إليه الأوضاع فيها هو تصدي أصحاب الدين للمناصب القيادية ، أو إعطاء صورة مشوهة عن الدين الإسلامي عن طريق إيصال الفرد إلى رؤية وقناعة جديدة هي أن كل مشكلات

البلدان الإسلامية قائمة بسبب الدين ، وكأنما الدين هو السبب في الأوضاع التي تعيشها البلدان الإسلامية ويملون على ذهنية الفرد والمجتمع ضرورة الابتعاد عن الدين للتخلص من كل هذه المتاعب والمصاعب، وللأسف قد ينصاع وراء هذه الأفكار بعض الضعفاء في بنيتهم الفكرية والذهنية والعقدية .

- حرف الحقائق عن مجراها السليم وتحويلها إلى وجهه أخرى غير وجهتها الحقيقية، ومن ثم تضليل الرأي العام للمجتمع عن المفاهيم والمعطيات الحقيقية ، وقيادة تفكير الفرد والمجتمع إلى مناطق قد تكون معاكسة للحقائق .

- تشويه الصورة الحقيقية للواقع أو إعطاء تبريرات تبدو في الظاهر مقنعة لبعض الأخطاء السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية وإكسائها بثوب التبرير لإعطائها صفة شرعية .

- جعل الفرد أو المجتمع يعيشان في مأزق الاضطراب الانفعالي والقلق حيال بعض الأمور وزعزعة شخصيتهما ونفسيتهما وربما الاختراق النفسي الذي يؤدي إلى الانهيار والضعف والاستسلام والشعور بعدم القدرة والاستطاعة على مواجهة الأمور الصعبة ،

ثانياً : الدراسات السابقة :

١ . دراسة (الحدر اوي ٢٠١٩) : الموسومة : (دور المرجعية الدينية في الدفاع عن العراق ، خطب الجمعة السياسية أنموذجاً - قراءة تحليلية) .

أجريت هذه الدراسة في العراق وهدفت إلى معرفة دور المرجعية الدينية في الدفاع عن العراق وبيانها، واعتمد الباحث منهج البحث التحليلي لخطب الجمعة للعام ٢٠١٤ التي بلغ عددها (٥٢) خطبة .

وبعد تطبيق المنهج التحليلي أوضح الباحث حرص المرجعية الدينية في خطب الجمعة على وحدة العراق وسيادته وسلامة شعبه وتماسك نسيجه الاجتماعي ، ومحاربة المنطلق الطائفي وان خطب المرجعية حرصت على

الانخراط ضمن صفوف الجيش والقوات الأمنية الرسمية للدفاع عن البلد وحمايته ، كما أكدت الخطاب على أهمية بناء مؤسسات الدولة المدنية والأمنية بطريقة مهنية وعلمية بعيدة عن المحاصصة والتوافقات السياسية .

٢. دراسة (الربيعي ٢٠١٩) : الموسومة : (فتوى الدفاع المقدس ودورها في تغيير معادلة التوازن الاستراتيجي في الحرب ضد تنظيم داعش الإرهابي) .
أجريت هذه الدراسة في العراق وهدفت إلى تسليط الضوء على دور فتوى الدفاع المقدس وبيان أثر خطب الجمعة في تحقيق التوازن الاستراتيجي وإشاعة روح التضحية لتحرير الأراضي التي احتلها داعش الإرهابي في العراق ، وكان منهج الباحث إظهار القيم والمعاني السامية والصور الإنسانية الرائعة التي أظهرتها وسلطت الضوء عليها فتوى الدفاع المقدسة عن طريق منهج تحليلي وقراءة عسكرية تتلمس ملامح العلاقة والتواصل بين المرجعية الدينية والمقاتلين .

وقد توصلت الدراسة إلى نجاح فتوى الدفاع المقدس في تحقيق مبتغياتها وضمان التوازن الاستراتيجي لصالح قواتنا في المنطقة عن طريق تطوع كم كبير من المواطنين ومن ثم تحقيق انتصارات كبيرة .

٣. دراسة (الشويبي ، ٢٠٢٠) : الموسومة : (دور المرجعية في حفظ المجتمع من الإرهاب - فتوى الجهاد الكفائي أنموذجاً) .

أجريت هذه الدراسة في العراق وهدفت إلى معرفة دور المرجعية في حفظ المجتمع من الإرهاب واختصت الدراسة بفتوى الجهاد الكفائي لبيان دور المرجعية .

استعمل الباحث المنهجية النظرية في دراسته ، وقد بين إسهامات فتوى (الجهاد الكفائي) التي أطلقها المرجع الديني الأعلى السيد علي السيستاني (دام ظلّه) في الثالث عشر من حزيران من العام ٢٠١٤ ضد تنظيم داعش الإرهابي في سد الطريق أمام كارثة كادت تحل بالعراق والمنطقة بصورة عامة .
ووجد الباحث أن هذه الفتوى قد لاقت ترحيب سريع من مختلف المحافظات

العراقية عموماً، والوسطى والجنوبية خصوصاً استجابة لهذه الفتوى .
وفي ضوء ما ذكر آنفاً فقد جاءت فتوى (الجهاد الكفائي) لصيانة النفوس والأعراض والمقدسات . وبرز دور المرجعية الدينية المتمثلة بالمرجع الديني الأعلى السيد علي السيستاني (دام ظله) التي توضح للناس نهج القرآن الكريم، إذ تعتمد في أساليب الدعوة على الحكمة والموعظة الحسنة ومخاطبة الناس بالأسلوب المناسب لهم تنفيذاً للتوجيه الرباني.

مناقشة الدراسات السابقة :

١. تناولت الدراسات السابقة جميعها فتوى الدفاع الكفائي التي أصدرها سماحة الإمام السيستاني (دام ظله) ضد الإرهاب في العراق والمنطقة وكذلك دراستنا هذه.
٢. أجريت الدراسات السابقة في العراق وكذلك هذه الدراسة.
٣. دراستان من الدراسات السابقة استعملت منهج البحث التحليلي وهما دراسة (الحدراوي، ٢٠١٩) ودراسة (الربيعي، ٢٠١٩)، واستعملت دراسة (الشويلي، ٢٠٢٠) المنهج النظري، أمّا دراستنا هذه فقد استعمل الباحث فيها منهج البحث الوصفي .
٤. تناولت الدراسات السابقة متغيّرات مختلفة، فدراسة (الحدراوي، ٢٠١٩) تناولت دور المرجعية الدينية في الدفاع عن العراق، أما دراسة (الربيعي، ٢٠١٩) تناول دور فتوى الدفاع المقدس في تغيير معادلة التوازن، ودراسة (الشويلي، ٢٠٢٠) تناولت دور المرجعية في حفظ المجتمع من الإرهاب، أما دراستنا فقد تناولت دور فتوى الدفاع الكفائي في تحقيق التحفيز النفسي من وجهة نظر طلبة الجامعات.
٥. من حيث العينة كانت عينة دراسة (الحدراوي، ٢٠١٩) خطبة الجمعة السياسية للعام ٢٠١٤ وكان عددها (٥٢) خطبة، أما دراسة (الربيعي، ٢٠١٩) فلم تحتو على عينة بل استعراض نظري للدراسة، أما دراسة (الشويلي، ٢٠٢٠) كانت عينتها فتوى الدفاع الكفائي، وأما دراستنا فقد كانت العينة طلبة جامعة ميسان .

المبحث الثالث

إجراءات البحث : لغرض تحقيق أهداف هذا البحث أجرى الباحث ما يأتي :

أولاً :- تحديد مجتمع البحث :-

اعتمد الباحث في بحثه منهجاً تقع ضمنه الدراسات المسحية، وهو منهج البحث الوصفي ؛ لأنه يُعنى بجمع الحقائق والبيانات والمعلومات عن الظاهرة أو المشكلة ومتابعتها بدقة، وتحليلها وتفسيرها والموازنة بينها، فهو لا يكتفي بالوصف فقط، وإنما يُجمل ويفسّر ويقارن للوصول إلى تعميمات مُفسّرة ومُكمّمة يمكن الإفادة منها^(٧)، ويشمل مجتمع هذا البحث طلبة الجامعة للعام الدراسي ٢٠٢٣ - ٢٠٢٤ .

ثانياً :- عينة الدراسة :-

عينة الدراسة هي جزء من مجتمع البحث الأصلي ، يختارها الباحث بأساليب مختلفة ، وبطريقة تمثل المجتمع الأصلي ، وتحقق أغراض البحث ، وتُغني الباحث عن مشقة دراسة المجتمع الأصلي بكامله^(٨) .

اعتمد الباحث في سحب عينة البحث الأسلوب الطبقي العشوائي ، ويؤكد المتخصصون بمناهج البحث جدوى هذا الأسلوب عندما يكون هناك احتمال وجود اختلاف بين أفراد المجتمع قد يؤثر في نتائج البحث^(٩) . وبسبب كِبَر حجم المجتمع الأصلي وبسبب عدم قدرة الباحث على دراسة المجتمع بكامله لأسباب كثيرة منها الحاجة إلى جهد كبير ووقت طويل وإمكانات متعددة ، لذلك حدد الباحث عينة البحث بـ (٢٠٠) طالب وطالبة فقط ، ولكي يعطي الباحث تصوراً واضحاً عن عينة هذا البحث لتمثل المجتمع الذي أخذت منه تمثيلاً دقيقاً ، فإنه من الضروري وصف هذه العينة ، كما يأتي :-

١ . العينة الاستطلاعية : اختيرت هذه العينة من المجتمع الأصلي بصورة عشوائية بلغ عددها (١٠٠) طالباً وطالبة ، ووجّهت إليهم الاستبانة المفتوحة التي تتضمن السؤال الآتي : ما اثر فتوى الدفاع الكفائي في التحفيز النفسي

للمجتمع العراقي من وجهة نظر طلبة الجامعة ؟

٢. العينة الأصلية :- بلغ عدد أفراد هذه العينة (١٠٠) طالب وطالبة من كلية التربية جامعة ميسان ، عرضت عليه الاستبانة المغلقة .

ثالثاً :- إعداد الأداة (الاستبانة) :-

وهي من أكثر أدوات البحث شيوعاً إذ تستخدم في معظم مجالات البحث العلمي والدراسات المختلفة بشكل يؤكد أنها ابرز أدوات البحث العلمي^(١٠) . في البداية أعد الباحث استبانة مفتوحة وجهها إلى عينة البحث المتمثلة بطلبة جامعة ميسان وتكون الاستبانة المفتوحة في اغلب الأحيان خطوة أولى لإعداد الاستبيان الخاص بالبحث^(١١) وعلى وفق إجابات الاستبانة المفتوحة أعد الباحث الاستبانة المغلقة ، إذ رتبها على وفق مستويات تكرارها في الاستبانات المفتوحة وبلغت عدد فقراتها (٢٥) فقرة (ملحق -١) .

رابعاً :- صدق الأداة :-

وهو أن يقيس المقياس أو الاستبانة أو الاختبار ما أعد لقياسه (الأسدي ، ٢٠٠٨ ص ١٠٦) .

وحتى تكون استبانة البحث صادقة في قياس ما صممت لأجله اعتمد الباحث على آراء مجموعة من الخبراء في مجال العلوم التربوية والنفسية وعلم الاجتماع لاستطلاع آرائهم حول مدى صلاحية فقرات الاستبانة المغلقة في قياس المحتوى الذي وضعت لأجله ، وفي ضوء ملاحظات السادة الخبراء ومقترحاتهم عدّل الباحث صياغة بعض الفقرات من دون حذف أية فقرة إذ حصلت الفقرات كافة على نسبة اتفاق (٨٦٪) من آراء الخبراء (ملحق -٢) .

خامساً :- ثبات الأداة :-

إذ لا بد من التأكد من ثبات الأداة أي إنَّها تعطي النتائج نفسها عند تكرار تطبيقها على الأفراد أنفسهم وتحت الظروف ذاتها^(١٢) ، ويرى بعض

المتخصصين والتربويين أن استخراج معامل الثبات يعد شرطاً أساسياً للحصول على الموضوعية^(١٣).

وتعد طريقة إعادة التطبيق من أفضل الطرائق المستعملة لمعرفة ثبات الأداة (الاستبانة) في هذا النوع من البحوث وذلك عن طريق إيجاد معامل ارتباط (Pearson)، وأن معامل الثبات هو في الحقيقة معامل ارتباط بين علامات الأداة نفسها لمرات عديدة^(١٤).

وعلى هذا الأساس وزعت الاستبانة المغلقة على عينة خارجية بلغ عددها (١٠٠) طالب وطالبة، وبعد مرور عشرة أيام وزعت الاستبانة مرة ثانية على العينة نفسها، وكما يرى (الحكيم، ٢٠٠٤) فإن المدة المسموح بها بين تطبيق الأداة في كلتا المرتين يجب أن لا تطول، فبعض المؤلفين يذكر أن المدة أسبوع والبعض الآخر يذكر أنها أسبوعان^(١٥) وبعد إجراء العمليات الإحصائية تبين أن معامل ثبات الاستبانة هو (٨٤،٠) وهو معامل ثبات جيد للأداة.

سادساً:- تطبيق الأداة:- طبق الباحث الاستبانة النهائية (المغلقة) على عينة البحث الأساسية وقد أوضح الباحث كيفية الإجابة على الفقرات التي تتضمنها الاستبانة، وبعد الانتهاء من تطبيق الاستبانة المغلقة فحص الباحث الإستانات ومن ثم فرغ إجابات أفراد العينة في استمارات خاصة أعدت لهذا الغرض، وأجرى عليها العمليات الإحصائية المناسبة.

سابعاً:- الوسائل الإحصائية:-

١. معامل ارتباط (Pearson):- استُخدم في حساب معامل ثبات الأداة.

ن مج س ص - (مج س) (مج ص)

= ر

{ ن مج س - ٢ (مج س) } { ن مج ص - ٢ (مج ص) }

إذ تمثل: (ر) معامل ارتباط (Pearson)، (ن) عدد أفراد العينة، (س) قيم المتغير الأول، (ص) قيم المتغير الثاني (عطية، ٢٠٠١: ٣٨).

٢. النسبة المئوية: استخدمت في تحويل التكرارات في كل فقرة من فقرات الاستبانة إلى نسبة مئوية .

العدد الجزئي

$$\frac{\text{النسبة المئوية}}{100} = \text{العدد الكلي}^{(16)}$$

العدد الكلي^(١٦) .

٣. الوسط المرجح :- استُخدمَ في إيجاد الوسط المرجح لكل فقرة من فقرات الاستبانة .

$$\text{الوسط المرجح} = ت \times م + ٣ \times ل + ٢ \times ك + ١ \times ج / \text{مج ت}^{(17)} .$$

إذ إنَّ:-

ت م = عدد التكرارات عن (سبب رئيسي) لكل فقرة .

ت ل = عدد التكرارات عن (سبب متوسط) لكل فقرة .

ت ك = عدد التكرارات عن (لا تشكل سبب) لكل فقرة .

مج ت = مجموع تكرارات العينة الأساسية .

ولا بد من الإشارة إلى أنَّ أيَّ باحثين استخدموا المقياس (١ ، ٢ ، ٣)

حيث أعطى (٣) للفقرة التي تشكل سبباً رئيساً، و (٢) للفقرة التي تشكل سبباً متوسطاً، و (١) للفقرة التي لا تشكل سبباً .

٤. الوزن المثوي: لمعرفة درجات كل فقرة من الفقرات وترتيبها بالنسبة إلى

الفقرات الأخرى على وفق القانون الآتي :

$$\text{الوزن المثوي} = \frac{\text{الوسط المرجح}}{100} \times \text{الدرجة القصوى}$$

الدرجة القصوى : يقصد بها أعلى درجة في المقياس وهي (٣) .^(١٨)
 إن الوسط الفرضي الذي سيتم مقارنة الوسط المرجح معه ، قد استخرجته
 الباحثة عن طريق مقياس الاستبانة فيكون $(١ + ٢ + ٣) / ٣ = ٢$.

المبحث الرابع

عرض نتائج البحث ومناقشتها:

يعرض هذا الفصل النتائج التي توصل إليها البحث ومناقشتها ، إذ تم
 حساب تكرار استجابات الطلبة على فقرات الاستبانة المغلقة ، ومن ثم
 حساب الوسط المرجح لكل فقرة ووزنها المثوي ثم رتبت الفقرات ترتيباً
 تنازلياً ، من أعلاها حدة إلى أقلها حدة ، وفيما يأتي عرض النتائج :

جدول (١)

يبين دور فتوى الدفاع الكفائي في تحقيق التحفيز النفسي للمجتمع العراقي من
 وجهة نظر طلبة الجامعات مرتبة بصورة تنازلياً حسب الوسط المرجح والوزن المثوي.

الرتبة	تسلسل الفقرات	الفقرات (حسب الرتبة)	الوسط المرجح	الوزن المثوي
١	٣	تنمية الشعور بالإيمان بالله تعالى والاعتماد عليه وزيادة الثقة بالنفس .	٢,٨٩	٪٩٦,٦٦
٢	٨	محرابة الدعايات والإشاعات المغرضة .	٢,٨٨	٪٩٦
٣	١٠	إعطاء قيمة عليا للتضحية والفداء من اجل الدين والمذهب والمقدسات والوطن .	٢,٨٣	٪٩٤,٦٦
٤	١٦	تخفيف الضغوطات النفسية والابتعاد عن الجزع والفرع والحزن .	٢,٨٠	٪٩٣,٣٣

٥	١٣	التكاتف والتآزر بين أبناء المجتمع العراقي .	٢,٧٨	%٩٣
٦	٩	الإحساس بالقوة والإقدام والبسالة .	٢,٧٤	%٩١,٦٦
٧	٢٣	اكتشاف الطاقات والقدرات والقابليات الكامنة لدى الجيش العراقي والمجتمع .	٢,٧٢	%٩٠,٣٣
٨	٢٦	التفاؤل الجاد بالنصر والفوز ونبذ التشاؤم والنظرة السوداوية .	٢,٧١	%٩٠
٩	٢٢	بيان خطورة العدو وضرورة التهيؤ والاستعداد له .	٢,٦٦	%٨٨,٣٣
١٠	٢٧	تممية روح الإيثار والتضحية والفداء والعطاء والإقدام والتطوع في صفوف الجيش العراقي .	٢,٦٤	%٨٧,٦٦
١١	٢	زرع روح الشجاعة والقدرة على المواجهة .	٢,٥٦	%٨٥
١٢	٢١	التخلص من الرعب الذي بثه العدو في نفوس المجتمع العراقي .	٢,٤٨	%٨٢,٣٣
١٣	٦	الطاعة اللامحدودة لتوجيهات المرجعية الدينية العليا .	٢,٤٥	%٨١,٣٣
١٤	٢٠	تخفيف حالة الصراع النفسي والتوتر والقلق .	٢,٣٩	%٧٩,٣٣
١٥	١٧	التجهيز والاستعداد التام لمواجهة العدو بحزم وإرادة .	٢,٣١	%٧٦,٣٣

١٦	٢٤	تشجيع أفراد المجتمع كافة على مؤازرة المقاتلين ودعمهم معنويا ومادياً.	٢٠٣٠	٧٦,٣٣٪
١٧	٥	السعي لنيل شرف الشهادة .	٢٠٢٩	٧٦٪
١٨	٢٥	مواجهة الأزمات العسكرية بترواً وتفكير وبروح قتالية عالية .	٢٠٢٨	٧٦
١٩	١	تشكيل التدعيم النفسي عن طريق الصبر والصمود والثبات .	٢٠٢٦	٧٥٪
٢٠	١٢	نبذ روح العداة والطائفية بين أبناء المجتمع العراقي .	٢٠٢١	٧٣,٣٣٪
٢١	٤	اليقين والإيمان بعون الله ولطفه وتسديده نحو النصر المؤزر .	٢٠١٣	٧٠,٦٦٪
٢٢	١٨	العمل على بناء الذات وتطويرها لدى الفرد والمجتمع العراقي .	١٠٩١	٦٣,٣٣٪
٢٣	١٤	بث روح الدفاع والتصدي والمواجهة والمقاومة .	١٠٨٨	٦٢,٣٣٪
٢٤	١٥	محاربة روح الإحباط والفشل والانهمام .	١٠٨٣	٦٠,٦٦٪
٢٥	٧	الشعور العالي والكبير بالانتماء للدين والمذهب والوطن وضرورة الدفاع عنهم .	١٠٧٤	٥٨,٣٣٪
٢٦	١١	مقاومة الحرب النفسية العسكرية والدعاية والإشاعة المغرضة المقيتة .	١٠٧١	٥٦,٦٦٪

٢٧	١٩	تحقيق الشعور بالأمن والأمان والطمأنينة والاستقرار والالتزان الانفعالي .	١٠٦٧	٥٥,٣٣%
٢٨	٢٨	محرابة الروح الانهزامية والتعاس والتخاذل .	١٠٥٦	٥٢,٣٣%
٢٩	٣٠	تحسس النصر بوجود فتوى الدفاع الكفائي والابتعاد عن الصراع النفسي .	١٠٥١	٥٠%
٣٠	٢٩	الاستعداد التام وتهيئة القوة اللازمة .	١٠٥٠	٥٠%

مناقشة النتائج :

تضمن الجدول (١) (٣٠ فقرة) تراوحت حدتها (الوسط المرجح) بين (٢,٨٩ - ١,٥٠) وبأوزان مئوية بين (٩٦,٦٦٪ - ٥٠٪) ، وسيناقش الباحث الفقرات العشرة الأولى وكما يأتي :

١. أظهرت النتائج أن الفقرة (تنمية الشعور بالإيمان بالله تعالى والاعتماد عليه وزيادة بالثقة بالنفس) جاءت في المرتبة الأولى بدرجة حدة (٢,٨٩) وبوزن مئوي (٩٦,٦٦٪) . وهذا يدل على أن الفتوى المباركة للدفاع الكفائي نمت لدى المجتمع العراقي الاعتماد على الله تعالى في مواجهة العدو وأدت إلى زيادة الثقة بالنفس وهما عنصران أساسيان لتحقيق النصر والإقدام والمواجهة فالثقة بالنفس سبب لتحقيق وانجاز التفوق العسكري في ساحات القتال ، فاعتماد الصبر والثبات والقوة في الشخصية وزيادة قوة التحمل من أساسيات المعركة المملوءة بالمتاعب والمصاعب ، فالإنسان الصابر قوي الشخصية لديه إرادة وعزيمة وثقة بربه ونفسه عند كل بلاء .

٢. دلت بيانات الجدول السابق أن الفقرة (محاربة الدعايات والإشاعات المغرضة) جاءت في المرتبة الثانية بدرجة حدة بلغت (٢,٨٨) وبوزن مئوي (٩٦٪) ، فتوى

الدفاع الكفائي كانت بمثابة الصد والحاجز لكل الإشاعات والدعايات المغرضة التي رافقت الهجمة الداعشية فالروح المعنوية لمواجهة الحرب النفسية الداعشية بعد الفتوى اختلفت اختلافاً جذرياً عما كانت عليه قبل صدور الفتوى المباركة .

٣. حصلت الفقرة (إعطاء قيمة عليا للتضحية والفداء (الشهادة) من اجل الدين والمذهب والمقدسات والوطن) على المرتبة الثالثة بدرجة حدة (٢،٨٣) وبوزن مئوي (٩٤،٦٦٪) أخذت هذه الفقرة قوة واضحة من دور الفتوى المباركة في التحفيز النفسي للمجتمع العراقي، الأمر الذي أدى إلى سعي المجتمع العراقي إلى الدفاع والالتحاق بصفوف المقاتلين فالشهادة هي المسعى والهدف المشود الذي يسعى إليه كل من يحب دينه ومذهبه ووطنه وأرضه وعرضه وبذلك قدم العديد من المقاتلين أرواحهم فداء ليلتحقوا بركب الشهداء السعداء ، وقد حرصت الفتوى المباركة على استعمال أسلوب التعزيز والمكافأة والثواب بصورة مستمرة وإعطاء صفة الشهيد كمجازاة للمضحين على حسن أفعالهم وسمو سلوكهم وصدق نياتهم .

٤. حازت الفقرة (تخفيف الضغوطات النفسية والابتعاد عن الجزع والفرع والحزن) على المرتبة الرابعة بدرجة حدة (٢،٨٠) وبوزن مئوي (٩٣،٣٣٪)، وعليه كانت الفتوى المباركة من ابرز العوامل النفسية التي أزاحت الضغوطات النفسية للفرد والمجتمع العراقي وما رافق هذه الضغوطات من قلق وخوف وحزن وهلع وجزع فكانت إحدى العوامل التي حققت الدعم النفسي الكبير الذي يُعدُّ عاملاً من عوامل الدعم النفسي العسكري وطمأنة المجتمع بقدراته وقابلياته في الدفاع عن أرضه ومقاتلة الأعداء .

٥. تبوأَت الفقرة (التكاتف والتآزر بين أبناء المجتمع العراقي) المرتبة الخامسة بدرجة حدة (٢،٧٨) وبوزن مئوي (٩٣٪) إن من ابرز الأدوار التي أدتها الفتوى المباركة خلق حالة التكاتف والتعاون والتلاحم بين مكونات المجتمع العراقي جميعاً ، لأيمانهم الكبير بان العدو واحد وان دينهم ومقدساتهم وأرضهم وعرضهم هو المستهدف، ولا فرق بين هذه المكونات في الاستهداف من العدو ، فضلاً على

الاستعداد التام والدعم الكبير الذي حملة أبناء المجتمع العراقي على أكتافهم في تحقيق الدعم المادي والمعنوي للمقاتلين الإبطال في ساحات القتال .

٦. جاءت الفقرة (الإحساس بالقوة والإقدام والبسالة) بالمرتبة السادسة بدرجة حدة (٢،٧٤) وبوزن مئوي (٩١،٦٦٪)، يعود هذا الإحساس إلى أن القدرات والقابليات المعنوية ارتفعت نحو الأفضل لكون الفتوى المباركة صدرت من المرجع الديني الأعلى الإمام السيستاني (دام ظله)، وهو أعلى سلطة دينية وروحية ، فالفتوى نمت الإرادة القوية الصلبة في شخصية الفرد فهي مصدر الأفعال وعدم الانجرار وراء اليأس والقنوط ، فكلما كانت إرادة الإنسان العراقي المؤمن قوية زاد الإقدام عند المواجهة .

٧. نالت الفقرة (اكتشاف الطاقات والقدرات والقابليات الكامنة لدى الجيش العراقي والمجتمع) المرتبة السابعة بدرجة حدة (٢،٧٢) وبوزن مئوي (٩٠،٣٣٪)؛ وذلك لأهميتها في تبصرة الفرد والمجتمع العراقي بأن فيهم طاقات وقدرات كبيرة على المواجهة والمقاتلة وان الجيش العراقي له مكانته المرموقة وسمعته الطيبة والتاريخ البطولي في مواجهة فلول الإرهاب الداعشي المقيت .

٨. أمّا الفقرة (التفاؤل الجاد بالنصر والفوز ونبذ التشاؤم والنظرة السوداوية) فقد جاءت بالمرتبة الثامنة بدرجة حدة (٢،٧١) وبوزن مئوي (٩٠٪) يعزى السبب في ذلك إلى دور فتوى الدفاع المقدس بزيادة روح التفاؤل والانشراح والوعد بالنصر وإضعاف حالة التشاؤم والنظرة السوداوية، فالفتوى دعوة للفرد والمجتمع العراقي إلى أن يكونوا ذوي تفكير إيجابي وأن لا يضيع وقتهم في استذكار الأمور السلبية المثبطة للعزيمة والميئسة .

٩. بينما حصلت الفقرة (بيان خطورة العدو وضرورة التهيؤ والاستعداد له) على المرتبة التاسعة ، بدرجة حدة (٢،٦٦) وبوزن مئوي (٨٨،٣٣٪)، إن الفتوى المباركة كانت دقيقة وواقعية في تشخيصها فكانت بمثابة المنبه لجميع العراقيين بان هناك خطراً يحدق بهم وان الأمور تسير نحو الإساءة للمنطقة

كافة، فعليه لا بد من بذل الغالي والنفيس والاستعداد التام لمواجهة العدوان الشرس المدعوم من الاستكبار العالمي، فقدرات العدو لا يمكن الاستهانة بها ولا بد من السعي والصبر والعمل الدائم لمواجهةها وتحييدها .

١٠. حازت الفقرة (تنمية روح الإيثار والتضحية والفداء العطاء والتسابق للتطوع في صفوف الجيش العراقي) على المرتبة العاشرة بدرجة حدة (٢،٦٤) وبوزن مئوي (٨٧،٦٦٪)، عملت الفتوى المباركة على زيادة نسبة السعي للانضمام في صفوف الجيش العراقي و صفوف المقاتلين، وبذلك كانت نبراساً في نفوس المقاتلين للتضحية والفداء، وقد خلقت الفتوى المباركة الفرد الايجابي الذي يكون فاعلاً مستبشراً يزرع الأمل والعطاء ويسهم في خلق الرضا النفسي فكانت بمثابة المهديء للنفوس والأرواح وجعلها متيقنة بالنصر وغلبة العدو .

أولاً: الاستنتاجات

في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث يستنتج الباحث ما يأتي:

١. إن فتوى الدفاع المباركة كانت سبباً مباشراً في تحقيق النصر
٢. إن فتوى الدفاع الكفائي تعني المساندة التامة للقوات المسلحة في الدفاع عن البلد وزيادة الحماس والتحفيز لديهم وخلق روح الشدة والصلابة لديهم .
٣. إن الفتوى المباركة أسهمت في رفع حالة الانكسار والتشتت النفسي ورفع الروح المعنوية ومحاربة الدعايات والإشاعات المغرضة .
٤. إن للفتوى المباركة دوراً في زعزعة الخصم وخلق لديه حالة القلق والتشتت لإدراكهم معنى استجابة المجتمع العراقي لهذه الفتوى المباركة .
٥. سعت الفتوى المباركة في إزالة حالات الوهن والضعف والخيبة واليأس التي حصلت بسبب الهجمة الشرسة التي تعرض لها العراق والمنطقة .
٦. أعطت الفتوى المباركة دعم نفسي وطاقة ايجابية تعبوية كبيرة خرج على أثرها اغلب أبناء الشعب استجابة لإمامهم وقائدهم ومرجعهم الأعلى .

ثانياً: التوصيات :

من خلال النتائج التي توصل إليها هذا البحث ، يوصي الباحث بما يأتي :

١. الاهتمام بمضمون فتوى الدفاع الكفائي وأهميتها في إنقاذ العراق والمنطقة من اعتى هجمة شرسة سعت للخراب والدمار .
٢. إن لفتوى الدفاع الكفائي منزلة كبيرة، فهي نابعة من منطلقات فكرية مناسبة لفكر الإسلام المحمدي الأصيل، فقد حملت في طياتها هدفاً عاماً حفظ الجميع من الشر والسوء والبلاء ، وعليه فلا بد من ان تدرس هذه الفتوى في المناهج الدراسية في المراحل الدراسية المختلفة ولا سيما الجامعية منها .
٣. بيان مخاطر الحروب الطائفية وأثرها السلبي على الفرد والمجتمع .
٤. الاهتمام بالجانب النفسي للفرد والمجتمع في أوقات الأزمات .
٥. إيصال صدق فتوى الدفاع الكفائي للعالم كافة كونها حالة دفاعية وليست هجومية سعت إلى تحقيق الأمن والأمان والسلام ورفع راية الحق ودحض الباطل .
٦. تشجيع الباحثين والمتخصصين في التاريخ والعلوم التربوية والنفسية وعلم الاجتماع بدراسة الفتوى وبيان أثرها الايجابي .
٧. تحليل الذكرى المباركة لفتوى الدفاع الكفائي وجعلها نبراساً يحتوي أبناء الشعب العراقي كافة ومنبراً للتعايش السلمي بين أبناء الطوائف والقوميات كافة .

ثالثاً: المقترحات:

نتيجة لما توصل إليه البحث فإن الباحثة اقترحت ما يأتي :

١. إجراء دراسة مماثلة لهذه الدراسة للتعرف على دور فتوى الدفاع الكفائي في تحقيق الدعم النفسي من وجهة نظر عوائل الشهداء .
٢. إجراء دراسة مماثلة لهذه الدراسة للتعرف على دور فتوى الدفاع الكفائي في تحقيق الدعم من وجهة نظر المقاتلين .
٣. إجراء دراسة مماثلة لهذه الدراسة للتعرف على دور فتوى الدفاع الكفائي في مواجهة الإشاعات النفسية من طلبة الجامعات .
٤. إجراء دراسة مماثلة لهذه الدراسة للتعرف على دور فتوى الدفاع الكفائي في بناء الذات للجيش والحشد من وجهة نظر المقاتلين .

الهوامش

- ١- (الموسوي، ٢٠٢١، ٣)
- ٢- حمدان، ٢٠١٧، ١٩
- ٣- العامري، ٢٠١٦، ١١
- ٤- العصيمي، ٢٠٠٥، ٢
- ٥- نجيب وعبد الحميد، ٢٠٢٢، ٦١
- ٦- نجيب وعبد الحميد، ٢٠٢٢، ٦٥
- ٧- عودة، ١٩٨٥، ص ٧٥
- ٨- عطوي، ٢٠٠٠، ص ٨٥
- ٩- داود، ١٩٩٠، ٧٩
- ١٠- الكندري وعبد الدايم، ٢٠٠٠، ص ١٤٤
- ١١- داود، ٢٠٠٥، ص ٨٧
- ١٢- ثورندايك، ١٩٨٩، ص ٧٧
- ١٣- فاندالين، ١٩٨٤، ص ٥١٣
- ١٤- القمش وآخرون، ٢٠٠٠، ص ١١٣
- ١٥- الحكيم، ٢٠٠٤، ص ٣١
- ١٦- كراجه، ١٩٩٧، ص ١١٢
- ١٧- إبراهيم، ٢٠٠٠، ص ١٥٨
- ١٨- الغريب، ١٩٧٧، ص ١٦٨

- المصادر والمراجع :
- * الأسدي ، سعيد جاسم : أخلاقيات البحث العلمي ، ط ١، مؤسسة وارث الأنبياء ، البصرة ٢٠٠٩م .
- * إبراهيم ، مروان عبد المجيد : الإحصاء الوصفي والاستدلالي ، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٠م .
- * ثورنديك ، روبرت وإليزابيث همني : القياس والتقويم في علم النفس والتربية ، ترجمة عبد الله زيد الكيلاني وعبد الرحمن عدس ، مركز الكتب الأردنية ، عمان ١٩٨٩ م .
- * الحدراوي ، مجيد حميد عباس (٢٠١٩) : دور المرجعية الدينية في الدفاع عن العراق ، خطب الجمعة السياسية أنموذجاً - قراءة تحليلية ، دليل فعاليات وبحوث مهرجان فتوى الدفاع المقدسة الثقافي الثالث ، ط ١ ، ج ١ ، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، العتبة العباسية المقدسة ، كربلاء المقدسة ، العراق .
- * الحدراوي ، مجيد حميد عباس (٢٠١٩) : دور المرجعية الدينية في الدفاع عن العراق ، خطب الجمعة السياسية أنموذجاً - قراءة تحليلية ، دليل فعاليات وبحوث مهرجان فتوى الدفاع المقدسة الثقافي الثالث ، ط ١ ، ج ١ ، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، العتبة العباسية المقدسة ، كربلاء المقدسة ، العراق .
- * الحكيم ، علي سلوم جواد : الاختبارات والمقاييس والإحصاء في المجال الرياضي ، ط ١ ، شركة الطيف للطباعة جامعة القادسية ٢٠٠٤م .
- * حمدان ، نصيف جاسم (٢٠١٧) : الدعاية والحرب النفسية لتنظيم داعش ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بغداد ، العراق .
- * داؤد ، عزيز : مبادئ البحث العلمي والتربوي ، ط ١ ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ٢٠٠٥م .
- * عطوي ، جودت عزت : أساليب البحث العلمي ، مفاهيمه ، أدواته ، طرقه الإحصائية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٠ م .
- * الربيعي ، عماد علو (٢٠١٩) : فتوى الدفاع المقدس ودورها في تغيير معادلة التوازن الاستراتيجي في الحرب ضد تنظيم داعش الإرهابي ، دليل فعاليات وبحوث مهرجان فتوى الدفاع المقدسة الثقافي الثالث ، ج ١ ، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، العتبة العباسية المقدسة ، كربلاء المقدسة ، العراق .
- * الشويبي ، حيدر سلمان (٢٠٢٠) : دور المرجعية في حفظ المجتمع من الإرهاب - فتوى الجهاد الكفائي أنموذجاً ، المؤتمر العلمي الدولي التاسع عشر ، مركز دراسات الكوفة ، جامعة الكوفة ، العراق .
- * العامري ، عمار ياسر (٢٠١٦) : قراءة في فتوى الدفاع المقدس للإمام السيستاني ، ط ١ ، دليل فعاليات وبحوث مهرجان فتوى الدفاع المقدسي الثقافي الأول ، قسم الشؤون الفكرية ، العتبة العباسية المقدسة ، كربلاء المقدسة ، العراق .
- * العصيمي ، عبد الرزاق (٢٠٠٥) : دورة فن التحفيز الذاتي ، مركز رزاق للتعليم عبد بعد ، الرياض ، السعودية .
- * عودة ، احمد سليمان . القياس والتقويم في العملية التدريسية . دار الأمل ، الأردن ، إربد ، ١٩٨٥م .
- * الغريب ، رمزية : التقويم والقياس

- النفسي والتربوي ، ط ١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٧م .
- * فان دالين ، ديوبولدب : مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ط ٣، ترجمة محمد نبيل نوفر وآخرون ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٤م .
- * القمش ، مصطفى : القياس والتقويم في التربية الخاصة ، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ٢٠٠٠م .
- * كراجه ، عبد القادر : القياس والتقويم في علم النفس رؤية جديدة ، ط ١، دار البيازوري للنشر والتوزيع ، عمان ١٩٩٧م .
- * الكندري ، عبد الله عبد الرحمن وعبد الدايم ، محمد أحمد : المنهجية العلمية في البحوث التربوية والاجتماعية ، ط ١، المطبعة العصرية ، الكويت ٢٠٠٠م .
- * الموسوي ، حسين مسلم : الدعاية المضللة وأثرها في الواقع الإسلامي ، ط ١ ، مؤسسة العطاء للثقافة والتنمية ، النجف الاشرف ، العراق .
- * نجيب ، عبدالله وصلاح محمد عبد الحميد (٢٠٢٢) : الشائعات والحرب النفسية ، ط ١ ، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر .

ملحق (١) استبانة استطلاعية

بسمه تعالى

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ميسان / كلية التربية

م / استبانة

يروم الباحث إجراء دراسة موسومة (دور فتوى الدفاع الكفائي
في تحقيق التحفيز النفسي من وجهة نظر طلبة الجامعات) وبرأيكم ما هو
الدور التي الذي أدته هذه الفتوى المباركة ، شاكراتعاونكم

دور فتوى الدفاع الكفائي :

.١

.٢

.٣

.٤

أ. د. نجم عبدالله غالي

الباحث

ملحق (٢) استبانة الخبراء .

بسمه تعالى

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ميسان / كلية التربية

م/ استبانة الخبراء .

تحية طيبة

الأستاذ الفاضل / الأستاذة الفاضلة

تتضمن هذه الاستبانة التي بين أيديكم عدداً من عدد من الفقرات الخاصة بدور فتوى الدفاع الكفائي في تحقيق التحفيز النفسي للمجتمع العراقي من وجهة نظر طلبة الجامعات ، ونظراً لما تتمتعون به من خبرة راجين أبدأ ملاحظاتكم القيمة .
شاكراً تعاونكم .

أ.د. نجم عبدالله غالي

الباحث

ت	الفقرات	صالحة	غير صالحة	التعديل
١	تشكيل التدعيم النفسي عن طريق الصبر والصمود والثبات .			
٢	زرع روح الشجاعة والقدرة على المواجهة .			
٣	تنمية الشعور بالإيمان بالله تعالى والاعتماد عليه وزيادة بالثقة بالنفس .			
4	اليقين والإيمان بعون الله ولطفه وتسديده نحو النصر المؤزر .			
٥	السعي لنيل شرف الشهادة .			
٦	الطاعة اللامحدودة لتوجيهات المرجعية الدينية العليا .			
٧	الشعور العالي والكبير بالانتماء للدين والمذهب والوطن وضرورة الدفاع عنهم .			
٨	محرارة الدعايات والإشاعات المغرضة .			
٩	الإحساس بالقوة والإقدام والبسالة .			
١٠	إعطاء قيمة عليا للتضحية والفداء من اجل الدين والمذهب والمقدسات والوطن .			
١١	مقاومة الحرب النفسية العسكرية والدعاية والإشاعة المغرضة المقيتة .			
١٢	نبذ روح العداة والطائفية بين أبناء المجتمع العراقي .			
١٣	التكاتف والتآزر بين أبناء المجتمع العراقي .			
14	بث روح الدفاع والتصدي والمواجهة والمقاومة .			
١٥	محرارة روح الإحباط والفشل والانهزام .			
١٦	تخفيف الضغوطات النفسية والابتعاد عن الجزع والفرع والحزن .			
١٧	التجهيز والاستعداد التام لمواجهة العدو بحزم وإرادة .			

			العمل على بناء الذات وتطويرها لدى الفرد والمجتمع العراقي .	١٨
			تحقيق الشعور بالأمن والأمان والطمأنينة والاستقرار والاتزان الانفعالي .	١٩
			تخفيف حالة الصراع النفسي والتوتر والقلق .	٢٠
			التخلص من الرعب الذي بثه العدو في نفوس المجتمع العراقي .	٢١
			بيان خطورة العدو وضرورة التهيؤ والاستعداد له .	٢٢
			اكتشاف الطاقات والقدرات والقابليات الكامنة لدى الجيش العراقي والمجتمع .	٢٣
			تشجيع أفراد المجتمع كافة على مؤازرة المقاتلين ودعمهم معنوياً ومادياً .	٢٤
			مواجهة الأزمات العسكرية بتروي وتفكير وبروح قتالية عالية .	٢٥
			التفاؤل الجاد بالنصر والفوز ونبذ التشاؤم والنظرة السوداوية .	٢٦
			تنمية روح الإيثار والتضحية والفداء العطاء والإقدام والتطوع في صفوف الجيش العراقي .	٢٧
			محاربة الروح الانهزامية والتعاس والتخاذل .	٢٨
			الاستعداد التام وتهيئة القوة اللازمة .	٢٩
			تحسس النصر بوجود فتوى الدفاع الكفائي والابتعاد عن الصراع النفسي .	٣٠

ملحق (٣) استبانة بصورتها النهائية

بسمه تعالى

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة ميسان / كلية التربية

م / استبانة .

تحية طيبة....

الطالب الفاضل

الطالبة الفاضلة....

تتضمن هذه الاستبانة التي بين أيديكم عددا من عدد الفقرات الخاصة بدور فتوى الدفاع الكفائي في تحقيق التحفيز النفسي للمجتمع العراقي من وجهة نظر طلبة الجامعات ، ونظر لما تتمتعون به من خبرة راجين أبدأ ملاحظتكم القيمة.

شاكرين تعاونكم معنا

أ.د. نجم عبدالله غالي

الباحث

ت	الفقرات	دور كبير	دور متوسط	ليس لها دور
١	تشكيل التدعيم النفسي عن طريق الصبر والصمود والثبات .			
٢	زرع روح الشجاعة والقدرة على المواجهة .			
٣	تنمية الشعور بالثقة بالنفس .			
٤	اليقين والإيمان بعون الله ولطفه وتسديده .			
٥	إعطاء شرف الشهادة للدفاع عن الدين والأرض والوطن .			
٦	الطاعة اللامحدودة لتوجيهات المرجعية الدينية العليا .			
٧	الشعور العالي والكبير بالانتماء للدين والمذهب والوطن .			
٨	محاورة الدعايات والإشاعات المغرضة .			
٩	الإحساس بالقوة والإقدام والبرسالة .			
١٠	إعطاء قيمة عليا للتضحية والفداء .			
١١	مقاومة الحرب النفسية المقيتة .			
١٢	نبذ روح العداة والطائفية بين أبناء المجتمع العراقي .			
١٣	التكاتف والتآزر بين أبناء المجتمع العراقي .			
١٤	بث روح الدفاع والتصدي والمقاومة .			
١٥	محاورة روح الإحباط والفشل والانزهاام .			
١٦	تخفيف الضغوطات النفسية والابتعاد عن الجزع والفرع والحزن .			

			التجهيز والاستعداد التام لمواجهة العدو بحزم وإرادة .	١٧
			العمل على بناء الذات وتطويرها لدى الفرد والمجتمع العراقي .	١٨
			تحقيق الشعور بالأمن والأمان وإرهاب العدو .	١٩
			تخفيف حالة الصراع النفسي والتوتر والقلق .	٢٠
			التخلص من الرعب الذي بثه العدو في نفوس المجتمع العراقي .	٢١
			بيان خطورة العدو وضرورة التهيؤ والاستعداد له .	٢٢
			اكتشاف الطاقات الكامنة لدى الجيش العراقي والمجتمع .	٢٣
			تشجيع أفراد المجتمع كافة على مؤازرة المقاتلين ودعمهم معنويا ومادياً .	٢٤
			مواجهة الأزمات بروح قتالية عالية .	٢٥
			التفاؤل الجاد بالنصر والفوز ونبذ التشاؤم والنظرة السوداوية .	٢٦
			تنمية روح الإيثار والعطاء والرغبة في خدمة الدين والوطن .	٢٧
			محاربة الروح الانهزامية والتقاؤس والتخاذل .	٢٨
			الرجوع التام إلى الله وتفويض الأمر اليه وإعداد القوة اللازمة .	٢٩
			تحسس النصر بوجود فتوى الدفاع الكفائي والابتعاد عن الصراع النفسي .	٣٠

ملحق (٤) أسماء الخبراء الذي استعان الباحث بأرائهم .

ت	الاسم	التخصص	العمل
١	أ.د.سعاد سلمان حسن	المناهج وطرائق التدريس العامة	كلية التربية / جامعة ميسان
٢	أ.د.غسان كاظم جبر	المناهج وطرائق التدريس العامة	كلية التربية الأساسية / جامعة ميسان
٣	أ. سوسن هاشم هاتو	المناهج وطرائق تدريس	كلية التربية / جامعة ميسان
٤	أ.م.د.علي ماجد عذارى	المناهج وطرائق التدريس العامة	كلية التربية الأساسية / جامعة ميسان
٥	أ.م.د. رملة جبار كاظم	المناهج وطرائق التدريس العامة	كلية التربية الأساسية / جامعة ميسان
٦	أ.م.د. ليلى قاسم لازم	علم الاجتماع	كلية التربية / جامعة ميسان
٧	أ.م.د. نجم عبدالله برهان	المناهج وطرائق التدريس العامة	كلية التربية / جامعة ميسان

الآثارُ الإنسانيَّةُ لتعاليمِ الشريعةِ الإسلاميَّةِ المقدَّسةِ
-قراءةٌ موجزةٌ في نصائحِ وتوجيهاتِ المرجعيَّةِ الدينيَّةِ للمقاتلين-
الدكتور الشيخ عماد موسى محمد الكاظمي / العتبة الكاظمية المقدسة
/ مكتبة الجوادين العامة

ملخص البحث

إنَّ الإسلامَ في تشريعاته المختلفة يؤكِّد نظامه الكامل في بناء الإنسان وتربيته في جميع مجالات الحياة، سواء على مستوى الفرد أم المجتمع، وفي الجانب العبادي أم المعاملاتي، وفي الجانب المادي أم المعنوي، وهكذا في المجالات الأخرى التي لا يمكن حصرها بسهولة، وهذا كله يُظهر مدى عناية الله تعالى بالإنسان، بل هو نهج من مناهج تكريمه كما صرَّح بذلك في كتابه المجيد بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١)، بل عدَّ الإنسان من أعظم حرَمات الله تعالى، وأعلن تشريعاته من أجل الحفاظ عليه من أي إساءة وخصوصاً في إزهاق روحه بغير حق فقال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٢)، وأستنكر بشدة ما كانت عليه عادة بعض الأعراب في تعاملهم بقسوة وظلم مع بناتهم عند ولادتهن فقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(٣).

مَّا تقدم إجمالاً نرى عظمة الإنسان عند الله تعالى ومقامه، وأهمية الحفاظ عليه من كلِّ اعتداء وقهر، وإصابة بأذى، وقد تجسَّد ذلك في تعاليم الشريعة الإسلاميَّة المقدَّسة في القرآن والسنة الشريفة بأجلى صور التكامل الإنساني على المستوى الفردي أو النوعي، في السلم أو الحرب، وبين ذلك عن طريق السيرة القولية والفعلية للنبي الأكرم وأهل بيته (عليهم السلام)، وقد جسَّدت ذلك

نصائح المرجعية الدينية وتوجيهاتها للمقاتلين ضد كيان داعش الإرهابي أسمى صور التكامل الإنساني، فعدت تلك النصائح العشرون من أعظم ما صدر عن المرجعية الدينية بعد الفتوى التاريخية في الدفاع الكفائي عن المقدسات، إذ رافقت أعتداءات ذلك الكيان الإرهابي على العراق في صفحة وحشية من صفحات الإرهاب في التاريخ الحديث.

إن هذه السطور المتواضعة على هذه الصفحات التي أشرف بكتابتها هي مشاركة لإحياء مداد العلماء ودماء الشهداء، في بيان تلك الآثار الإنسانية العظيمة التي تجلّت في تلك التوجيهات المباركة للمرجعية الدينية إلى أبنائها، والتي كانت منهجاً تربوياً عظيماً للمجاهدين في التعامل مع أعداء الدين في جوانب مختلفة، وسيتم بيان ذلك عن طريق مقدمة وتمهيد وموارد ثلاثة، إذ سيتم اختيار فقرات ثلاث من تلك الفقرات العشرين الواردة وبيان من يتعلق بها بإيجاز، ثم خاتمة^(٤).

أسأل الله تعالى التوفيق والتسديد للسادة القائمين على هذا المؤتمر، وأبارك لهم هذه الجهود العلمية الكبيرة التي يتم تقديمها في خدمة العلم والبحث كل عام، بتسليط الضوء على جانب مهم من الجوانب التاريخية المشرقة للمرجعية الدينية في الدفاع عن المقدسات، وخصوصاً هذه المرحلة الكبيرة لمرجعية آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني "دام ظله"، والتي يتجلى فيها بحق أن المرجعية الدينية حصن للأمة الإسلامية، فتقبل الله منهم بأحسن قبوله إنه سميع مجيب ..

Abstract:

Islam, in its various legislations, emphasizes its comprehensive system for human development and education in all aspects of life—whether individual or societal, in both spiritual and ethical matters, as well as in material and immaterial realms. This encompasses many areas to name a few , reflecting His great care for humanity, which aligns with His approach to honoring them, as stated in His Glorious Quran : (And We have certainly honored the sons of Adam and carried them on the land and sea and provided for them with the good things and prefer them much to what We have created).

Indeed, humanity is regarded as one of the greatest sanctities of Allah, and His legislations are established to protect it from any harm, especially in preserving life without justification. As Allah states:

(whoever kills a soul unless for a soul or for corruption [done] in the land - it is as if he had slain mankind entirely.). Furthermore, He strongly condemned the practice of some people who treated their daughters with cruelty and injustice at birth, as stated in the Qur'an: (And when the girl [who was] buried alive is asked, for what sin she was killed?). Consequently , we observe the greatness and status of humanity in the sight of Allah and the importance of protecting it from all forms of aggression, oppression, and harm. This principle is vividly embodied in the teachings of sacred Islamic Sharia as reflected in Quran and the noble traditions , demonstrating the highest forms of human integrity on both individual and collective levels, in times of peace and war alike. This was further illustrated through the sayings and actions of the Noble Prophet and his Ahlalbayt (peace be upon them).

«Moreover, the guidance and instructions of the religious authority to the soldiers combating the SISI terrorist entity

exemplified the pinnacle of human values. These twenty pieces of recommendations are considered among the greatest directives issued by the religious authority following the historic fatwa on Sufficient Jihad in defense of the sanctities. This will be presented through an introduction, a preamble, and three sections. Three excerpts from the twenty directives will be selected, with a brief explanation of their relevant contexts, followed by a conclusion.

I ask Allah Almighty for success and guidance for the esteemed organizers of this conference. I extend my congratulations to them for their great scholarly efforts, presented annually in service of knowledge and research, by shedding light on an important aspect of the radiant historical role of the religious authority in defending the sanctities.

Particularly, this significant phase of the leadership of His Eminence Grand Ayatollah Seid. Ali al-Husseini al-Sistani—may Allah prolong his life —truly manifests that the religious authority is a fortress for the Islamic nation. May Allah accept their efforts with the best of His acceptance, for He is All-Hearing and Responsive.

تمهيد: المرجعية الدينية وأثرها في حفظ المقدسات.

إنَّ المرجعية الدينية تمثل الامتداد الحقيقي في زمن الغيبة لأداء رسالة المعصومين عليهم السلام بصورة عامة، في المجالات المختلفة التي تحتاجها الأمة، وقد كانت من سيرة النبي والأئمة عليهم السلام تهيئة جيل من الأصحاب وتربيتهم؛ ليؤدوا الرسالة في المجتمع، والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ الإسلامي.

ولو تتبعنا الأثر الكبير للمرجعية الدينية في الدفاع عن الأمة ومقدساتها في التاريخ الحديث لرأينا تلك المواقف الكبيرة لمراجع الدين العظام في العراق، وهذا الأثر يحتاج إلى وقفات تأملية تلم المواقف الكبيرة، والتي كان لبعضها تغييرٌ أو أثرٌ محوريٌّ في الواقع السياسي والاجتماعي، فضلاً على تصديها في مسؤوليتها الأساسية إلى بيان ما يتعلق بالأحكام الشرعية التي يحتاجها المكلف؛ لمعرفة أحكام دين الله تعالى.

إنَّ العراق وبعد نيسان ٢٠٠٣م حيث انهيار النظام البعثي الكافر، قد مرَّ بحوادث متعددة تركت أثارها المختلفة على الواقع؛ بسبب الاحتلال الأمريكي للعراق من جهة، وتدخل الدول الإقليمية من جهة ثانية، والمؤامرات التي يقوم بها أعداء أتباع أهل البيت من جهة ثالثة وخصوصاً أولئك الحاقدين الذين فقدوا تلك المناصب التي كانت ملكاً لهم ولعوائلهم في أيام ذلك النظام، فكان من تلك المتغيرات الطارئة ما حصل من سقوط محافظات الشمال ابتداءً من الموصل في يد كيان داعش الإرهابي، الذي أستطاع في أيام معدودات أن يسيطر على مساحة كبيرة من أرض العراق بما يملك من قدرة عسكرية محدودة، وإمكانات مادية ومعنوية كبيرة من قبل الداعمين له من العراق وخارجه، مما أدى إلى تلك الفوضى الكبيرة، والتهديدات العلنية بهتك المقدسات، فلم يكن يقف أمام ذلك الهيجان إلا المرجعية الدينية المباركة، إذ أصدر سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) فتواه التاريخية في الدفاع الكفائي بتاريخ ١٤ شعبان ١٤٣٥هـ الموافق ١٣ حزيران ٢٠١٤م، فلبَّى المؤمنون

العراقيون تلبية عظيمة قلَّ نظيرها في التاريخ للدفاع عن المقدسات، فما هي إلا ساعات وقوافل المجاهدين تتوافد إلى المعسكرات لجهاد أولئك البغاة الحاقدين. ولأجل أن تكون مواجهة أولئك المجاهدين الأبطال صورة مشرقة للإسلام المحمدي كانت المرجعية ترعى شؤون المقاتلين المعنوية والمادية من جهة، والتواصل معهم من جهة أخرى عن طريق معتمدي المرجعية وطلبتها الذين كانوا يقاتلون مع المجاهدين في ساحات القتال، فكانت من أعظم توجيهات المرجعية الدينية ما صدر عنها بعنوان (نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد) بتاريخ (٢٢ ربيع الآخر ١٤٣٦هـ الموافق ١٢ شباط ٢٠١٥م) أي بعد سبعة أشهر تقريباً^(٥) عندما تمكن أولئك المجاهدون من تحرير بعض الأماكن من سيطرة ذلك الكيان، وقد تضمّنت هذه التوجيهات عشرين فقرة، تعدُّ من عيون الوصايا العظيمة التي تُظهر عظمة النظام الإسلامي وآثاره الإنسانية في الحفاظ على الحقوق والحرمان، فكانت بمثابة دستور كامل لإدارة الحرب ومعرفة التعامل مع العدو وما يتعلق به من ممتلكات مختلفة، إذ أنبثقت فتوى الدفاع الكفائي من القواعد الإسلامية التي أجازت الحرب في حالة الدفاع عن النفس والدين كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٦)، وإغاثة المظلومين والدفاع عن المستضعفين كما قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾^(٧)، وأهداف أخرى^(٨).

لقد أظهرت هذه التوجيهات مدى حرص المرجعية الدينية في بيان أحكام دين الله تعالى للمجاهدين وغيرهم في أيام الحرب من جهة، والدعم المعنوي في دعم المجاهدين من أجل تحقيق أهدافهم وتحقيق النصر من جهة ثانية، والتأسيس لقواعد السلم الأهلي وما تضمّنه النظام الإسلامي من فقرات تدل على تكامله الإنساني من جهة ثالثة، وبيان الصورة الحقيقية للإسلام

وكشف الصورة المزيفة التي كان عليها ذلك الكيان الإرهابي من جهة رابعة، فكان لهذه التوجيهات صدًى كبير بين أوساط المقاتلين خاصة، والمجتمع عامة، بالتأكيد على سيرة الإمام علي عليه السلام واتخاذها أسوة في الحرب، بما ورد عنه من أخلاقيات تمثل روح الإسلام وحقيقته، بل تعدُّ مدرسة إسلامية في الأخلاق والتربية للمجتمع الإسلامي^(٩).

إنَّ المتتبع في تحليل هذه التوجيهات وما فيها من أحكام ووصايا وتحذير وبيان الآثار الكبيرة في الالتزام بتعاليم الشريعة المقدسة، ليرى جلياً مدى موافقة تعاليم النظام الإسلامي للعقل والفطرة في التأكيد على مقام الإنسان وحفظ كيانه، وتستحق أن تُعنى بالبحوث والدراسات والندوات، وهذه الصفحات الموجزة محاولة في بيان زاوية من زواياها المشرقة التي لها آثارها الإنسانية التي تفقدها الحروب عامة، ولكن النظام الإسلامي وضمن دعوته العالمية في الرحمة الإلهية، أسس لذلك تعاليماً صريحة ظاهرة في إمكانية التكامل الإنساني في أصعب الظروف ومنها الحرب، وفيها دلالة على أن هذه التعاليم دالة على دين الله تعالى الصادر من الحكيم الغني الحميد.

* المورد الأول:

((اللَّهُ اللهُ فِي حُرْمَاتِ عَامَّةِ النَّاسِ مِمَّنْ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ، لَا سِيَّيَا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الشُّيُوخِ وَالْوَالِدَانِ وَالنِّسَاءِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا مِنْ ذَوِي الْمُقَاتِلِينَ لَكُمْ، فَإِنَّهُ لَا تَحِلُّ حُرْمَاتُ مَنْ قَاتَلُوا غَيْرَ مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَقَدْ كَانَ مِنْ سِيرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ كَانَ يَنْهَى عَنِ التَّعَرُّضِ لِبُيُوتِ أَهْلِ حَرْبِهِ، وَنِسَائِهِمْ، وَذَرَارِيِّهِمْ، رَغْمَ إِضْرَارِ بَعْضِ مَنْ كَانَ مَعَهُ -خَاصَّةً مِنَ الْخَوَارِجِ- عَلَى اسْتِبَاحَتِهَا، وَكَانَ يَقُولُ: (حَارَبْنَا الرَّجَالَ فَحَارَبْنَاَهُمْ، فَأَمَّا النَّسَاءُ وَالذَّرَارِيُّ فَلَا سَبِيلَ لَنَا عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهِنَّ مُسْلِمَاتٌ وَفِي دَارِ هِجْرَةٍ، فَلَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلٌ، فَأَمَّا مَا أَجْلَبُوا عَلَيْكُمْ وَاسْتَعَانُوا بِهِ عَلَى حَرْبِكُمْ، وَضَمَّهُ عَسْكَرَهُمْ وَحَوَاهُ فَهُوَ لَكُمْ، وَمَا كَانَ فِي دُورِهِمْ فَهُوَ مِيرَاثٌ عَلَى فَرَائِضِ اللَّهِ تَعَالَى لِذَرَارِيِّهِمْ،

وَأَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ، وَلَا عَلَى الذَّرَارِيِّ مِنْ سَبِيلٍ)) (١٠).

إنَّ ما ورد في هذه الفقرة من التوجيهات المباركة تؤكد على موضوعات إنسانية متعددة يمكن إجمالها بالآتي:

١ - حفظ حقوق عامة الناس.

إنَّ الحفاظ على حقوق الآخرين وعدم التعدي عليها من أسس النظام الإسلامي القائم على تكريم الإنسان، إذ إنَّ حفظ حقوقه هو من ملازمات ذلك التكريم الإلهي، وهذه الفقرة من التوجيهات التاريخية تؤكد ذلك، وتدعو إلى التعرُّف عليه، والتعريف به، والعمل على أساسه في جميع الأحوال، وخصوصاً في مثل هذه الحالات من الحرب، التي تقوده عصابات إجرامية تحاول باسم الدين أن تفتك بالمسلمين، بل إنَّ تطبيق ذلك في مثل هذه الظروف هو أكثر تأكيداً على عظمة هذا النظام والمنتهم إليه، ومدى استجابتهم لتعاليمه والتزامهم بحدوده، على الرغم من الأسى الكبير الذي حصل من تلك العصابات، فالرجعية تدعو إلى ضرورة أن تبقى تلك المبادئ راسخة عند المجاهدين، بل تكون تعاليم الشريعة المقدسة في آيات القرآن الكريم والسنة الشريفة حاضرة عند أولئك المدافعين عن المقدسات، إذ تبقى دعوة القرآن قائمة في الأذهان: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١١)، وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١٢)، وقوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٣)، فضلاً على الآيات المباركة التي أكدت على ضرورة الالتزام بحدود الشريعة المقدسة وعدم التعدي عليها في مناسبات مختلفة، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (١٤)، وقال تعالى محذراً الانحدار إلى أعمال الظالمين: ﴿تِلْكَ حُدُودُ

اللَّهِ فَلَا تَعْتُدْوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٥﴾ وغيرها من الآيات المباركة الصادحة بالدعوة إلى الحفاظ على حقوق الناس عامة، والتحذير من التعرُّض لها، فضلاً على الاعتداء عليها.

وهناك كثير من الروايات الشريفة الواردة في بيان أهمية حقوق الناس والحفاظ عليها، ومنها ما روي عن النبي ﷺ: ((إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَدَعُ مِنْ حُقُوقِ أَخِيهِ شَيْئًا فَيَطْلُبُهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقْضِي لَهُ وَعَلَيْهِ))^(١٦)، وروي عن الإمام علي (عليه السلام): ((جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حُقُوقَ عِبَادِهِ مُقَدِّمَةً لِحُقُوقِهِ، فَمَنْ قَامَ بِحُقُوقِ عِبَادِ اللَّهِ كَانَ ذَلِكَ مُؤَدِّيًّا إِلَى الْقِيَامِ بِحُقُوقِ اللَّهِ))^(١٧)، وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ لَا يَشْبَعَ وَيُجِوعَ أَخُوهُ، وَلَا يُرَوَى وَيَعْطَشَ أَخُوهُ، وَلَا يَكْتَسِبِي وَيُعْرَى أَخُوهُ، فَمَا أَعْظَمَ حَقَّ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ...))^(١٨).

إنَّ هذه الروايات وغيرها تؤكد أنَّ في الشريعة الإسلامية حقوقاً عامة بين المسلمين يجب مراعاتها، ودعوة المرجعية الدينية في توجيهاتها إلى المقاتلين إنما تنطلق من تلك الدعوات الصريحة من تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة، وإنَّ ما ورد من التوجيهات في هذه الفقرة بخصوص الحقوق العامة للناس بالقول: ((اللَّهُ اللَّهُ فِي حُرْمَاتِ عَامَّةِ النَّاسِ مِمَّنْ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ)) قد تم تأكيده في الفقرة التاسعة من التوجيهات بالقول: ((اللَّهُ اللَّهُ فِي الْحُرْمَاتِ كُلِّهَا، فَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَرُّضَ لَهَا، أَوْ أَنْتَهَاكَ شَيْءٍ مِنْهَا بِلِسَانٍ أَوْ يَدٍ))، ولو تتبعنا غزوات النبي ﷺ وحروبه لرأينا أنه لم يقاتل إلا مضطراً لقتال، مثل رد اعتداء خارجي أو داخلي، أو لإحباط نية اعتداء وغيرهما، بل كان يدعو إلى السلم والابتعاد عن الحرب، ودراسة آدابه وتعاليمه الواردة عنه تؤكد ذلك^(١٩).

٢- مراعاة حقوق المستضعفين.

إنَّ هذا الحق الخاص بالمستضعفين يعد من الحقوق المهمة التي قد تضمنتها النظام الإسلامي بوجوب حفظها ورعايتها في السلم والحرب، ومحاولة بذل

كُلَّ جَهْدٍ مِنْ أَجْلِ عَدَمِ إِيْصَالِ أَيِّ أَذَى إِلَيْهِمْ، بَلْ دَعْوَةُ الْمُسْلِمِينَ لِقِتَالِ أَعْدَاءِ اللَّهِ لِأَجْلِ إِنْقَاذِ حُقُوقِهِمْ، وَهَذَا مَا أَكَّدَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾^(٢٠)، فَاللَّهُ تَعَالَى يَدْعُو عِبَادَهُ لِنَصْرَةِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ آمَنُوا (الرِّجَالِ، وَالنِّسَاءِ، وَالْأَطْفَالِ) وَعَدَمِ الضَّرْرِ بِحَيَاتِهِمْ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمْ، بَلْ يَدْعُو الْجِهَادَ مِنْ أَجْلِ خِلَاصِهِمْ، وَقَدْ بَيَّنَّ الْمَفْسُرُونَ هَذِهِ الدَّعْوَةَ الْقُرْآنِيَّةَ وَأَهْمِيَّتَهَا فِي الْحَثِّ عَلَى الْجِهَادِ؛ لِأَجْلِ حِفْظِهِمْ وَالدَّفْعِ عَنْهُمْ.

قال الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م): ((حَثَّ سُبْحَانَهُ عَلَى تَخْلِيصِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَقَالَ ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿لَا تُقَاتِلُونَ﴾ أَيُّ: أَيُّ عَذْرٍ لَكُمْ فِي تَرْكِ الْقِتَالِ مَعَ اجْتِمَاعِ الْأَسْبَابِ الْمَوْجِبَةِ لِلْقِتَالِ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَيُّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَيُقَالُ: فِي دِينِ اللَّهِ، وَيُقَالُ: فِي نَصْرَةِ دِينِ اللَّهِ، وَيُقَالُ: فِي إِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ، ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أَيُّ: وَفِي الْمُسْتَضْعَفِينَ، أَوْ فِي سَبِيلِ الْمُسْتَضْعَفِينَ، أَيُّ نَصْرَةِ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَقِيلَ: فِي إِعْزَازِ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَفِي الذَّبِّ عَنِ الْمُسْتَضْعَفِينَ ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ قِيلَ: يَرِيدُ بِذَلِكَ قَوْمًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَقَوْا بِمَكَّةَ وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا الْهَجْرَةَ .. إلخ))^(٢١).

وقال الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م): ((قَوْلُهُ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْجِهَادَ وَاجِبٌ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَا عَذْرَ لَكُمْ فِي تَرْكِ الْمَقَاتِلَةِ وَقَدْ بَلَغَ حَالُ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَا بَلَغَ فِي الضَّعْفِ، فَهَذَا حَثٌّ شَدِيدٌ عَلَى الْقِتَالِ، وَبَيَانُ الْعَلَّةِ الَّتِي لَهَا صَارَ الْقِتَالُ وَاجِبًا، وَهُوَ مَا فِي الْقِتَالِ مِنْ تَخْلِيصِ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَيْدِي الْكُفْرَةِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْجَمْعَ إِلَى الْجِهَادِ يَجْرِي مَجْرَى فَكَاكِ الْأَسِيرِ .. إلخ))^(٢٢).

فتوجيهات المرجعية الدينية إلى المجاهدين بعدم التعرُّض إلى المستضعفين من (الشيوخ والنساء والولدان) إنما ينبثق من التعاليم القرآنية التي تدعو إلى نصرتهم والجهاد من أجلهم، وقد أكدت الروايات الشريفة الواردة في بيان آداب الحرب وما يتعلق بها على التحذير من إيذائهم، أو إدخال الرعب عليهم، فمما روي عن رسول الله ﷺ: ((لَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًّا، وَلَا طِفْلًا صَغِيرًا، وَلَا أَمْرَأَةً، وَلَا تَغْلُوا، وَضَمُّوا غَنَائِمَكُمْ، وَأَصْلَحُوا وَأَحْسَنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ))^(٢٣)، وعنه ﷺ: ((مَا بَالُ أَقْوَامٍ جَاوَزَ بِهِمُ الْقَتْلُ الْيَوْمَ حَتَّى قَتَلُوا الذَّرِيَّةَ، أَلَا إِنَّ خِيَارَكُمْ أَبْنَاءَ الْمُشْرِكِينَ، أَلَا لَا تَقْتُلُوا ذَرِيَّةً، أَلَا لَا تَقْتُلُوا ذَرِيَّةً، كُلُّ نَسَمَةٍ تُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَمَا تَزَالَ عَلَيْهَا حَتَّى يُعْرَبَ عَنْهَا لِسَانُهَا، فَأَبْوَاهَا يَهُودَانِهَا أَوْ يُنَصِّرَانِهَا))^(٢٤)، وبذلك نرى أن قتال الرسول ﷺ إنما كان من أجل تثبيت دعائم الإسلام، وترسيخ أسسه في المجتمع، فكان يدعو إلى التقوى في الحرب، وتجنب ارتكاب الحرام في القتال، وتحريم قتل الأبرياء، والمثلى، وتدمير المدن أو قطع الأشجار وغيرها^(٢٥).

فالمرجعية كانت تؤكد على ضرورة أن يتحلى المجاهدون بهذه العقيدة والأخلاق الإسلامية؛ لأنَّ الحرب هي في الواقع دفاع عن المقدسات الإسلامية، ولا بد أن تكون على وفق ما تضمنته تعاليم الشريعة من أنظمة في ذلك، فكان التوجيه في أعلى درجات الكمال التربوي والأخلاقي في تربية وإعداد المجاهدين، وقد تلخصت بما يأتي:

أ- عدم التعرُّض للمستضعفين بأي سوء أو أذى، بل الحفاظ عليهم ومحاولة تكريمهم بما يسمح به ظرف المعركة.

ب- عدم الانجرار وراء العاطفة، أو العصبية التي تؤثر على نفوس المقاتلين؛ كون هؤلاء المستضعفين من عوائلهم الإرهابيون الذين أفسدوا في الأرض، أو مقابلة أفعال الإرهابيين بعوائل المؤمنين بالمثل.

ت- التأكيد على ضرورة أن تكون جميع الأفعال صادرة على وفق تعاليم الشريعة المقدسة في حفظ الحقوق وعدم التعدي على الحرمات، وأن ذلك يحتاج إلى جهاد كبير للنفس، وتحمل آثار ذلك^(٢٦).

ث- التأكيد على أهمية إظهار تعاليم الشريعة المقدسة من قبل المجاهدين واقعاً، وليس أدعاءً زيفاً كما كان عليه أولئك الإرهابيون.

إنَّ تَجُنَّبَ كُلُّ مَا تَقَدَّمَ لِأَجْلِ عَدَمِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ بِالْتَعْدِي عَلَى الْحَرَمَاتِ، وهذا ما يراه الإنسان جلياً عندما يطلع على تلك الروايات المتعددة التي تؤكد أن الحرب تهدف إلى القضاء على الإفساد، وليس القيام به.

وهذا ما تم تأكيده بالقول: ((لَا سِيَّأَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الشُّيُوخِ وَالْوُلْدَانِ وَالنِّسَاءِ حَتَّى إِذَا كَانُوا مِنْ ذَوِي الْمُقَاتِلِينَ لَكُمْ، فَإِنَّهُ لَا تَحِلُّ حُرْمَاتُ مَنْ قَاتَلُوا غَيْرَ مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ)).

٣- التأكيد على سيرة الإمام علي (عليه السلام) في التعامل معهم:

إنَّ تأكيد المرجعية الدينية في عدد من فقرات توجيهاتها إلى للمجاهدين على سيرة الإمام علي (عليه السلام) وتعامله في الحروب الثلاثة التي حدثت تجاهه من قبل (الناكثين والقاسطين والمارقين) إنما هو إشارة واضحة إلى أنه (عليه السلام) قد وضع للمسلمين أسس قتال البغاة والأحكام المتعلقة بذلك، فضلاً على توصياته الخاصة للمقاتلين تجاه العدو وممتلكاتهم، وجميع ما ورد عنه يؤكد عظمة تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة الإنسانية في الحرب، وعماً هو في السلم، ومن يتتبع تلك الخطب والوصايا الواردة عنه يرى أثر النظام الإسلامي في ذلك.

وعند الإحصاء والتتبع ونجد أنه قد ورد التذكير بسيرة الإمام علي (عليه السلام) في موارد متعددة في هذه التوجيهات بلغت (إحدى عشرة) فقرة كالاتي:

أ- الفقرة الرابعة: ((وقد جاء في سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) شدة احتياطه في

حروبه في هذا الأمر، وقد قال في عهده لملك الأشر ..)).

ب- الفقرة الخامسة: ((وقد كان من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان ينهى عن التعرّض لبيوت أهل حربته، ونسائهم، وذرائعهم، رغم إصرار بعض مَنْ كان معه ..)).

ت- الفقرة السادسة: ((وأستفاضت الآثار عن أمير المؤمنين عليه السلام نبيه عن تكفير عامة أهل حربته - كما كان يميل إليه طلائع الخوارج في معسكره-، بل كان يقول إنهم قوم وقعوا في الشبهة ..)).

ث- الفقرة السابعة: ((وقد جاء في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أنه لما بعث معاوية «سفيان بن عوف من بني غامد» لشن الغارات على أطراف العراق ..)).

ج- الفقرة الثامنة: ((وجاء في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أنه نهى أن يُستحلَّ من أموال من حاربه إلا ما وجد معهم وفي عسكرهم ..)).

ح- الفقرة التاسعة: ((وقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في خطبة له في وقعة صفين في جملة وصاياه: ولا تمثّلوا بقتيل ..)).

خ- الفقرة العاشرة: ((وقد جاء في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أنه جعل لأهل الخلاف عليه ما لسائر المسلمين ما لم يحاربوه، ولم يبدأهم بالحرب حتى يكونوا هم المبتدئين بالاعتداء ..)).

د- الفقرة الحادية عشرة: ((وقد جاء في بعض الحديث عن الصادق عليه السلام أن الإمام علياً عليه السلام في يوم البصرة لما صلا الخيول قال لأصحابه: لا تعجلوا على القوم حتى أعذر فيما بيني وبين الله وبينهم ..)).

ذ- الفقرة الثالثة عشرة: ((ففي الحديث أنه لما كان يوم الجمل وبرز الناس بعضهم لبعض نادى منادى أمير المؤمنين: لا يبدأ أحدٌ منكم بقتالٍ حتى أمركم ..)).

ر- الفقرة الخامسة عشرة: ((وقد ورد في سيرة أمير المؤمنين وصيته بالصلاة لأصحابه، وفي الخبر المعتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال في صلاة الخوف عند المطاردة والمناوشة.... فإنَّ أمير المؤمنين عليه السلام صلى ليلة صفين -وهي ليلة الهيرير...)).

ز- الفقرة السادسة عشرة: ((وأستعينوا على أنفسكم بكثرة ذكر الله سبحانه وتلاوة كتابه، وأذكروا لقاءكم به ومنقلبكم إليه، كما كان عليه أمير المؤمنين عليه السلام)).

ومما لا يخفى أنَّ استذكار سيرة الإمام علي عليه السلام في هذا الجانب يمكن قراءته من جهتين مهمتين: الأولى تتعلق بالإمام عليه السلام، والأخرى: تتعلق بأتباعه وشيعته.

أما الجهة الأولى فلأجل البيان والتذكير بما يأتي:

أ- شدة تعامل الإمام علي عليه السلام مع المقاتلين في وجوب الالتزام بتعاليم الشريعة المقدسة، ومنها ما يتعلق بالأموال الخاصة بالذين يقاتلوهم من البُغاة.

ب- بيان ما يتعلق بالغنائم في المعركة وما ورد فيها من أحكام خاصة، إذ يجب على المقاتلين معرفتها أو الرجوع فيها إلى العلماء لمعرفة أحكام ذلك، والمعروف بـ(الفيء)، وله أحكام ذكرها الفقهاء في مؤلفاتهم الفقهية^(٢٧).

ت- الإشارة إلى منهج الإمام علي عليه السلام الثابت في تعامله بما يتعلق بالأموال، ورد الحقوق إلى أهلها، وما ورد عنه في كلمته الشهيرة حول الأموال التي وزَّعها عثمان: ((وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النَّسَاءَ وَمَلَكَ بِهِ الْإِمَاءَ لَرَدَدْتُهُ، فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجُورُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ))^(٢٨).

وأما الجهة الأخرى فلأجل البيان والتذكير بما يأتي:

أ- الدعم المعنوي الكامل للمقاتلين على أنَّ جهادهم ضد هذا الكيان

الإرهابي الخارج عن الإسلام، والمتعدي على حرّماته، إنّما هو تأسّ تامّ بالإمام علي (عليه السلام)، وفي ذلك كمال القوة المعنوية للمجاهدين في دفاعهم عن المقدّسات. ب- التأكيد من قبل المرجعية على أنّ ما كتب الله تعالى من النصر التاريخي الخالد للإمام علي (عليه السلام) ضد أولئك البغاة على المقدّسات، إنّما هو ما سيكتبه الله تعالى لهؤلاء المجاهدين في معرّكتهم ضد كيّان داعش الإرهابي.

ت- محاولة المرجعية بهذه التوجيهات أن تجعل المجاهدين وكأنهم يقاتلون تحت راية الإمام علي (عليه السلام)، وهي راية الحق وراية الإسلام المحمدي، وما في ذلك من قوة معنوية كبيرة لها أثر في النصر وديمومة القتال.

ولو تأملنا في توجيهات المرجعية الدينية في هذه الفقرة والتذكير بضرورة التأسّي بما قام به أمير المؤمنين (عليه السلام) تجاه العدو، ووصاياهم لمقاتليه وبيان المنهج الإسلامي في ذلك، لرأينا أنّها تركّز على موضوعات أساسية ثلاثة لها علاقة بمقاتلة كيّان داعش الإرهابي وهي:

أ- الممتلكات الشخصية للإرهابيين.

ب- الممتلكات الخاصة بالحرب.

ت- عوائل الإرهابيين من النساء والأطفال.

فالتوجيهات المباركة في الموضوعات الثلاثة المتقدمة كانت واضحة الأحكام والبيان، إذ يمكن الاستفادة منها بالآتي:

أ- إنّ الممتلكات الشخصية الخاصة بالإرهابيين التي تم الحصول عليها تابعة لهم ولذرائعهم، ولا يجوز التصرف بها، بل تعود إلى أصحابها أو ورثتهم الشرعيين، وهذا ما أكدته بالقول: ((وَمَا كَانَ فِي دُورِهِمْ فَهَوَ مِيرَاثٌ عَلَى فَرَائِضِ اللَّهِ تَعَالَى لِذَرَارِيهِمْ، وَلَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ، وَلَا عَلَى الذَّرَارِيِّ مِنْ سَبِيلٍ)). وقد أكدت المرجعية ذلك في فقرة أخرى لأهميته وهي الفقرة الثامنة، إذ ورد فيها: ((اللَّهُ اللَّهُ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ، فَإِنَّهُ لَا يَجِلُّ مَالٌ أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ لِغَيْرِهِ

إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسِهِ، فَمَنْ أَسْتَوَىٰ عَلَىٰ مَالٍ غَيْرِهِ غَضَبًا فَإِنَّهَا حَازَ قِطْعَةً مِنْ قِطْعِ الثُّيْرَانِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ ((يُوْفِي الْحَدِيثَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((مَنْ أَقْتَطَعَ مَالَ مُؤْمِنٍ غَضَبًا بغيرِ حَقِّهِ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُعْرِضًا عَنْهُ مَا فِئْتَا لِأَعْمَالِهِ الَّتِي يَعْمَلُهَا مِنَ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ لَا يُشْتَبَّهَا فِي حَسَنَاتِهِ، حَتَّىٰ يَتُوبَ وَيَرُدَّ الْمَالَ الَّذِي أَخَذَهُ إِلَىٰ صَاحِبِهِ)) (٢٩).

ب- إنَّ الممتلكات الخاصة بالحرب والتي كانت من أدواتهم التي أستعانوا بها في القتال من سلاح وغيره، وكانت موجودة في مقرٍّ وجودهم أو معسكرهم حصراً، يمكن أخذها ومصادرتها والتصرف بها على وفق أحكام معينة مذكورة في الكتب الفقهية، وهذا ما أكدته التوجيهات بالقول: ((فَأَمَّا مَا أَجْلَبُوا عَلَيْكُمْ وَأَسْتَعَانُوا بِهِ عَلَىٰ حَرْبِكُمْ، وَضَمَّهُ عَسْكَرَهُمْ وَحَوَاهُ فَهُوَ لَكُمْ))، فهناك تأكيد على ذلك بالخصوص وليس مطلق ما تم حصوله بل الذي ((ضَمَّهُ عَسْكَرَهُمْ وَحَوَاهُ فَهُوَ لَكُمْ))، وفي ذلك كمال التقوى والورع الذي يجب أن يكون عليه المجاهدون في سبيل الله (٣٠)، وورد التأكيد على ذلك في فقرات أخرى بالقول: ((وَلَا تَدْخُلُوا دَارًا، وَلَا تَأْخُذُوا شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مَا وَجَدْتُمْ فِي عَسْكَرِهِمْ)).

ت- إنَّ عوائل الإرهابيين يجب أن تتم المحافظة عليهم، ولا يجوز إيذاؤهم أو مسهم بسوء؛ اعتماداً على ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وكما تقدم الحديث عن المستضعفين، وهو قوله: ((حَارَبْنَا الرَّجَالَ فَحَارَبْنَا هُمْ، فَأَمَّا النِّسَاءُ وَالذَّرَارِيُّ فَلَا سَبِيلَ لَنَا عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُنَّ مُسْلِمَاتٌ وَفِي دَارِ هِجْرَةٍ، فَلَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلٌ))، وقد أكدت المرجعية ذلك في الفقرة التاسعة من توجيهاتها بالقول: ((وَأَحْذَرُوا أَخْذَ أَمْرِي بِذَنْبِ غَيْرِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَقُولُ:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، وَلَا تَأْخُذُوا بِالْظَّنَّةِ وَتَسْبِهُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِالْحَزْمِ، فَإِنَّ الْحَزْمَ أَحْتِيَاطُ الْمَرْءِ فِي أَمْرِهِ، وَالظَّنَّةُ اِعْتِدَاءٌ عَلَى الْغَيْرِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ، وَلَا يَجْمَلَنَّكُمْ بَغْضٌ مَنْ تَكْرَهُونَهُ عَلَى تَجَاوُزِ حُرْمَاتِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، وكان يؤكد على المقاتلين بعدم التعدي على النساء أبداً وأنه يجب تحمّل ما يصدر عنهن، وهذا ما كان منهجه وسيرته في معاركه وما ورد عنه في معركة الجمل يظهر هذا المنهج، إذ يقول كما ورد عنه في فقرة أخرى: ((وَلَا تَهَيِّجُوا أُمَّرَأَةً بِأَذَىٰ وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَّيْنَ أُمَّرَأَكُمُ وَصَلَحَاءَكُمُ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ ﷺ فِي حَرْبِ الْجَمَلِ - وَقَدْ أَتَتْهُ - وَصَلَ إِلَىٰ دَارِ عَظِيمَةٍ فَاسْتَفْتَحَ، فَفَتَحَتْ لَهُ، فَإِذَا هُوَ بِنِسَاءٍ يَبْكِينَ بِنَاءِ الدَّارِ، فَلَمَّا نَظَرْنَ إِلَيْهِ صَحَنَ صَيْحَةً وَاحِدَةً، وَقُلْنَ هَذَا قَاتِلُ الْأَحِبَّةِ، فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، وَقَالَ بَعْدَ ذَلِكَ لِبَعْضِ مَنْ كَانَ مَعَهُ مُشِيرًا إِلَىٰ حُجْرَاتٍ كَانَ فِيهَا بَعْضُ رُؤُوسِ مَنْ حَارَبَهُ وَحَرَّضَ عَلَيْهِ كَمَرُوانِ بْنِ الْحَكَمِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: لَوْ قَتَلْتُ الْأَحِبَّةَ لَقَتَلْتُ مَنْ فِي هَذِهِ الْحُجْرَةِ)).

إن هذا المنهج هو منهج ثابت في سيرة أمير المؤمنين ﷺ، وقد اشتهر به على مدى تاريخه وكان يصرح به، ويعمل على أساسه، فقد ورد عنه قوله: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ دَلَّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنَجِّيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ.... وَلَا تَمَثَّلُوا بِقَتِيلٍ، وَإِذَا وَصَلْتُمْ إِلَىٰ رِجَالِ الْقَوْمِ فَلَا تَهْتِكُوا سِتْرًا، وَلَا تَدْخُلُوا دَارًا، وَلَا تَأْخُذُوا شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مَا وَجَدْتُمْ فِي عَسْكَرِهِمْ))^(٣١)، وورد عنه ﷺ: ((فَإِذَا كَانَتْ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا، وَلَا تُصَيِّبُوا مُعَوَّرًا، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَىٰ جَرِيحٍ، وَلَا تَهَيِّجُوا النِّسَاءَ بِأَذَىٰ، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَّيْنَ أُمَّرَأَكُم))^(٣٢).

* المورد الثاني:

((وَأَيَّاكُمْ وَالتَّعَرُّضَ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ أَيَّا كَانَ دِينُهُ وَمَذْهَبُهُ فَإِنَّهُمْ فِي كَنْفِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَانِهِمْ، فَمَنْ تَعَرَّضَ لِحُرْمَاتِهِمْ كَانَ خَائِنًا غَادِرًا، وَإِنَّ الْخِيَانَةَ وَالْغَدْرَ

لَهَا أَقْبَحُ الْأَفْعَالِ فِي قِضَاءِ الْفِطْرَةِ وَدِينِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَقَدْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ عَنِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ: ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، بَلْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْمَحَ الْمُسْلِمُ بِانْتِهَاكِ حُرْمَاتِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ هُمْ فِي رِعَايَةِ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ تَكُونَ لَهُ مِنَ الْغَيْرَةِ عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا يَكُونُ لَهُ عَلَى أَهْلِهِ، وَقَدْ جَاءَ فِي سِيْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) أَنَّهُ لَمَّا بَعَثَ مُعَاوِيَةَ «سُفْيَانَ بْنَ عَوْفٍ مِنْ بَنِي غَامِدٍ» لِشَنْ الْغَارَاتِ عَلَى أَطْرَافِ الْعِرَاقِ - تَهْوِيلًا عَلَى أَهْلِهِ - فَأَصَابَ أَهْلَ الْأَنْبَارِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ، أُغْتَمَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) مِنْ ذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا، وَقَالَ فِي خُطْبَةٍ لَهُ: وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبُكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلُكُمْ عَنْ مَسَاحِلِهَا، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْأُخْرَى الْمِعَاهِدَةَ فَيَتَنَزَّعُ حِجْلَهَا قَلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرِعَائِهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَافْرِينَ، مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ، وَلَا أَرِيقَ لَهُمْ دَمٌ، فَلَوْ أَنَّ أَمْرًا مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا)) (٣٣)

إن ما ورد في هذه الفقرة من التوجيهات المباركة تؤكد على موضوعات إنسانية متعددة تجاه أصحاب الديانات والقوميات الأخرى خاصة يمكن إجمالها بالآتي:

١- الحفاظ على أتباع الديانات الأخرى.

إن الحفاظ على التعايش السلمي بين أبناء المجتمع من الديانات والمذاهب والقوميات المختلفة يعد من أهم وصايا المرجعية الدينية، ولها في الحفاظ على ذلك تاريخ كبير ومهم، وخصوصًا في أيام الحرب، وهذا ما رأيناه في بيانات المرجعية في ثورة العشرين، حيث وصايا المرجع الديني الشيخ محمد تقوي

الشيرازي (قدس سره) (ت ١٣٣٨ هـ / ١٩٢٠ م) (٣٤)، وما ورد عن ساحة السيد السيستاني (دام ظله) في الفتاوى والبيانات المختلفة المتعددة مثلاً (٣٥)، وهذا ما ورد جلياً في هذه الفقرة من التوجيهات: ((وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَرُّضَ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ أَيَا كَانَ دِينُهُ وَمَذْهَبُهُ فَإِنَّهُمْ فِي كَنْفِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَانِهِمْ)).

٢- بيان آثار التعرض بأذى لأتباع الديانات.

إن هذا الأمر في هذه الفقرة من توجيهات المرجعية يبين للمقاتلين الآثار السلبية في مخالفة تعاليم الشريعة المقدسة في حفظ حقوق المخالفين في الدين أو المذهب أو القومية، إذ يعد ذلك خيانة وغدرًا، وقد حذرت الشريعة منه. فالقرآن الكريم قد نهى عن الخيانة بصورة عامة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٣٦)، وكذلك الروايات الشريفة التي أكدت على ضرورة أن يجتنب المسلم مثل هذه الصفة حتى مع المسيء لهم، فقد روي عن النبي ﷺ: ((لَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ فَتَكُونَ مِثْلَهُ)) (٣٧)، وقوله ﷺ: ((الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ وَالْخِيَانَةُ فِي النَّارِ)) (٣٨)، وروي عن الإمام علي عليه السلام: ((جَانِبُوا الْخِيَانَةَ؛ فَإِنَّهَا مَجَانِبَةُ الْإِسْلَامِ)) (٣٩)، وعن الإمام الصادق عليه السلام: ((يُجِبُّ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ طَبِيعَةٍ إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ)) (٤٠)، فإن هذه الروايات وغيرها الكثير تؤكد أهمية أن يجتنب المسلمون هذه الصفات المذمومة التي لها أثر على العقيدة والتربية، والمجاهدون في سبيل الله هم أولى من غيرهم في التحلي بذلك.

ثم التحذير من الغدر والذي يعد من أقبح الصفات لما لها من آثار سيئة على الإنسان في الدنيا والآخرة، فمما روي عن النبي ﷺ: ((إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوْلِيَيْنَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِيَوَاءٍ. فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فَلَانِ ابْنِ فَلَانٍ)) (٤١)، وعن الإمام علي عليه السلام: ((إِيَّاكَ وَالْغَدْرَ فَإِنَّهُ أَقْبَحُ الْخِيَانَةِ، وَإِنْ الْغَدُورَ لِمَهَانَ عِنْدَ اللَّهِ بِغَدْرِهِ)) (٤٢)، وعنه عليه السلام: ((الْغَدْرُ بِكُلِّ أَحَدٍ قَبِيحٌ، وَبِذُوِّ

الْقُدْرَةَ وَالسُّلْطَانَ أَفْبَحُ))^(٤٣)، فهذه الروايات إجمالاً وغيرها تؤكد ضرورة تجنب هذه الصفة، وعدم التفكير بها مهما كانت الظروف.

فالمرجعية في توجيهاتها تحاول التأكيد في ذلك على ضرورة ترسيخ مبادئ الشريعة المقدسة في جوانبها الإنسانية المختلفة، الدالة على أهمية الحفاظ على الفطرة الإلهية، وعدم الانقياد إلى النفس الأمارة، وتسويلات الشيطان وأباطيله، وهذا ما دلت عليه بالقول: ((فَمَنْ تَعَرَّضَ لِحُرْمَاتِهِمْ كَانَ خَائِنًا غَادِرًا، وَإِنَّ الْخِيَانَةَ وَالْعَدْرَ هِيَ أَفْبَحُ الْأَفْعَالِ فِي قَضَاءِ الْفِطْرَةِ وَدِينِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ)).

٣- التأكيد على مراعاة حقوقهم وحفظها.

إن حفظ الحقوق ومراعاتها من أهم تعاليم الشريعة المقدسة، وقد تقدم بعض ما يتعلق بذلك في المورد الأول، وفيما يتعلق بالمخالفين في العقيدة أو القومية فالشريعة قد حثت على وجوب مراعاة تلك الحقوق وعدم التعدي عليها بحجج واهية، مما رأينا ما قام به كيان داعش الإرهابي آنذاك، ويجب أن يكون المجاهدون على وعي تام من محاولات تسويلات الشيطان في التعدي عليهم؛ لكونهم من ديانات أخرى، فالتعايش السلمي من ضروريات الدعوة الإسلامية والإنسانية، وهذا ما جسده النظام الإسلامي في تشريعاته الواردة في القرآن الكريم، والروايات الشريفة، إذ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٤٤) وقد ذكر المفسرون أن (السَّلَامَ) في الآية يُراد به الذين لم يتعرَّضوا إليكم في قتال^(٤٥)، بل حتى لو كان أولئك المجرمون ينتمون إلى هذه المدن التي تم تحريرها من قبل المجاهدين، أو أن هذه العوائل لها علاقة بأتباع الإرهابيين فلا مسوغ للاعتداء عليهم كما تقدم، إذ قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٤٦)، ومن أعظم ما ورد

في ذلك عن الإمام السجاد عليه السلام في رسالته للحقوق قوله: ((وَأَمَّا حَقُّ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَالْحُكْمُ فِيهِمْ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا قَبَلَ اللَّهُ وَتَفِي بِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ ذِمَّتِهِ وَعَهْدِهِ، وَتَكَلِّمَهُمْ إِلَيْهِ فِيمَا طَلَبُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأُجِرُوا عَلَيْهِ، وَتَحْكُمَ فِيهِمْ بِمَا حَكَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ فِيمَا جَرَى بَيْنَكَ [وَبَيْنَهُمْ] مِنْ مُعَامَلَةٍ، وَلَيْكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ظُلْمِهِمْ مِنْ رِعَايَةِ ذِمَّةِ اللَّهِ وَالْوَفَاءِ بَعْدَهُ وَعَهْدِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَائِلٌ فَإِنَّهُ بَلَّغْنَا أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا كُنْتُ خَصْمَهُ»)) (٤٧).

وهناك فتاوى وبيانات للمرجعية متعددة في ذلك، تؤكد المنهج السوي

التام المنبثق من تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة (٤٨).

وهذا ما تجلّى بأبهى صورته في توجيهات المرجعية بالقول: ((بَلْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْمَحَ الْمُسْلِمُ بِانْتِهَاكِ حُرْمَاتِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ هُمْ فِي رِعَايَةِ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ تَكُونَ لَهُ مِنَ الْغَيْرَةِ عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا يَكُونُ لَهُ عَلَى أَهْلِهِ)).

٤ - التأسّي بسيرة الإمام علي عليه السلام.

إن التوجيهات بضرورة التأسّي بالإمام علي عليه السلام ظاهرة جليّة، وقد تقدّم ما يتعلق بذلك وأهميته، فضلاً على ما هو واضح البيان والدلالة والاستشهاد من كلامه عليه السلام في هذه الفقرة من توجيهات المرجعية ((وَقَدْ جَاءَ فِي سِيرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ لَمَّا بَعَثَ مُعَاوِيَةَ... أُعْتَمَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مِنْ ذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا)).

* المورد الثالث:

((وَأَحْرَضُوا أَعَانَتَكُمْ اللَّهُ عَلَى أَنْ تَعْمَلُوا بِخُلُقِ النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ» مَعَ الْأَخْرَبِينَ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلْمِ جَمِيعًا، حَتَّى تَكُونُوا لِلْإِسْلَامِ زِينًا، وَلِقِيمِهِ مِثْلًا، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ بُنِيَ عَلَى ضِيَاءِ الْفِطْرَةِ، وَشَهَادَةِ الْعَقْلِ، وَرَجَاحَةِ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْفِي مُنْبَهًا عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ رَفَعَ رَايَةَ التَّعَقُّلِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، فَهُوَ يَرْتَكِزُ فِي أَصُولِهِ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى التَّأَمُّلِ وَالتَّفَكِيرِ فِي أَبْعَادِ هَذِهِ الْحَيَاةِ

وَأَفَاقَهَا، ثُمَّ الْاِعْتِبَارُ بِهَا، وَالْعَمَلُ بِمُوجِبِهَا، كَمَا يَزَكِي فِي نِظَامِهِ الشَّرِيعِي عَلَى إِثَارَةِ دَفَائِنِ الْعُقُولِ، وَقَوَاعِدِ الْفُطْرَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (فَبَعَثَ - اللَّهُ - فِيهِمْ رَسُولَهُ، وَوَاتَرَ أَنْبِيَاءَهُ إِلَيْهِمْ لِيَسْتَأْذِنُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ)، وَلَوْ تَفَقَّهَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَعَمِلُوا بِتَعَالِيمِهِ لَظَهَرَتْ لَهُمُ الْبَرَكَاتُ، وَعَمَّ ضِيَاؤُهَا فِي الْأَفَاقِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّشَبُّثَ بِبَعْضِ مَا تَشَابَهَ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالنُّصُوصِ، فَإِنَّهَا لَو رُذِّتْ إِلَى الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ - كَمَا أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ - لَعَلِمُوا سَبِيلَهَا وَمَغْزَاهَا)) (٤٩).

إنَّ ما ورد في هذه الفقرة من التوجيهات المباركة مهمٌّ جدًّا وتحتاج إلى بحث ودراسة دقيقة منفصلة؛ لما فيه من موضوعات إنسانية متعددة تؤكد مقام النظام الإسلامي، وأبعاده الكبيرة في بناء الإنسان والحفاظ عليه، وصيانة كرامته، وبيان دوره الكبير في بناء المجتمع والحفاظ على مقدساته، ولكن بإيجاز أذكر أهم ما فيه بالموضوعات الخمسة الآتية:

١- الحث على التمسك بأخلاق النبي وأهل بيته (عليهم السلام) وآثار ذلك.

إنَّ هذه الدعوة المباركة في توجيهات المرجعية الدينية إنما هي أمتداد وثيق لما جاءت به توصيات الأئمة (عليهم السلام) في أحاديثهم المتعددة إلى شيعتهم ومواليهم، ففي حديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) يحث شيعته على الدعوة إليهم بالحسنى والعمل الصالح يقول: ((مَعَاشِرَ الشَّيْعَةِ كُونُوا لَنَا زِينًا، وَلَا تَكُونُوا عَلَيْنَا شَيْنًا، قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا، أَحْفَظُوا أَلْسِنَتِكُمْ، وَكَفُّوْهَا عَنِ الْفُضُولِ، وَقَبِّحِ الْقَوْلِ)) (٥٠)، وفي هذه الوصية منه للشيععة بيان واضح على أهمية التمسك بهذه الأخلاق الفاضلة، التي تدل على مقام التربي والتكامل الشخصي والنوعي للأمة.

بل هناك من الروايات التي تؤكد على أنَّ الناس تنظر إلى المؤمنين على

قدر أنتسابهم إلى الشريعة المقدسة، وتمسكهم بتعاليمها، وأثر ذلك في الدعوة إلى الخير والصلاح، ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: ((يَا مَعَاشِرَ الشَّيْعَةِ إِنَّكُمْ قَدْ نُسِبْتُمْ إِلَيْنَا، كُونُوا لَنَا زِينًا، وَلَا تَكُونُوا عَلَيْنَا شَيْنًا))^(٥١)، فعلينا التأمل بقوله: (يَا مَعَاشِرَ الشَّيْعَةِ إِنَّكُمْ قَدْ نُسِبْتُمْ إِلَيْنَا) ففي هذا الانتساب مسؤولية كبيرة؛ فضلًا على عظمته وشرفه، وما يجب على الشيعة من العلم والعمل من أجل الحفاظ على هذا التشریف وحسن أداء هذا التكليف.

إن هذين الحديثين وغيرهما من الأحاديث المتعددة عن الأئمة عليهم السلام توجب على المؤمنين أن يكونوا أهلاً لهذا الانتساب المقدس، وما رأيناه من مواقف عظيمة للمجاهدين في أرض المعركة وبعدها هو - حقيقة - صور مشرقة تؤكد مدى تمسكهم بتعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة، ومبادئها وقيمها الإنسانية، ونصائح المرجعية الدينية وتوجيهاتها، وستبقى شاهداً على مقامهم، ومنزلتهم، وشرف أئمتهم إلى المقدسات؛ لتكون درساً للأجيال عن أداء أولئك المجاهدين رسالتهم في هذه المرحلة من تاريخ العراق المعاصر، فكانوا مصداقاً حقيقياً لما ورد في هذه الفقرة من التوجيهات بالقول: ((وَأَحْرِصُوا أَعَانَكُمْ اللَّهُ عَلَى أَنْ تَعْمَلُوا بِخُلُقِ النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ» مَعَ الْآخَرِينَ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلْمِ جَمِيعًا، حَتَّى تَكُونُوا لِلْإِسْلَامِ زِينًا، وَلِقِيمِهِ مَثَلًا)).

وقد أكدت المرجعية في توجيهاتها على التمسك بالأخلاق الفاضلة في فقرات أخرى، فقد ورد في الفقرة العشرين القول: ((وَعَلَى الْجَمِيعِ أَنْ يَدْعُوا الْعَصَبِيَّاتِ الدَّمِيمَةَ، وَيَتَمَسَّكُوا بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ النَّاسَ أَقْوَامًا وَشُعُوبًا لِيَتَعَارَفُوا، وَيَبَادِلُوا الْمَنَافِعَ، وَيَكُونَ بَعْضُهُمْ عَوْنًا لِلْبَعْضِ الْآخَرِ، فَلَا تَغْلِبَنَّكُمْ الْأَفْكَارُ الضَّيِّقَةُ، وَالْأَنَانِيَّاتُ الشَّخْصِيَّةُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا حَلَّ بِكُمْ، وَبِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي سَائِرِ بِلَادِهِمْ)).

٢- بيان عظمة النظام الإسلامي وكماله التربوي.

إن توجيهات المرجعية الدينية في هذا المقطع من الفقرة تناولت موضوعات ثلاثة مهمة، بل تُعدُّ دعائم أساسية لمنظومة عقائدية متكاملة في الشريعة الإسلامية المقدسة، جديُّ التفكُّر بها، ورعاية حدودها والعمل بها بعد معرفتها، وضرورة تعليم الناس إياها بوصفها تمثل النظام الأكمل لسعادة البشرية كُلِّها عن العقيدة القائمة على العلاقة بين الخالق والمخلوق، وهي:
أ- الفطرة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى بيان ما يتعلق بها من حيث الإيمان الفطري للإنسان بوجود خالق للكون يجب الإذعان إليه، والفطرة كما ورد في بيانها: ((وفطرة الله هي ما ركز فيه من قوته على معرفة الإيمان، وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٥٢)))^(٥٣)، وفطرة الله التي فطر الناس عليها هي التوحيد ومعرفته كما ورد في روايات متعددة، ففي الحديث عن هشام بن سالم عن الإمام الصادق عليه السلام: ((قال: قلت: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(٥٤)؟ قال: التَّوْحِيدُ))^(٥٥)، وفي حديث عبد الله بن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام: ((قال: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ مَا تِلْكَ الْفِطْرَةُ؟ قَالَ: هِيَ الْإِسْلَامُ، فَطَرَهُمُ اللَّهُ حِينَ أَحْذَ مِيثَاقَهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ، قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾^(٥٦) وَفِيهِ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ))^(٥٧)، وفي كُلِّ ذلك إشارة إلى المنهج الإنساني المشترك بين جميع البشر في الدعوة إلى الله.

ب- العقل.

إن الدين الإسلامي قائم على تأييد العقل للفطرة الإنسانية، وعدم مخالفته لبديهيات العقل، والعقل سبيل لمعرفة الخالق ووجوده وتوحيده، وقد بيَّن القرآن الكريم في كثير من الموارد أثر العقل في الوصول إلى معرفة

الحقيقة وتحديدها، فضلاً على استعمال النص القرآني الألفاظ التي تشير إلى معنى العقل وإدراكاته، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٥٨)، والروايات الشريفة تظهر مقام العقل وآثاره في طاعة الله تعالى والإذعان إلى تعاليمه، ففي الحديث عن النبي ﷺ: ((سَيِّدُ الْأَعْمَالِ فِي الدَّارَيْنِ الْعَقْلُ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ دُعَامَةٌ، وَدُعَامَةُ الْمُؤْمِنِ عَقْلُهُ، فَبَقَدَرِ عَقْلِهِ تَكُونُ عِبَادَتُهُ لِرَبِّهِ))^(٥٩)، وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((عَلَيْكَ بِالْعَقْلِ فَلَا مَالَ أَعْوَدَ مِنْهُ))^(٦٠)، ورسالة الإمام الكاظم عليه السلام إلى تلميذه هشام بن الحكم في العقل تُعدُّ من أعظم تراث المسلمين^(٦١)، وكُلُّ ذلك وغيره هي إشارات جلية إلى تأكيد المنهج العقلي في الدعوة إلى الله وموافقته للفطرة الإنسانية.

ت- الأخلاق.

إنَّ تربية الإنسان وسعيه نحو كماله من أهم ما تدعو إليه الشريعة المقدسة، والقرآن الكريم قد ذكر موضوعات تربية كثيرة لها أثر عظيم في تربية الفرد والمجتمع، بل هي من مكارم الأخلاق التي تحقق للبشرية سعادتها، وقد ضرب الله تعالى في ذلك أعظم المثل في بيان ما أتصف به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ مخاطباً إياه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٦٢)، وغيرها من الآيات المباركة، وقد أكدت الروايات الشريفة أهمية التمسك بالأخلاق، ومكارمها، فحسن الخلق قرين الإنسان المؤمن، وهو ما تدعو إليه الشريعة المقدسة، ففي الحديث عن النبي ﷺ: ((حُسْنُ الْخُلُقِ نِصْفُ الدِّينِ))^(٦٣)، وهذا يؤكد بأجلى صورته علاقة الدين بالأخلاق وتماسكها، إذ بالأخلاق الفاضلة يمكن للإنسان أن يؤدي رسالته في المجتمع، ويؤثر بهم، ففي الحديث عن الإمام علي عليه السلام: ((مَنْ حَسَنَتْ خَلِيقَتَهُ طَابَتْ عِشْرَتُهُ))^(٦٤)،

وفي كل ذلك إشارة إلى المنهج الأخلاقي في الدعوة إلى الله.

إن هذه المنظومة الثلاثية (الفطرية والعقلية والأخلاقية) هي من أهم ما يجب على المسلمين أن يكونوا عليها، ويدعوا إليها، وكل دعوة تحالفها فهي دعوة على غير هدى، ولو أننا تأملنا في تلك الدعوات المزيفة لكيان داعش لرأينا مخالفتها لأدنى قيم كل هذه المنظومة ومبادئها، بل تجلت في أولئك المجاهدين المخلصين الذين لبّوا نداء المرجعية في الدفاع عن المقدسات، فكانوا مصداقاً في التمسك بالدعوة إلى ذلك ((فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ بُنِيَ عَلَى ضِيَاءِ الْفِطْرَةِ، وَشَهَادَةِ الْعَقْلِ، وَرَجَاحَةِ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْفِي مُنْبَهًا عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ رَفَعَ رَايَةَ التَّعْقُلِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، فَهُوَ يَرْتَكِزُ فِي أُصُولِهِ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى التَّأْمَلِ وَالتَّفْكِيرِ فِي أَبْعَادِ هَذِهِ الْحَيَاةِ وَأَفَاقِهَا، ثُمَّ الِاعْتِبَارُ بِهَا، وَالْعَمَلُ بِمُوجِبِهَا)).

٣- التأكيد على المنهج التأملي للعقل وموافقته لتعاليم الشريعة المقدسة

والفطرة الإنسانية.

إن هذه الدعوة وضرورة التأمل فيها توجب بيان مقام المنهج التأملي في آيات الله تعالى الدالة على وجوده ومقامه وآثار ذلك في العقيدة، والتأمل بعظمة النظام الإسلامي وما تضمنه من تعاليم إنسانية لها آثارها الكبيرة في التكامل الإنساني، حيث التوافق بين العقل الواعي المنزه عن الشكوك والشبهات وبين الفطرة السليمة، وقد تقدم بيان ذلك في الفقرة السابقة، ولكن المرجعية الدينية تحاول التركيز والتأكيد على ضرورة أن يكون الإنسان على بينة من معرفة أصول عقيدته التي يؤمن بها، ويضحى في سبيلها، وهذا ظاهر في القول: ((فَهُوَ يَرْتَكِزُ فِي أُصُولِهِ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى التَّأْمَلِ وَالتَّفْكِيرِ فِي أَبْعَادِ هَذِهِ الْحَيَاةِ وَأَفَاقِهَا، ثُمَّ الِاعْتِبَارُ بِهَا، وَالْعَمَلُ بِمُوجِبِهَا، كَمَا يَرْتَكِزُ فِي نِظَامِهِ التَّشْرِيعِيِّ عَلَى إِثَارَةِ دَفَائِنِ الْعُقُولِ، وَقَوَاعِدِ الْفِطْرَةِ)).

٤- ضرورة التعرف على أحكام النظام الإسلامي وأهمية التمسك به.

إنَّ معرفة الأحكام الشرعية لها أثر كبير في عدم التعدي على الحرمات والحدود، عن طريق معرفة الواجبات والمحرمات وغيرهما، وخصوصاً في مثل هذه الظروف المتعلقة بالحرب وأحكام الحرب الخاصة بمحاربة أهل القبلة من البغاة، وإنَّ هذه المعرفة تجنَّب المقاتلين الوقوع في الإشكالات أو المخالفات الشرعية لا سَمح الله، فالحرب قائمة من أجل الدفاع عن المقدسات، ولا بد أن يكون المدافعون على وعي تامٍّ بأحكامها، وهذا الوعي لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق الرجوع إلى تلك الأحكام الفقهية الخاصة، التي بيَّنها المرجع بالرجوع إليه، ولقد كان لطلبة الحوزة العلمية وجود كبير في جبهات القتال، والمواقع المختلفة تلبية لنداء المرجعية في الدفاع الكفائي من جهة، وتوعية لعقيدة المجاهدين وأحكامهم من جهة أخرى، فضلاً عن الدعم المعنوي الكبير الدال على قدسية المواجهة، ولقد كانت هناك فتاوى متعددة تتعلق بما يحتاجه المجاهدون، يرجعون إليه في معرفة أحكام دينهم، فالفقه طريق الوصول إلى طاعة الله ورضوانه، وعدم التعدي على الحقوق والحرمات، وهذا ما تؤكد التوجيهات في هذه الفقرة بالقول: ((وَلَوْ تَقَفَّه أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَعَمِلُوا بِتَعَالِيهِ لَظَهَرَتْ لَهُمُ الْبَرَكَاتُ، وَعَمَّ ضِيَاؤُهَا فِي الْأَفَاقِ)).

٥- التحذير من مخالفة النظام باتباع الأهواء.

إنَّ من أهم أسباب الاختلاف بين أبناء الأمة الواحدة هو الابتعاد عن حقيقة الطاعة والامتثال لأوامر المشرِّع كما يجب، وإنما محاولة التفكير كما يفهم المكلف وليس كما يريد المكلف وهو المولى، وقد أحدث هذا التفكير كلَّ الانشقاقات بين المسلمين مثلاً، والحروب والدماء التي تمت إراقتها إلى يومنا الحاضر، فما يريد أن يفهمه أتباع الكيان الإرهابي داعش عن مفهوم الدولة والحكم هو المفهوم نفسه الذي كان عند الداعين والمؤسسين لتلك الحروب الثلاث الكبيرة (الناكثين

والقاسطين والمارقين) والتي كان كبار القائمين على مواجهة علي الحق من الذين رؤوا النبي ﷺ وسمعوه، وشهدوا مواقفه المتعددة تجاه الإمام علي عليه السلام، وأنصتوا إلى وصاياه في محبته ونصرته وموالاته، ولكنهم مع كل ذلك وقفوا يحاربونه في حروب هي الأشد والأفجع في تاريخ المسلمين، وبقيت فجائعها العقدية وظلالها إلى اليوم، لذلك أعقب هذا الانقلاب الذي أشار إليه القرآن الكريم الاختلافات والانشقاقات الكبيرة في الأمة الإسلامية ومن ثم ظهور مختلف الفرق، والذي كان أساسه التحريف الأول لمفهوم الخلافة والإمامة، وقد وصف لنا هذا الانقلاب الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) بقوله: ((وَأَعْظَمُ خِلَافٍ فِي الْأُمَّةِ خِلَافَ الْإِمَامَةِ، إِذْ مَا سُئِلَ سَيْفٌ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى قَاعِدَةٍ دِينِيَّةٍ مِثْلَمَا سُئِلَ عَلَى الْإِمَامَةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ))^(٦٥)، وهذا من أهم الأسباب التي أدت بهذا الكيان الإرهابي أن يسفك الدماء، ويتهك الأعراس، ويقتل المسلمين الأبرياء بتأويلات واهية فاسدة، والمرجعية الدينية ضمن توجيهاته الإرشادية والإصلاحية تحذر المقاتلين من هذا المنهج، وتؤكد على ضرورة الرجوع إلى الذين أمر الله تعالى بالرجوع إليهم، بعيداً عن العاطفة أو التعصب الأعمى، وهو ما أكده القرآن الكريم في أسس نظامه الإسلامي الذي لا يقبل الخلاف والاختلاف، قال تعالى على سبيل المثال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٦٦)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٦٧)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٦٨).

فهل يُعقل أن الله تعالى يؤسس نظامًا لحياة الأمة ويأمرها بطاعة (الله
والرسول وأولي الأمر)، ولم يبيِّن لهم مَنْ هم أولوا الأمر؟
أو أن يأمرهم بالرجوع إلى (أهل الذكر) عند الجهل، ولم يبيِّن لهم مَنْ هؤلاء
الذين هم أهل الذكر؟!!

أو يأمرهم بالرجوع عند الاختلاف إلى (الرسول وأولي الأمر الذين
يستنبطونه)، ويترك الأمة بلا إرشاد إلى معرفة أولئك الذين يستنبطونه؟!
ولأجل عدم الوقوع في مثل تلك الانحرافات العقديّة حذرت المرجعية من
ذلك بالقول: ((وَيَاكُمْ وَالتَّشَبُّتَ بَبَعْضِ مَا تَشَابَهَ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالتَّنُصُوصِ،
فَإِنَّهَا لَوُرِّدَتْ إِلَى الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنَ أَهْلِ الْعِلْمِ - كَمَا أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ -
لَعَلُّمُوا سَبِيلَهَا وَمَغْزَاهَا)).

الخاتمة والتوصيات:

- ١- إنَّ النظام الإسلامي قد أثبت في جميع فقرات قوانينه موافقته للفطرة الإنسانية، وأنه لا يبتغي سوى تحقيق سعادة الإنسان وكمالهِ، سواء في حالات الرخاء أم الشدة، والسلم أم الحرب، وقد أفرق عن الأنظمة الوضعية في ذلك بموارد كثيرة.
- ٢- لقد تأكد أن المرجعية على مدى تاريخها كان حصناً للأمة من كلِّ انحراف، وقد بذل الإعلام جهوداً كبيرة من أجل الحقوق العامة للأمة، وكرامتها.
- ٣- لقد أستطاعت المرجعية الدينية عن طريق هذه التوجيهات أن تؤكد دعمها وتأييدها ووقوفها مع المقاتلين في دفاعهم عن المقدسات، ووضع الأسس العامة للحفاظ على قدسية قتلهم، وتحصينهم عن الوقوع في أي نوع من المحرمات التي قد تواجههم في المعركة.
- ٤- إنَّ هذه التوصيات المتعددة في فقراتها، والمختلفة في موضوعاتها إنما تؤسِّس للمسلمين إجمالاً الأخلاق الإسلامية والتربوية للمقاتلين من جهة، وللأمة من جهة أخرى بما يؤكد كرامة الإنسان ووجوب الحفاظ عليه.
- ٥- أوصي بضرورة تدريس هذه الوصايا والتوجيهات في كليات العلوم العسكرية؛ ليكونوا على بينة مما دعا إليه النظام لإسلامي في تربية المقاتلين، والأخلاق الخاصة التي يجب أن يكونوا عليها، والتي هي مفقودة في الغالب للأسف.
- ٦- أوصي بأهمية ترجمة هذه الوصايا إلى لغات عالمية متعددة، وإهدائها إلى المراكز البحثية المتخصصة؛ للإفادة منها تارة؛ والاطلاع على عظمة النظام الإسلامي تارة أخرى.
- ٧- أوصي بأهمية عقد ندوات في المراكز البحثية التخصصية في العالم، وبيان الصورة الحقيقية للنظام الإسلامي، والتي حاول كيان داعش الإرهابي وغيره تشويهها إعلامياً.

الهوامش

- ١- سورة الإسراء: الآية ٧٠.
- ٢- سورة المائدة: الآية ٣٢.
- ٣- سورة التكوير: الآيتان ٨-٩.
- ٤- وقد فصلت القول في وصايا المرجعية وتوجيهاتها في كتابي (السلسبيل المعين في توجيهات المرجعية للمقاتلين) وهي قراءة موجزة في منظومة الأديب الأستاذ محمد سعيد الكاظمي «رحمه الله» لتوجيهات المرجعية الدينية للمقاتلين في ساحات الجهاد المطبوع عام ١٤٤١ هـ ٢٠٢٠ م.
- ٥- وقد تم نشر هذه التوجيهات على موقع السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه) www.sistani.org
- ٦- سورة البقرة: الآية ١٩٠.
- ٧- سورة النساء: الآية ٧٥.
- ٨- ينظر: مشروعية استخدام القوة-دراسة في ضوء الشريعة الإسلامية وأحكام ميثاق الأمم المتحدة-، د. حيدر كاظم عبد علي و د. عبد الزهرة جاسم الخفاجي، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، النجف الأشرف، ٢٠١٥ م، العدد ٣٦، ص ١٩٩-٢٠١.
- ٩- ينظر: أخلاقيات أمير المؤمنين عليه السلام في الحرب والقانون الدولي -قراءة معاصرة-، د. كاظم جواد المنذري، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، ٢٠١٥ م، المجلد ٣، العدد ٢٣، ص ٦٥-٧٩.
- ١٠- الفقرة الخامسة من نصائح وتوجيهات المرجعية الدينية للمقاتلين.
- ١١- سورة النحل: الآية ٩٠.
- ١٢- سورة البقرة: الآية ١٩٠.
- ١٣- سورة البقرة: الآية ٢٦٨.
- ١٤- سورة الطلاق: الآية ١.
- ١٥- سورة البقرة: الآية ٢٢٩.
- ١٦- وسائل الشيعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (مط ستارة، قم، ١٤١٦ هـ، قم) ج ١٢ ص ٢١٣ باب (باب وجوب أداء حق المؤمن وجملة من حقوقه الواجبة والمندوبة) الحديث ٢٤.
- ١٧- غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد الأمدي التميمي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، (مط ستار، الناشر دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م) ص ١٨٦.
- ١٨- وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٢١٣ باب (باب وجوب أداء حق المؤمن وجملة من حقوقه الواجبة والمندوبة) الحديث ٨.

- ١٩- ينظر: آداب الرسول ﷺ وتعاليمه في الغزوات، مجلة دراسات تربوية، جامعة السلبيانية، كلية العلوم الإسلامية، تشرين الأول ٢٠١٧م، المجلد ١٠، العدد ٤٠، ص ٢٣٣-٢٣٤.
- ٢٠- سورة النساء: الآية ٧٥.
- ٢١- مجمع البيان في تفسير القرآن، علي الفضل بن الحسن، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، تقديم: السيد محسن الأمين العاملي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م) ج ٣ ص ١٣٢.
- ٢٢- التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسين، تصحيح: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٤، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م) ج ١٠ ص ١٤١.
- ٢٣- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، ضبطه: الشيخ بكري حياي، صححه: الشيخ صفوة السفا، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، د.ط) ج ٤ ص ٣٨٢ الحديث ١١٠١٣.
- ٢٤- المصدر نفسه الحديث ١١٠١٤.
- ٢٥- ينظر: أخلاقيات أمير المؤمنين ﷺ في الحرب والقانون الدولي ص ٧٠.
- ٢٦- من الذكريات التي سمعتها من قبل أحد المجاهدين في فرقة الإمام علي ﷺ القتالية «حفظه الله» -عند زيارتنا إياهم في أول زيارة لوفد العتبة الكاظمية المقدسة للمجاهدين إلى محافظة صلاح الدين قضاء بلد ومناطق أخرى بتاريخ ١/٢/٢٠١٤م- أنهم يواجهون مشكلة كبيرة من قبل بعض الأهالي للمناطق المحررة، فبعد أن يتم تحرير تلك المناطق وإعادة أهلها إليها تبدأ الخيانة من بعضهم تجاه المجاهدين في الليل من الخلف، وقد أعطوا بسبب ذلك عددا من الشهداء، وهذا يجعلهم مجبورين في بعض الأوقات على عدم السماح لهم بالرجوع إلى حين!!
- ٢٧- ينظر: شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، الشيخ جعفر بن الحسن المحقق الحلي، تعليق: السيد صادق الشيرازي، (دار القاري، بيروت، ط ١١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م) ج ١ ص ٢٤٤-٢٤٩.
- ٢٨- نهج البلاغة، محمد بن الحسين الشريف الرضي، شرح: محمد عبده، (مط الاستقامة، مصر، د.ط، د.ت) ج ١ ص ٤٦.
- ٢٩- الفقرة الثامنة من نصائح وتوجيهات المرجعية الدينية للمقاتلين.
- ٣٠- ما أعظم هذه التوجيهات في هذه الفقرة القائمة على مدى التكامل الإيماني والإنساني الذي كانت تدعو إليه تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة، وتؤكد المرجعية الدينية المباركة في مناسبات مختلفة، ولكن ما أبشع تلك الجرائم التي قام بها ذلك الكيان وأقبحها، والتي كانت صفحة سوداء لأولئك البغاة.

٣١- الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ٣، ١٣٨٨ هـ) ج ٥ ص ٣٩ باب (الدعاء إلى الإسلام قبل القتال) الحديث ٤.

٣٢- نهج البلاغة ج ٣ ص ١٥.

٣٣- الفقرة السابعة من نصائح وتوجيهات المرجعية الدينية للمقاتلين.

٣٤- منها كتابه (قدس سره) إلى الحاج جعفر أبي التمن (رحمه الله) ورد فيه: ((هذا وإننا نوصيكم أن تراعوا قواعد الدين الحنيف، والشرع الشريف.... وأن تحفظوا حقوق مواطنكم الكتابيين الداخليين إلى ذمة الإسلام، وأن تستمروا على رعاية الأجانب الغرباء، وتصونوا نفوسهم وأموالهم، وأعراضهم، ومحترمين كرامة شعائرهم الدينية، كما أوصانا بذلك نبينا الأكرم ﷺ)). المواقف المشتركة لعلماء العراق وإيران ضد الغزو الأجنبي للبلاد الإسلامية ١٩٠٥-١٩٢٠م دراسة تاريخية وثائقية، الدكتور كامل سلمان الجبوري، (مجمع الذخائر الإسلامية، قم، ط ١، ٢٠١٤م) ج ٢ ص ٣٢٨.

وكتابه إلى الرؤساء والزعماء والأشراف والأفراد في كافة أنحاء العراق: ((فإن إخوانكم المسلمين في بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء وغيرها من أنحاء أماكن العراق، قد أتفقوا فيما بينهم على الاحتجاج بمظاهرات سلمية.... وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل التي في بلادكم، في نفوسهم وأعراضهم وأموالهم، ولا تنالوا واحداً منهم بسوء أبداً، وفقكم الله لمراضيه)). المواقف المشتركة ٢/٣٣١.

٣٥- ومنها جواب استفتاء ورد فيه: ((وَنُوَكِّدُ أَنَّ الدِّفَاعَ عَنِ الْوَطَنِ وَمَقَدَسَاتِهِ لَا يَنْسَجِمُ مَعَ الْاِعْتِدَاءِ عَلَى أَيِّ مِوَاتِنٍ مَهْمَا كَانَ اِتِّسَاؤُهُ الْقَوْمِيَّ، أَوِ الْمَذْهَبِيَّ، أَوِ السِّيَاسِيَّ، نَطَالِبُ الْأَجْهَزَةِ الْحُكُومِيَّةِ الْمَعْنِيَّةِ أَنْ تُضْرَبَ بِيَدٍ مِنْ حَدِيدٍ عَلَى أَيِّ مَتَجَاوِزٍ عَلَى أَمْوَالِ الْمِوَاتِنِينَ وَحُقُوقِهِمْ....)). من جواب استفتاء رقم ٢٨٠١٧٢ بتاريخ ١١/٣/١٤٣٦ هـ حول قيام

بعض بأعمال غير صحيحة. ينظر: موقع السيد السيستاني www.sistani.org

وفي بيان آخر: ((أَهْمِيَّةُ تَرْسِيخِ السَّلَامِ وَالْمَحَبَّةِ وَالتَّعَايُشِ السَّلْمِيِّ، وَإِنَّهُ عَلَى رَأْسِ أَوْلَوِيَّاتِهِ، وَإِنْ تَكَرَّرَ هَذَا الْأَمْرُ كَانَ فِي كُلِّ خُطْبِ الْجُمُعَةِ فِي كَرْبَلَاءَ مِنْ قِبَلِ مُمَثِّلِنَا، وَقَدْ تَبَيَّنَا فِي الْفَتْوَى عَامَ ٢٠١٤م وَلِحْدِ الْآنِ، وَأَسْتَمْرَارِ حَمَلَاتِ الدَّعْمِ الْخَاصَّةِ بِالتَّازِحِينَ، وَمِنْ خِلَالِ الْفَرْقِ الْخَاصَّةِ الْمُكَلَّفَةِ لِلْمُسَاعَدَةِ فِي الْمَنَاطِقِ الْمُحَرَّرَةِ لِتَقْدِيمِ الْمَعُونَةِ وَتَرْسُلِ لِهْمِ رِسَالَةٍ بِأَنَّهَا أَبْنَاءُ مُجْتَمَعٍ وَشَعْبٍ وَاحِدٍ، وَيَجِبُ أَنْ نَعِيشَ مُتَّحِينَ وَمُتَحَابِّينَ)). موقع السيد السيستاني، لقاء مقررّة الأمم المتحدة السيدة اغنيس كالامارد ساحة السيد السيستاني في النجف

الأشرف الثلاثاء ٢١/١١/٢٠١٧م. ينظر: موقع السيد السيستاني www.sistani.org

٣٦- سورة الأنفال: الآية ٢٧.

- ٣٧- بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م) ج ٧١ ص ١٠٤.
- ٣٨- مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا حسين النوري، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، (الناشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، ط ٢، بيروت، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م).
- ج ١٤ ص ١٢ باب (تحريم الخيانة) الحديث ١.
- ٣٩- غرر الحكم ودرر الكلم ١٨٦.
- ٤٠- الاختصاص، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م) ص ٢٢٦.
- ٤١- كنز العمال ج ٣ ص ٥١٧.
- ٤٢- غرر الحكم ودرر الكلم ص ٩٥.
- ٤٣- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، (ط ٢، مط دار الحديث، قم، ١٤١٦هـ) ج ٥ ص ٢٢٣١.
- ٤٤- سورة النساء: الآية ٩٤.
- ٤٥- ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، (مط مكتبة الإعلام الإسلامي، قم، ط ١، ١٤٠٩هـ) ج ٥ ص ٢٩٨، التفسير الكبير ج ١١ ص ١٨٩.
- ٤٦- سورة الإسراء: الآية ١٥.
- ٤٧- الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق، الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام)، تقديم: السيد محمد باقر الصدر، (مط رسول، ط ١، قم، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م) ص ٣١٤-٣١٥.
- ٤٨- ينظر: الآثار الإنسانية للمرجعية الدينية في الدفاع عن المسيحيين وغيرهم من الديانات والأقليات، عماد الكاظمي، (دار الرافد، قم المقدسة، ط ١، ١٤٤٢هـ ٢٠٢١م).
- ٤٩- الفقرة السابعة عشرة من نصائح وتوجيهات المرجعية الدينية للمقاتلين.
- ٥٠- الأمالي، الشيخ محمد بن علي الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، (ط ١، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ) ص ٤٨٤.
- ٥١- مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، الشيخ أبو الفضل علي الطبرسي، تحقيق: مهدي هوشمند، (دار الحديث، ط ١، ١٤١٨هـ، د.م) ص ١٣٤.
- ٥٢- سورة الزخرف: الآية ٨٧.
- ٥٣- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ضبط: هيثم طعيمي، (ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٨م) ص ٣٨٢.
- ٥٤- سورة الروم: الآية ٣٠.

- ٥٥- الكافي ج ٢ ص ١٢، باب (فطرة الخلق على التوحيد) الحديث ١ .
- ٥٦- سورة الأعراف: الآية ١٧٢ .
- ٥٧- الكافي ج ٢ ص ١٢، باب (فطرة الخلق على التوحيد) الحديث ٢ .
- ٥٨- سورة الروم: الآية ٢٤ .
- ٥٩- بحار الأنوار ج ١ ص ٩٦ .
- ٦٠- غرر الحكم ودرر الكلم ص ٢٥٤ .
- ٦١- ينظر: الكافي ج ١ ص ١٣-١٩، كتاب (العقل والجهل) الحديث ١٢ .
- ٦٢- سورة القلم: الآية ٤ .
- ٦٣- الخصال، الشيخ محمد بن علي الصدوق، (مط الحيدرية، النجف، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، د.ط) ص ٣٠ .
- ٦٤- ميزان الحكمة ج ٣ ص ١٠٧٣ .
- ٦٥- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، (دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ، د.ط) ص ٢٥ .
- ٦٦- سورة النساء: الآية ٥٩ .
- ٦٧- سورة النحل: الآيتان ٤٣-٤٤ .
- ٦٨- سورة النساء: الآية ٨٣ .

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

* المؤلفات المطبوعة:

* الآثار الإنسانية للمرجعية الدينية في الدفاع عن المسيحيين وغيرهم من الديانات والأقليات، عماد الكاظمي، (دار الرافد، قم المقدسة، ط ١، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م).

* الاختصاص، الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣هـ/١٠٢٢م)، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).

* الأمالي، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق (ت ٣٨١هـ/٩٩١م)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، (ط ١، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ).

* بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١٠هـ/١٦٩٩م)، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

* التبيان في تفسير القرآن، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ/١٠٦٨م)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، (مط مكتبة الإعلام الإسلامي، قم، ط ١، ١٤٠٩هـ).

* الخصال، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه الصدوق (ت ٣٨١هـ/٩٩١م)، (مط الحيدرية، النجف، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، د.ط).

* شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، نجم الدين أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن المحقق الحلي

(ت ٦٧٢هـ/١٢٧٣م)، تعليق: السيد صادق الشيرازي، (دار القارء، بيروت، ط ١١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

* الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق، الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام، تقديم: السيد محمد باقر الصدر، (مط رسول، ط ١، قم، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م).

* غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد الأمدي التميمي (علماء القرن الخامس الهجري)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مطبعة ستار، الناشر دار الكتاب الإسلامي، ط ١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

* الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ/٩٤١م)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٣٨٨هـ).

* كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ/١٥٦٦م)، ضبطه: الشيخ بكري حياني، صححه: الشيخ صفوة السفاء، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، د.ط).

* مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م) تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، تق: السيد محسن الأمين العاملي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

* مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا حسين النوري

- (ت ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، (الناشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، ط ٢، بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م).
- * مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، الشيخ أبو الفضل علي الطبرسي (ت ق ٧)، تحقيق: مهدي هوشمند، (دار الحديث، ط ١، ١٤١٨ هـ، د.م).
- * مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م): ، (ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م).
- * المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، (ت ٥٠٢هـ / ١١٠٨م)، ضبط: هيثم طعيمي، (ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٨م).
- * الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م)، (دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤ هـ، د.ط).
- * المواقف المشتركة لعلماء العراق وإيران ضد الغزو الأجنبي للبلاد الإسلامية ١٩٢٠-١٩٠٥م دراسة تاريخية وثائقية، الدكتور كامل سلمان الجبوري، مجمع الذخائر الإسلامية، قم، ط ١، ٢٠١٤م.
- * ميزان الحكمة، محمد الريشهري (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)، تحقيق: دار الحديث، (ط ٢، مط دار الحديث، قم، ١٤١٦ هـ، ١٤١٦ هـ).
- * نهج البلاغة، محمد بن الحسين الشريف الرضي، (ت ٤٠٦هـ / ١٠١٥م): شرح: محمد عبده، (مط الاستقامة، مصر، د.ط، د.ت)
- * وسائل الشيعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ / ١٦٩٣م)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، (مط ستارة، قم، ١٤١٦ هـ، قم).
- * البحوث والدراسات:
- * آداب الرسول (صلى الله عليه وآله) وتعاليمه في الغزوات، مجلة دراسات تربوية، جامعة السلبيانية، كلية العلوم الإسلامية، تشرين الأول ٢٠١٧م، المجلد ١٠، العدد ٤٠.
- * أخلاقيات أمير المؤمنين (عليه السلام) في الحرب والقانون الدولي - قراءة معاصرة - د. كاظم جواد المنذري، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، ٢٠١٥م، المجلد ٣، العدد ٢٣.
- * مشروعية استخدام القوة - دراسة في ضوء الشريعة الإسلامية وأحكام ميثاق الأمم المتحدة - د. حيدر كاظم عبد علي و د. عبد الزهرة جاسم الخفاجي، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، النجف الأشرف، ٢٠١٥م، العدد ٣٦، ص ١٩٩-٢٠١.
- * المواقع الإلكترونية:
- * موقع السيد السيستاني
www.sistani.org

www.sistani.org/arabic/archive/25034//

نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد

إصدار مكتب سماحة السيد السيستاني دام ظله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين .

أما بعد : فليعلم المقاتلون الأعرّة الذين وفقهم الله عزّ وجلّ للحضور في ساحات الجهاد وجهات القتال مع المعتدين:

1. أنّ الله سبحانه وتعالى . كما ندب الى الجهاد ودعا إليه وجعله دعامّة من دعائم الدين وفضلت المجاهدين على القاعدین . فإنه عزّ اسمه جعل له حدوداً وأدباً أوجبها الحكمة واقتضتها الفطرة، يلزم تفقيها ومراماتها، فمن رعاها حق رعايتها أوجب له ما قدره من فضله وسئله من بركاته، ومن أحلّ بها أجنب من أجره ولم يبلغ به أمه .
2. فللجهاد أدبٌ عامّة لا بدّ من مراعاتها حتى مع غير المسلمين، وقد كان النبي (صلى الله عليه وآله) يوصي بها أصحابه قبل أن يبعثهم إلى القتال ، فقد صحّ عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال : (كان رسول الله - صلى الله عليه وآله - إذا أراد أن يبعث بسرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ثم يقول

توجيهات السيد السيستاني للمقاتلين !!

الاثنين 15 أكتوبر 2018 - 04:12 بتوقيت غرينتش



العراق - الكوئز: لاقت الوصايا والتوجيهات العشرون التي أوصى بها المرجع الديني الأعلى سماحة آية الله السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف) لمقاتلي فتوى الدفاع المقدسة، إقبالاً واسعاً واهتماماً لاقتنائها من قبل الحاضرين في المؤتمر الذي أقامته العتبتان المقدستان الحسينية والعباسية في مبنى الأمم المتحدة.

النسخ من هذه الوصايا تمت طبعها وترجمتها في العتبة العباسية المقدسة، وإخراجها على شكل كتيب جُمِعت فيه هذه الوصايا التي أصبحت دستوراً ومنهجاً قويمياً لسلوله قوّاتنا الأمنية والحشد الشعبي، ففرجموها على أرض الواقع حتى تتحقّق النصر على عصابات داعش الإرهابية.

ولكون أنّ المؤتمر قد شهد حضوراً لشخصيات من دياناتٍ مختلفة، كانت الفرصة سانحة من أجل التعريف بهذه الوصايا من خلال هذا

القيَمُ الأخلاقيةُ في التعايش والتسامح مع الآخر في وصايا السيّد السيستاني وأثر ذلك في الحفاظ على النسيج الوطني أ.د. جميل حليل نعمة المعلقة / جامعة الكوفة

ملخص البحث:

بعد تتبع مفهومين التعايش السلمي والتسامح مع الآخر ودراستهما من جوانب متعددة استطيع أن استنتج النقاط الآتية:

أولاً: إن مفهومي التعايش والتسامح مع الآخر يحتاجان الى أرضية خصبة لكي يتفعلا بين الأفراد، إذ لا بدّ أن ينظر الانسان الى أخيه نظرة إنسانية تخلو من الغلو والتعصب والاجبار .

ثانياً: لا يستطيع الانسان أن يعيش وحيدا في مجتمعه او غريبا فلا بد من تقبل الاخر ورسم حدود للحرية الشخصية من اجل احلال السلام في المجتمع.

ثالثاً: إن الحوار وتقبل آراء الذوات المختلفة هي البيئة المثالية للتسامح والتعايش سواء كان فكريا أم عقائديا أم نفسيا، إذ يؤدي ذلك إلى .

١- الاحترام والقبول بتنوع الثقافات بين أفراد المجتمع واختلافها.

٢- التسامح ليس تنازلا أو مجاملة للآخر، بل هو موقف ينبع من الاعتراف بحقوق الآخر وحياته الأساسية، والتعايش والتسامح ينبغي بناؤهما عن طريق الأفراد والمجتمعات قبل الدول؛ لأنّ الأساس في ذلك هو الإيمان بتلك المفاهيم .

٣- إنّ التعايش والتسامح هو مفتاح حقوق الإنسان والتعددية (بما فيها التعددية الثقافية والحضارية).

٤- تطبيق التعايش والتسامح يؤدي الى ضرورة الاعتراف لكل طرف بحقه في حرية اختيار معتقداته (حرية العقيدة والفكر) والقبول بأن يتمتع الآخر بالحق نفسه كما يعني ذلك عدم الجواز لفرد او مجموعة فرض آرائها على الاخرين .
إذن قاعدة التعددية قائمة على احترام الاختلاف والاعتراف للآخر بحريته وعدم التمييز بين الافراد والجماعات المتباينة عقديا وسلوكيا من منطلق حرية الافراد والجماعات .

Abstract:

After tracing and studying the concepts of peaceful coexistence and tolerance with others from various perspectives, I can conclude the following points:

First: The concepts of coexistence and tolerance with others require a fertile foundation to be effectively realized among individuals. A person needs to view their fellow human with a sense of humanity, free from extremism, fanaticism, and coercion.

Second: A person cannot live alone or as a stranger in their society; acceptance of others and defining boundaries for personal freedom are necessary to establish peace in the community.

Third: Dialogue and acceptance of differing viewpoints provide the ideal environment for tolerance and coexistence, whether intellectually, doctrinally, or emotionally. This leads to:

1-Respecting and accepting the diversity of cultures and differences among members of society.

2-Tolerance is neither a concession nor mere politeness towards others; rather, it is a stance rooted in the recognition of the rights of others and fundamental freedoms. Coexistence and tolerance should be built by individuals and communities before being institutionalized by states, as the foundation lies in the belief in these principles.

3-Coexistence and tolerance serve as the key to human rights and pluralism (including cultural and civilizational pluralism).

4-The implementation of coexistence and tolerance necessitates recognizing the right of each party to freely choose their beliefs (freedom of thought and belief) and accepting that others are equally entitled to this right. This also implies that no individual or group has the right to impose their views on others.

Thus, the principle of pluralism is founded on respecting

differences, acknowledging the freedoms of others , and refraining from the discrimination against individuals or groups with differing beliefs or behaviors, based on the notion of individual and collective freedom.

المقدمة

إن أهمية الخطاب الديني وبيانات السيد السيستاني تتأتى من كونها تهدف الى بناء الشخصية الوطنية الفاعلة التي سيكون لها الأثر المهم في الحفاظ على النسيج الوطني) وتكوين مجتمع مبني على أساس الأخوة، والعدل، والمسؤولية الفرد اتجاه الوطن وأفراد المجتمع، والتكافل الاجتماعي، وتكوين العلاقات السليمة بين أفراد المجتمع عن طريق التعايش السلمي والتسامح مع الآخر. ولم تدخر مرجعية السيد السيستاني جهداً أو وسعاً في سبيل إشاعة التعايش وتكريسه بين جميع المكونات والأديان والمذاهب في العراق، وسعت وتسعى الى مد جسور الفهم والتفاهم بين الجميع، مدركةً لحقيقة أن العراق بلدٌ متعدد الأعراق والأديان والطوائف، وتؤكد دائماً على ضرورة الابتعاد عن التطرف وسلوك طريق الاعتدال والتسامح والتعايش عبر التأكيد على حقوق كل افراد المجتمع بالتساوي، والحفاظ على دمائهم بالتصدي للفتن وترسيخ القيم الحميدة في بناء المجتمع، وهذا جوهر الديانات السماوية ومنها ديننا الاسلامي الحنيف.

كذلك تضمنت البيانات التركيز على المشتركات التي تجمع ابناء المجتمع العراقي، لأنهم يمتلكون جذور تاريخية تمتد الى اكثر من سبعة آلاف سنة مما يشكل هذا البعد قوّة حضارية، وثقافية، ومعنوية، واقتصادية، لذا تتعامل معهم جميعاً بأخلاق الإسلام، وتعاليمه السمحاء.

هدف البحث :-

تكمن أهمية هذا البحث في رجوعه إلى بيانات السيد السيستاني وخطبه، عبر قراءة هذه النصوص والوثائق وتحليلها، في الوقت الذي نلاحظ اندفاع قوى الاسلام السياسي وتزاحمها على السلطة في بلدنا العراق والكثير من دول العالم الاسلامي، من دون وضوح رؤية في تعامل هذه القوى مع الآخر الوطني والدولي. لذلك أصبح من ضروري بيان ما جاء في هذه البيانات والاحاديث

من أهمية تأسيس لبناء دولة إسلامية مدنية قائمة على التسامح والتعايش المجتمعي، وإدراك أن الفرد (المواطن) الذي نعيش معه في الإطار الوطني أو في الإطار الإنساني له حقوق لا بد من احترامها، الوقت نفسه عليه واجبات للوطن لا بد من الالتزام بها، لو أدركنا هذا المنهج السياسي الواقعي الذي أثبتته السيد السيستاني لاستطعنا تحقيق السلم الاهلي والتسامح والتعايش بين أبناء الوطن الواحد، عن طريق تقبل الآخر كشريك إنساني، وعكس ذلك يؤدي الى الشك والخوف من الآخر، وتهيئته ورفض الاعتراف بوجوده، مما يؤدي هذا الامر الى غلق باب النقاش والحوار الإيجابي بين أبناء الوطن الواحد، وهذا هو أخطر ما يُمكن أن يحصل بين أبناء المجتمع الواحد.

إذ تكمن أهمية البحث في محاولة استنطاق النصوص والبيانات لغرض بناء دولة مدنية معاصرة ديمقراطية، لا تختلف في متركزاتها عن ثوابت الاسلام عن طريق فتاوي السيد السيستاني، إذ تعد دليلنا العقلي والشرعي في ذلك.

فرضية البحث :

ينطلق البحث من فرضية مفادها : أن الإسلام المحمدي الأصيل يعزز التعايش مع الآخر الوطني ، بما يحفظ حقوقه كاملة من حرية الدين والثقافة والتملك وحفظ كرامته الانسانية ، مما يفسح المجال للتعايش والسلم المجتمعي في دولة اسلامية مدنية متعددة الانتماءات الثقافية والدينية والقومية.

إشكالية البحث :

يحاول البحث الاجابة عن تساؤل مهم هو: هل يوجد في الدين الاسلامي نصٌّ نظريٌّ ومنهج عمليٌّ واقعيٌّ يرسخ مبدأ (الحفاظ على النسيج الوطني) الذي يجعل أبناء مكونات المجتمع الواحد يشعرون بالاستقرار والتعايش والأمان ، على رغم من الاختلاف الثقافي والديني والقومي والمذهبي *
لقد أجابت هذه الدراسة على هذا التساؤل المهم، وذلك عبر تأكيد فتاوى

السيد علي الحسيني السيستاني وبياناته على مبدأين اساسين هما التعايش السلمي بين أفراد المجتمع والتسامح مع الآخر وهذان المبدأن سيشكلان المباحث الاساسية ل (هيكلية البحث) التي تجيب عن هذه الإشكالية .

حدود البحث:

يتكون البحث من مبحثين أساسيين ينقسم كل مبحث على عدة محاور، إذ درسنا في المبحث الأول: تحليل مفهوم التعايش بين أفراد المجتمع، ثم درسنا في المحور الأول أسباب ظهور مفهوم التعايش، أما المحور الثاني فدرسنا فيه تطور مفهوم التعايش حضارياً، وفي المحور الأخير درسنا نقد مفهوم التعايش ثقافياً وتحليله.

المبحث الثاني: تحليل مفهوم التسامح مع الآخر، وقد درسنا في المحور الأول أسباب ظهور مفهوم التسامح، أما في المحور الثاني درسنا كيف تطور مفهوم التسامح مع الآخر حضارياً، وفي المحور الأخير درسنا نقد مفهوم التسامح ثقافياً وتحليله.

المبحث الأول: تحليل مفهوم التعايش بين أفراد المجتمع.

تمهيد: إيماناً من سماحة الإمام السيستاني بوحدة العراق أرضاً وشعباً فقد وقف موقفاً تاريخياً ضد أي نعرات طائفية أو قومية داعياً المجتمع العراقي بكل أطرافه إلى التعايش السلمي والوحدة الوطنية والحث على تماسك النسيج الاجتماعي ضارباً كل مخططات أعداء العراق إذ بين سماحته أن ما يجري هو من أيادٍ خارجية لا تريد الخير للعراق والعراقيين، فحرّم الدم العراقي بشكل صارم وقاطع، وهذه الوثائق تشير إلى هذا المعنى^(١).

ولا يخفى أن الارهاب والفتنة مشروع معاد لفكرة الدولة التي تنشدها الجماهير، لكن المرجعية العليا الرشيدة تسعى بقوة للخروج من النفق أو الفكك من المأزق الطائفي عن طريق سعيها الدائب وسيرها الخيثة لتكريس

مبدأ التعايش السلمي بديلاً للمواجهة والتصدي لمظاهر التشتت والفرقة، فهي ترى بأن أسوأ المعالجات معالجة الأمور بالقوة وتدرك بأن الفتنة الطائفية لا ينتهي أوارها إلا وقد أحرقت الأخضر واليابس وتركتها قاعاً صفصفاً، وأنها تصب في خدمة مشروع تفكيك المنطقة، المتمثل بتقسيم المقسم وتجزئة المجرزاً بحروب أهلية مذهبية .

ومن يتمعن في رسالة السيد السيستاني (دام ظلّه) التي وجهها الى الشعب بعد أحداث الفتنة الطائفية يجد أنه يستشهد بالخطاب القرآني الذي يؤكد على الاعتصام بحبل الله وعدم التفرّق ويستنكر على الذين يستبيحون دماء المسلمين ويسترخصون نفوس الأبرياء لانتماءاتهم الطائفية بقول النبي الأعظم عليه السلام في حجة الوداع : (ألا وان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا ليلغ الشاهد الغائب)، وبقوله عليه السلام (من شهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله فقد حقن ماله ودمه إلا بحقهما وحسابه على الله عزّ وجلّ)، وبقوله عليه السلام (من أعان على قتل مسلم بشر كلمة لقي الله عزّ وجلّ يوم القيامة مكتوب بين عينيه : آيس من رحمة الله). (وخاطب الذين يستهدفون المدنيين العزّل والمواطنين المسالمين بما قاله أبو عبد الله الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء مخاطباً من راموا الهجوم على حرمة : إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم غرباً كما تزعمون.. أن النساء ليس عليهن جناح.^(٢)

فما بالكم تستهدفون أناساً لا ذنب لهم في كل ما يجري، من الشيوخ والنساء والأطفال وحتى طلاب الجامعات وعمال المصانع وموظفي الدوائر الحكومية وأضرابهم؟ إن لم يكن يردعكم عن ذلك دين تدعونهُ أفلا تصدّكم عنه إنسانية تظهرون في لبوسها؟ وقد اسهمت هذه الرسالة في تخفيف حدة

الاحتقان الطائفي وتهدة النفوس وامتصاص ردود الأفعال غير المنضبطة، وتعتبر رسائل المرجعية وخاصة السيد السيستاني (دام ظله) وتوجهاته بمثابة المصل الواقعي الذي يمنح الأمة المناعة ضد فيروس الانقسام والتفرق والتمزق، ومن ثم فهو يدفع المواطنين للانصهار في بوتقة الدولة العراقية. وفي هذا الصدد ترى المرجعية بأن العلاقة الأخوية بين كل المكونات الاجتماعية في العراق لن تتأثر ببعض الحوادث المؤسفة التي تقع هنا وهناك، وقد سعى الجميع في تطويقها واتخاذ ما يلزم لعدم تكرارها، ومن المؤكد أن العراقيين جميعاً حريصون على وحدة بلدهم والدفاع عن ثوبته الدينية والاجتماعية والوطنية، كما أنهم متفقون على ضرورة التأسيس لنظام جديد يقرّ مبدأ العدالة والمساواة بين جميع أبناء هذا البلد في جنب مبدأ التعددية واحترام الرأي الآخر^(٣).

ودائماً تؤكد المرجعية على عدم وجود صراع ديني بين افراد الشعب العراقي، بل هناك أزمة سياسية، ومن الفرقاء من يمارس العنف الطائفي للحصول على مكاسب سياسية وخلق واقع جديد بتوازنات مختلفة عما هي عليها الآن، ويجب أن يسعى الجميع - ولا سيما الزعامات الدينية والروحية - لتثبيت قيم المحبة والتعايش السلمي المبني على رعاية الحقوق والاحترام المتبادل بين أتباع مختلف الأديان والاتجاهات الفكرية^(٤).

وبما أنّ الفكر المتطرف كان السلاح الأشد تأثيراً لدى تلك التنظيمات، وهو الذي ساعد بتشكيل عصابات الجريمة المنظمة، وكان لا بُد من مواجهة هذه التنظيمات بسلاح أقوى من سلاحها، إذ جاء دور الإسلام الحقيقي ليدافع عن مبادئه السماوية، ويثبت حجته السمحاء، وعقيدته الأصيلة المترسخة والمتجذرة مع القيم المثلى. تمثل هذا الامر بصدور فتوى الجهاد الكفائي التي أطلقها سماحة المرجع الأعلى السيد السيستاني (دام ظله)، كانت الأشد وقعاً

على التنظيمات المتخلفة، فهم (أي التنظيمات) لم يواجهوا قبل الفتوى خسائر رادعة لشذوذهم، وهنا تكمن فلسفة الفتوى.

بعد هذا التمهيد لابدلنا من تحليل مفهوم التعايش حضارياً وثقافياً عن طريق عدة محاور وكما يأتي :

المحور الأول: أسباب ظهور مفهوم التعايش.

قبل ذكر الأسباب لابد أن نعرف أن مصطلح التعايش السلمي من المصطلحات الحديثة، ويراد به حالة السلم التي تعيش فيها دول ذات أنظمة اجتماعية، وعقائد دينية، وسياسية، متباينة، إذ يعيش فيها الأفراد المتعدّدو الديانة في الدولة الواحدة، وقد اجتهد الباحثون في تحرير المقصود به، إذ عرّف بعضهم بانه سياسة خارجية تنتهجها الدولة المحبة للسلام وتستند إلى فلسفة مقتضاها نبذ الحرب بصفقتها وسيلة لفض المنازعات، وتعاون الدولة فيما بينها من لاستغلال الإمكانيات المادية والطاقات الروحية استغلالاً يكفل تحقيق أقصى قدر ممكن من الرفاهية للبشر بغض النظر عن النظم السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية.^(٥)

إن الأسباب والمناخ الذي أدى إلى ظهور مصطلح التعايش السلمي المشترك بين الفرد والمجتمع. وجعلته شعاراً مطروحاً على ساحة العلاقات الدولية بين الشعوب، وهدفا منشودا يسعى إليه ومع أهمية المفهوم السائد لهذا المصطلح فان التعايش بين الأمم المختلفة الديانات أكثر خطورة من الأول، لاسيما إذا أقاموا مجتمعاً واحداً ودولة واحدة، إذ إن الاستقرار وبناء السلام في الداخل يأتي قبل الاستقرار وبناء السلام الخارجي، ومن ثم حرص كل مجتمع ودولة على التوصل إلى صيغة تضمن التعايش السلمي والبناء بين أتباع الديانات المختلفة فيها^(٦)، سواء بهدي من الدين أم بفكر وضعي .

ولقصور فهم الكثير من أبناء الإسلام برزت محاولات هادفة تحت شعار

(التسامح الديني)؛ لإيجاد ديانة مشتركة، وقد يفهم كثير التسامح الديني خطأً، بأنه التقاء في كل شيء بين أتباع الديانات المختلفة، ونقيض التمييز في الخصوصيات الدينية خدمة للاستقرار والتعاون الاجتماعيين فكانت الحاجة ملحة إلى الشعار؛ وذلك لتجاوز نطاق البحث في الأمور الدينية حسب المفهوم العلماني السائد إلى المجالات الاجتماعية، وهي في المفهوم الإسلامي من الدين كذلك. وجاء مصطلح التعايش السلمي لتحقيق مقاصد المثل العليا وتحقيقها، ومن المثل العليا العدل والمساواة، والتعاون والتعارف، وإن الأصل في الإسلام وتأمين الناس على أرواحهم وأمورهم^(٧).

والتعايش السلمي لا يتحقق إلا في جوٍّ من العدل والحرية في المعتقد والعمل والحركة مع المساواة. المقصد من وراء ذلك هو التعارف لتحقيق الخلافة الحقة في الأرض. قال الأستاذ البهي الحولي: ((إن الخلافة وصف عام، وتكليف شمل البشر كافة، فالناس يرثون خصائص آدم ﷺ ما كان منها رוחي، لأفرق بين شعب وشعب ولإيين جنس وجنس))^(٨). إن قدر الإنسان في نظر الإسلام رفيع، والمكانة المنشودة له تجعله سيدا في الأرض وفي السماء، ذلك أنه يحمل بين جنينه نفخة من روح الله وقبسا من نوره الأقدس، وهذا السبب السماوي هو الذي رشح الإنسان ليكون خليفة عن الله في أرضه، وهو الذي جعل الملائكة بل صنوف المخلوقات الأخرى تعتوه له وتعترف بتفوقه^(٩).

ومن الأسباب التي دعت إلى التعايش لتحقيق (الحرية) بين أفراد المجتمع أن الإنسان حر منذ الولادة إلى أن يموت قرر الإسلام هذا المبدأ ووضع له الضمانات الكفيلة، والحرية أعلى شيء في حياة الناس، بها يملك الإنسان شخصيته ويثبت كيانه، وهي أكبر مظاهر الكرامة الإنسانية والطريق إلى الأيمان الصحيح والمسؤولية. وهذا المبدأ تكريم للإنسان واحترام لإرادته وفكره ومشاعره، وترك امرئ لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد، وتحمله

تبعه عمله وحساب نفسه ، وهذه هي أخصّ خصائص التحرر الإنساني.^(١٠) ومن ميزات الإنسان ، أنه منذ أن غادر حياة الغابة ، وهو يحاول أن يحقق حياة هنيئة؛ كي ينعم بالأمن والرفاهة والسلام ، لجأ إلى الكهوف وفيه مارس الصيد ، ثم ما لبث أن احترف الزراعة وبنى البيوت ، ليؤسس المدينة على وجه الأرض . ولم يقف الإنسان عند حدٍّ معين في طموحه من أجل الارتقاء والعيش في حالة معينة ، تسبغ عليه السعادة في جميع مناحي الحياة ، بل فكر في إيجاد المدينة الفاضلة ، التي تتميز بتقديم الخيرات للإنسان ، وتبعد عنه الشرور . وجاءت فكرة التعايش للحفاظ على الملكية ، وهذا يعدُّ من حقوق الإنسان الطبيعية لقيام مجتمع مدني إذ إن حق الإنسان يكون امتلاك خيرات الأرض على سبيل الشركة أو على سبيل التملك الفرديّ، وإن الله وهب الأرض لأدم ولبنيه من بعده لتكون شركة بينهم، فنظرية حقوق الإنسان الطبيعية هي من أهم الأسس الفلسفية التي تركزت عليها الوثائق الدستورية المعروفة باسم شرعية حقوق الإنسان^(١١).

المحور الثاني: تطور مفهوم التعايش حضاريًا.

التعايش هو نظرية أكاديمية فيما يخص حقب تاريخية، تأتي هذه الدراسة لتعزيز الدعوة إلى فهم الدين الإسلامي بما يبنني على تكريم الإنسان بغاية تفعيل دوره ليكون عنصر خير ورخاء في هذا العالم، ويوجه وجهة صالحة تدعم الأمن والاستقرار والسلام اليوم . إن الإسلام عقيدة وشريعة يهدف إلى تحقيق السلم والأمن في المجتمع الإنساني، سلم المرء على نفسه وأهله وماله، وتأمينه من كل أسباب المخاوف التي تحيط بالحياة والأحياء على وجه الأرض، ذلك أن عقيدة الإسلام لا تسمح للبشر أن يكونوا عبيداً لإله وحده ، وبهذا المفهوم تتلاشى الفروق المصطنعة بين البشر ، ويصبحون بنعمة الله إخوانا ، ولتلاشى صور البغض التي لا توجد إلا في غيبة الإيمان الصحيح ، كما أنها

تمنح الإنسان الأمن والطمأنينة . قرر الإسلام قواعد الإخاء والمساواة بين البشر ، وقضى على فكرة التعصب القبلي والتمييز العرقي على مستوى الفرد والجماعة ، وشرع الأحكام العادلة التي تنظم علائق الناس بعضهم ببعض وتحدد ما يتعلق بكل منهم من الحقوق والواجبات ، وبين لهم ما يجوز من التصرفات وما لا يجوز ، الأمر الذي يشيع في المجتمع روح المحبة والسلم . كما جعل نظام الحكم دعامة رئيسية لإقرار السلم في المجتمع ، إذ فرض فيه العدل ، وجعله مثابة للناس وأمناً ، يكفل الحقوق لأصحابها ، مسلمين وغير مسلمين بل ولو كانوا أعداء^(١٢) .

إن علاقة المؤمنين بعضهم مع بعض في المجتمع الإسلامي - مهما اختلفت الديار - تقوم على السلم والإخوة ، والسلم بينهم ابدي لا ينقضه الا الكفر او الردة ، فقد جاء الإسلام ليجمع قلوب المسلمين ، ويجعل من إخوة الإيمان اكبر رابطة تجمع بين العباد قال تعالى ((إنما المؤمنون إخوة))^(١٣) . إن طبيعة العصر الذي نعيش طبيعة مختلفة عن العصور السابقة لاعتبارات كثيرة أهمها انفتاح المجتمعات الإنسانية بعضها على بعض وتشابك علاقاتها، نظراً للتقدم العلمي الذي تحقق ويسر التواصل والانفتاح بين المجتمعات الإنسانية بوسائل التقنية المتطورة . بالإضافة إلى التغيرات التي حدثت وتحدثت في العلاقات الدولية باختفاء الأقطاب المتنافرة إلى هيمنة القطب الواحد على المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية ومن المعلوم أن القرن العشرين قد عرف تحولات اقتصادية وسياسية كبيرة أبرزها حركات الاستقلال والتحرر بعد الحربين العالميتين وظهور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وبروز منظمات دولية وإقليمية تسعى إلى تحقيق الأمن والاستقرار في العالم مع ما صاحب ذلك من تعثرات وخطيبات أمل بالنظر إلى مناطق التوتر في العالم وهيمنة بعض القوى على مواقع القرار لخدمة أغراض قومية وعنصرية^(١٤) .

كلُّ الإحداث قد أخذت وجهة جديدة في القرن الحادي والعشرين بسبب العولمة بوصفها حقيقة واقعة تفرض نفسها على العالم بأسره، وفي هذا الإطار يمكن أن نتحدث عن الثقافة المختلفة وتدعيم الحوار بين الأديان والتعريف بحقيقة الإسلام باعتباره دعوة مفتوحة إلى الإنسانية نحو التسامح والتعارف والتقارب مصدقا لقولة تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات ١٣). وفي هذا المجال ستقع حقيقة التعايش السلمي في إطار الإسلام ثم الحديث عن التعايش السلمي بالنظر إلى المرحلة التي نعيشها وما يدخلها من نظرة غير المسلمين إلى الإسلام والمسلمين في أطار العلاقات الدولية والثقافة العالمية. قبل أن يصوغ اليونان مذاهبهم الفلسفية والسياسية والاجتماعية وجدت حكومات في العالم وحكام سواء أكانوا في الشرق أم الغرب وكانت الحكومة بالنسبة للحاكم أداة لغرض السيطرة وإشباع رغباته وملذاته^(١٥).

وفي الفكر المعاصر حفلت حياة غاندي بالكثير من المواقف، وكانت مواقفه، وأقواله على حد سواء، تنفق مع تعاليم السماء، حيث عالم القداسة والبر والطهارة والنقاء، وهي تعاليم مستنيرة ومنيرة تدور في مجملها حول الحب والحق والخير والتسامح والتعاون وعمل الرحمة مع الجميع وطلب السلام ومحبة الإنسان لأخيه الإنسان، ومن جانب آخر الابتعاد عن الظلم والغش والأثنية والجور على حقوق الآخرين. آمن غاندي على نحو واضح بالمساواة بين جميع المواطنين من دون تمييز بين مواطن وآخر، وقد سعى إلى تأكيد تلك المساواة في الممارسات الحياتية والمعاملات اليومية كافة، فضلاً عن رفضه الطبقية والتقسيم الطبقي بين المواطنين^(١٦).

إن مبدأ التعايش لم يعد مجرد ترف فكري يقتصر على الفلاسفة والمثقفين، بل هو ضرورة لحماية مستقبل البشرية من أخطار دعوات الكراهية والعنف

والإقصاء على أسس دينية أو مذهبية أو عرقية . وهذا يستدعي استنباط قدرات المجتمعات الإنسانية وتوحيد جهودها لتعزيز مسار التعايش كقيمة إنسانية جامعة تكفل التنوع^(١٧)، وتعزز الحوار والتعاون . ومن هنا ، تأتي أهمية العمل على غرس قيمة التعايش في مناهج التعليم ووسائل الإعلام ، والأسرة وأماكن العبادة .

ولتحقيق السلام الدائم ينبغي أن يقوم قانون الشعوب على أساس نظام اتحاديّ بين دول حرة، حين تصير دولا ، كشأن الأفراد : في حال الفطرة (أي الخلو من كل قانون خارجي) يعتدي بعضها على بعض بحكم الجوار ؛ ولا بد لكل شعب ، ليضمن أمنه وسلامته ، أن يطلب من الآخر أن يشاركه في نظام شبيه بالدستور المدني الذي يرى فيه كل واحد ضماناً لحقوقه : هذا النظام بمثابة "حلف الشعوب" ؛ لكنه لن يكون دولة واحدة . لأنه لو تم ذلك لانطوت الفكرة على تناقض : إذ إن كل دولة تفترض وجود علاقة بين حاكم (أي المشرع) ومحكوم (أي الشعب) ؛ فلو انضوت شعوب متعددة تحت لواء دولة واحدة لأصبحت شعباً واحداً ؛ وهذا مخالف للافتراض : إذ إنه يلزمنا هنا ألا نغفل حقوق (الشعوب) في علاقاتها بعضها مع بعض ؛ بلحاظ أنها تضم عدداً من الدول المختلفة ولا تندمج في دولة واحدة بعينها^(١٨) .

وكذلك ظهر التعايش في ظل فلسفة الاعتراف عند الفيلسوف الألماني اكسل هونيث، التي ترى أن البشر يختلفون في تكويناتهم البيولوجية والنفسية والفكرية ، وتختلف تبعاً لذلك المجتمعات فتكون لها تفاصيلها الفكرية والاجتماعية والسياسية . والتاريخ حافل بنماذج يبرز فيها التعدد والتعايش بين ثقافات مختلفة، لكن التعايش حتى يتحقق يجب أن يتضمن الاعتراف بان الآخرين موجودون، إذ يتم الاطلاع على ثقافتهم والإقرار بحقوقهم من دون المداهنة والتسليم بأفكارهم ومواقفهم آياً كانت . لقد كانت فكرة التعايش محل اهتمام الفلاسفة والفلاسفة

عبر عصور التاريخ والفلسفة؛ لذا وضع الفلاسفة أفكارا يمكن عدّها بمثابة ضوابط ومعايير تدعو إلى الأخذ بما ينسجم مع القيم الإنسانية العامة ورد ما يتعارض معها. ويعدّ التعايش حاجة ملحة وضرورية فضلاً عن كونه هدفاً وغاية في مجتمعات تتميز بتنوع عرقي أو ديني أو ثقافي. (١٩)

المحور الثالث: تحليل مفهوم التعايش ثقافياً ونقده.

إن مفهوم الحوار والتعايش بين مختلف الديانات والطوائف والجماعات، مفتاحاً للتخلص من الأزمات، والخلافات والنزاعات المختلفة ومن ثمّ يمكن التغلب على التعصب والكرهية والتمييز عن طريق استثمار هذين المفهومين على نحو معقول وقائم على تعميق الفهم الفردي والجمعي لهما. فالآثار الإيجابية للتعايش والحوار واضحة بصورة جليّة في المجتمعات المتنورة والمتطورة مدنياً، ومن العادات التي تصدرت الاحترام المتبادل، والثبات والاستقرار ودرء مخاطر التعصب، فتغلبت المجتمعات الواعية على المواقف المتعصبة وتوافق اجتماعي وتحقيق مكاسب مشتركة يشترك فيها الجميع عبر الانفتاح واحترام حريات الإنسان وحقوقهم مما انعكس إيجابياً على الحياة الإنسانية التي حظيت بالاحترام والقبول نتيجة للتنوع الثقافي. يعدّ مفهوم التعايش من أهم أركان بناء أية نظرية، وإن تناول أحد هذه المفاهيم هو

لغرض الدراسة والتحليل، ولتحديده واستخدامه بشكل علمي من أجل الإمام بطبيعة الظاهرة، وتعدّ ظاهرة التعايش السلمي موضع اهتمام واسع من قبل المفكرين والباحثين، كما يعدّ مفهومه ظاهرة متطورة باستمرار وتأخذ أشكالاً مختلفة، من العنف الناجم عن إرادة السيطرة على الآخر، إلى عمل إقناعي لزج المواطن في عمل جماعي مشترك فضلاً عن أنها ارتبطت بكل أوجه العلاقات الإنسانية. (٢٠)

وهناك عدة إشكاليات تواجه مفهوم التعايش، منها المتعلقة بمعانيها

ودلالاتها، من حيث أنها تعتمد على (حق في الحكم) أو (حق القيادة والإمرة) ، ومن ناحية أخرى تنطوي على كل شكل من أشكال القوة بغرض التأثير والسيطرة . على الرغم من اختلاف الفلاسفة والفقهاء في الأسس التي ركز عليها التعايش إلا أنهم اتفقوا على أنه ذو طابع أخلاقي ومعنوي (التعايش يجب أن يطاع) . كما أن طبيعة التعايش السلمي يظهر لنا ازدواجيتها، من حيث كونها جوهرًا أو أنها تنطوي على مفهوم علائقي يؤكد (القدرة والتأثير) فضلا عن أننا نجد ممارسات التعايش السلمي تأخذ أشكالاً مختلفة، وعناصر متنوعة مثل القوه والهيبه والنفوذ والسيطرة^(٢١).

إن التعايش السلمي يختلف باختلاف مطلقاته النظرية أو الإيديولوجية، يصعب تحديد مفهوم التعايش لأنها ظاهرة تتطور باستمرار وتأخذ أشكالاً مختلفة وقد مرت بمراحل نوعية في تطورها، اعتباراً من العنف الناجم عن إرادة فجحة للسيطرة على الآخر، إلى عمل إقناعي لزج المواطن في عمل جماعي مشترك . لم يكن التعايش المعاصر في بداية المعسكرين إلا صورة من صور الصراع وان لم يكن الصراع على وتيرة واحدة، حتى انتهى بنهاية الاتحاد السوفيتي السابق، وقد كان النقد لهذه الظاهرة ممن كتب عنها من الغربيين من ناحية التطبيق إذ كان الشعار المرفوع ((الأفضل أن نعيش في السلم من أن نعيش في الحرب))^(٢٢).

إن التعايش الذي ندرك في الغرب يبحث عن مصالحها إذ تضعه في مقدمة أولوياتها وتتعامل مع العالم من منطلق الحرص على تلك المصالح واستثمارها والحفاظ عليها بشتى الوسائل حتى لو كان فيها هدر لحقوق الآخرين أو انتقاص من مكانتهم . والتعايش لا يمكن أن يتحقق إلا مع أطراف يجمعهم الرغبة المشتركة في تحقيق أهداف متفق عليها، أما إذا افتقر التعايش إلى هذه الرغبة فسيكون ضرباً من العبث أو إملاء للرأي وفرضاً له من طرف على طرف آخر مما يجعله فاقداً للشرعية العلمية^(٢٣) . أما التعايش في الإسلام فقد تأثر

بالتحولات الاقتصادية والسياسية، والعمولة كحقيقة والانفتاح على المجتمعات الإنسانية، والتقنية المتطورة، ما أدى إلى هيمنة القطب الواحد على المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية وغياب حقوق الإنسان وهيمنة بعض القوى على مواقع القرار لخدمة أغراض قومية وعنصرية لشريحة معينة^(٢٤).

أما الجانب الايجابي في فكرة التعايش فهي أن الفقراء يجيئون حياة خالية من الحريات كحرية التصرف وحرية اتخاذ القرار، وكثير ما ينقص هؤلاء الفقراء كثير من الحاجات لكن التعايش ومشاركه الطبقات الأغنياء يساعدهم على أن تعم المساواة بين جميع الطبقات، والذين يعيشون تحت هذه الظروف المعيشية الصعبة يستحقون الحصول على دعمهم المعنوي والأدبي^(٢٥).

جمهورية أفلاطون المدينة الفاضلة كانت الحلم الأعظم للناس، فكان الهدف من إحياء المدينة هو أنها تكفل له الحياة التي يتمناها لعامة الناس وفي فكر أفلاطون أن هذه المدينة هي التي تستطيع أن تنتشل الإنسان مما يعانيه من ظلم وتخلف واستبعاد لترفع به إلى الحرية والازدهار عن طريق التكافل الاجتماعي، فهذا يؤدي إلى التعايش والسلم بين أفراد المجتمع، فكل فيلسوف يبني حضارته من اجل رفع منزلة الإنسان إلى درجه أعلى ويعمل على تلبية احتياجات الناس والتغلب على المصاعب ليحيا الناس جميعهم في مدينة مثالية سعداء عن طريق التعايش والسلم بين بني البشر. كذلك أرسطو قال إن الإنسان مدني بالطبع، والفارابي ارتأى رأياً اقرب للصواب قال إن الإنسان دعتة الحاجة إلى الاحتماء، وليس بالطبع أو الفطرة في رأي الفارابي من اجل تحقيق سعادة الفرد والمجتمع أي من أجل التعايش والسلم والأمن. ومن أجل التعايش يجب على الناس أن يتنازلوا عن شيء من حقوقهم والمشاركة به من أجل الآخر ففرى ميكافيلي أعطى الحق للأمر بالتصرف المطلق، وهو يوز اوجب على الناس أن يتنازلوا عن حرياتهم للملك، وجان جاك روسو هو الآخر قال: إن المجتمع تنازل لرئيس

الدولة على وفق عقد اجتماعي، كل ذلك من أجل أن يسود الأمن والسلم والتعايش بين المجتمع لا من أجل التعصب والعنف^(٢٦).

إن سبب التركيز على التعايش والسلم عند هؤلاء الفلاسفة كان له أسباب، إذ عرفنا عن أفلاطون اعدموا أستاذه سقراط وبنات هو مهدد في حياته، إضافة إلى ما يراه من تعسف واستبداد من الحكام، والفارابي يرى تدهور الحالة السياسية وقوة الدولة العباسية وتمزقها إلى ولايات، وغان جاك روسو يحيا في أسرة ملكية مستبدة قاهرة، وهيكل عاش في زمن تباعد المدن الألمانية وغزو الجيش الفرنسي لبلاده، وتوماس عاش في ظل ملك متعجرف، كل هذه الظروف دعت الفلاسفة والمفكرين إلى إقامة عدالة اجتماعية تقوم على التكافل الاجتماعي والمعايشة من أجل رفع الظلم، ويصبح واجب إزامياً للجميع من أجل حماية الدولة أو المدينة والحكام من العنف الناجم من الطرف الأقوى^(٢٧).

المبحث الثاني: تحليل مفهوم التسامح مع الآخر.

تمهيد: يؤكد السيد السيستاني على روح التسامح والاعتراف الطرف الآخر والمشاركة في المشاعر الإنسانية التي تربط العالم بعضها ببعض حزناً وفرحاً^(٢٨). لم تدخر مرجعية الامام السيستاني جهداً أو وسعاً في سبيل إشاعة التعايش وتكريسه بين جميع المكونات والأديان والمذاهب في العراق، وسعت وتسعى الى مد جسور الفهم والتفاهم بين الجميع، مدركة حقيقة كون العراق بلداً متعدد الأعراق والأديان والطوائف، وتؤكد دائماً على ضرورة الابتعاد عن التطرف وسلوك طريق الاعتدال والتسامح، ودائماً تبذل الجهد من أجل الاصلاح عن طريق الاقناع وعدم الاحتكام الى لغة السلاح، فهي تدرك النتائج المأساوية للكرامية، وتصر على إقصاء لغة الانتقام، وخير شاهد موقفها عندما تعرضت الكنائس المسيحية في بغداد والموصل الى اعتداءات آثمة

أسفرت عن سقوط عشرات الضحايا الأبرياء بين قتيل وجريح ، كما تضرر من جرائها كثير من الممتلكات العامة والخاصة ، تم إصدار بيان استنكر فيه التعرض للكنائس المسيحية وشجب فيه وأدان هذه الجرائم الفظيعة ، مؤكداً على وجوب احترام حقوق المواطنين المسيحيين وغيرهم من الأقليات الدينية ومنها حقهم في العيش في وطنهم العراق في أمن وسلام^(٢٩) .

وهناك قوى وتيارات فكرية منحرفة تنظر بعين الحقد للعراقيين ، فهي تجمع كيدها وتحرص همها لإغراق المنطقة وخاصة العراق في الفتنة الطائفية نتيجة التعصب المذهبي الذي يرقد في نفوسهم ويبيض ويفرخ ، فاتبعوا أساليب خسيصة وذنينة لا تقتصر على الخطف والقتل والتشيل بجثث المخطوفين ، بل تجاوزتها شناعة ووحشية وإيلاً ما عبر تفجير المراقد المقدسة ، وعندما وقعت الكارثة الكبرى بتفجير مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام سارعت المرجعية العليا الى اصلاح ذات البين وقطع الطريق على من يريد تعميق الفجوة الطائفية في العراق عن طريق سعيها الى فتح قنوات للاتصال بين الاطراف المعتدلة بغية تطويق الحادث الجلل والحد من تداعياته.^(٣٠)

وفي ذلك الوقت وجه المرجع السيستاني (أعلى الله مقامه) رسالة سامية للشعب العراقي ، دعاهم فيها للاعتصام بحبل الله تعالى ونبذ الفرقة وتغليب المنطق والحكمة ، ومن يتمعن في عباراته يلاحظ مقدار الألم الذي يعتصر قلبه ، جاء فيها : بقلب يعتصر حزناً وألماً أتابع أبناء ما يتعرض له أبناء الشعب العراقي المظلوم يوماً من مأس واعداءات ، ترويعاً وتهجيراً ، خطفاً وقتلاً وتمثيلاً ، مما تعجز الكلمات عن وصف بشاعتها وفضاعتها ومدى مجافاتها لكل القيم الإنسانية والدينية والوطنية . ولقد كنت - ومنذ الأيام الأولى للاحتلال - حريصاً على أن يتجاوز العراقيون هذه الحقبة العصبية من تاريخهم من دون

الوقوع في شرك الفتنة الطائفية والعرقية، مدركاً عظم الخطر الذي يهدد وحدة هذا الشعب وتماسك نسيجه الوطني في هذه المرحلة، نتيجة لتراكمات الماضي ومخططات الغرباء الذين يتربصون به دوائر السوء ولعوامل أخرى (إلى أن يقول) حتى وقعت الكارثة الكبرى بتفجير مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام وآل الأمر إلى ما نشهده اليوم من عنف أعمى يضرب البلد في كل مكان - ولاسيما في بغداد العزيزة - ويفتك بأبنائه تحت عناوين مختلفة وذرائع زائفة، ولا رادع ولا مانع. إنني أكرّر اليوم ندائي إلى جميع أبناء العراق الغياري من مختلف الطوائف والقوميات بأن يعوا حجم الخطر الذي يهدد مستقبل بلدهم، ويتكاتفوا في مواجهته بنبذ الكراهية والعنف واستبدالهما بالمحبة والحوار السلمي لحل كافة المشاكل والخلافات. كما أناشد كل المخلصين الحريصين على وحدة هذا البلد ومستقبل أبنائه من أصحاب الرأي والفكر والقادة الدينيين والسياسيين وزعماء العشائر وغيرهم بأن يبذلوا قصارى جهودهم في سبيل وقف هذا المسلسل الدامي الذي لو استمر، كما يريد الأعداء، فلسوف يلحق بضرر بوحدة هذا الشعب ويعيق لأمد بعيد تحقق آماله في التحرر والاستقرار والتقدم^(٣١)

وبعد هذا التمهيد لابد لنا أن نحلل مفهوم التسامح مع الآخر ثقافيا وحضاريا عبر عدة محاور وكما يأتي :

المحور الأول : اسباب ظهور مفهوم التسامح .

نشأ التسامح بوصفه فكرة على انقاض الحروب الدينية في الغرب ، ثم تحول فيما بعد الى مبدأ له مرتكزات اساسية يقوم عليها ، ومما تقدم نجد أن مفهوم التسامح اصبح واسع الانتشار في الآونة الاخيرة واخذ عدة تسميات فهناك التسامح الديني الذي يتمثل في حرية المعتقد واختيار الديانة، والتسامح القومي الذي يظهر في الدول ذات الاقليات المختلفة او التسامح الاجتماعي

الذي يارسه الفرد في المجتمع انطلاقاً من الاسرة الى باقي العلاقات الاجتماعية او التسامح السياسي كالذي يرمي إلى إحداث انسجام وتوافق بين الانظمة السياسية الحاكمة وغيرها.

لقد عاشت اوروبا عهداً من الطغيان الكنسي والاضطهاد الديني كان من ابرز معالمها (محاكم التفتيش) إذ أنشأ البابا جورجوري التاسع في عهد لويس التاسع ملك فرنسا محكمة التفتيش عام ١١٢٣ م، ثم صدر عام ١٢٥٢ م أمر بابوي من قبل انوسنت الرابع يرسخ نظام محاكم التفتيش ويُشير إلى حق الاضطهاد الديني.^(٣٢)

إن حركة الإصلاح الديني ادت الى تفتيت وحدة المعتقدات الدينية في اوروبا النصرانية، إذ لم يُعد الإيمان الحقيقي مرتبطاً بالكنيسة الكاثوليكية بزعامة البابا وهو ما أدى إلى قيام عدد من الكنائس التي أصبحت تدعي أمّتها تعتنق وتمارس ايماناً حقيقياً ككنيسة انجلترا وكنائس اللوثرية، والكاثوليكية، إلا أن هذه الكنائس أصبحت تمارس تعصبا ضد بعضها واضطهاداً للمواطنين الخاضعين لسلطة الكنيسة. ولقد تضافرت جهود الكنائس والحكام العلمانيين على إجبار الناس على اعتناق أي معتقدات دينية يعدها الحكام والكنائس ايماناً حقيقياً وتحقيقاً لوحدّة الاعتقاد أي: الاعتقاد بما تراه الكنيسة والحكام ممثلاً للإيمان الذي يؤسس ويستمر بالإكراه في كل دولة وولاية، وقد كانت اسوء الحوادث المعبرة عن التعصب الديني (مذبحة سان بارثليمو) في ٢٤ اغسطس عام ١٥٧٢ م، إذ تمّت فيها تصفية (البروتستانت) الفرنسيين في مجزرة ذهب ضحيتها الاف المدنيين.^(٣٣)

وقد خضع الاضطهاد الديني او التسامح المقيد لأهواء الملك وسياساته لنوبات المد والجزر، إذ دفعت حوادث التعصب الديني هنري الرابع ملك فرنسا إلى اصدار مرسوم (نانت) عام ١٦٥٨ م الذي سمح فيه للبروتستانت

بحرية العبادة فيما عدا باريس وبعض الاقاليم الاخرى التي منعهم من سكنها . ثمَّ قام لويس الرابع عشر بإلغاء مرسوم (نانت) عام ١٦٨٥ ، حيث ظهر عهد جديد من التعصب والاضطهاد ضد البروتستانتين الفرنسيين وتم سلب حقوقهم وخيروا بين الارتداد عن البروتستنتية او الهجرة من فرنسا، وقد كانت شرعنه التعصب الديني في انجلترا عن طريق اصدار القوانين مثل: مدونة (كلاريندون) التي صدرت في الستينيات من القرن السابع عشر الميلادي ومرسوم الاختبار الذي صدر عام ١٦٧٣ وقد نصت تلك القواعد القانونية على حرمان الكاثوليكين والمنشقين عن كنيسة انكلترا من إظهار معتقداتهم ، ومن حق التوظيف في القطاع العام .^(٣٤)

وقد استمر نضال الفلاسفة والمصلحين التنويريين في ارساء مفاهيم التسامح، امثال فولتير وكتابه (رسالة في التسامح)، وجون ستيوارت مل الذي طور مفهوم التسامح في كتابه (عن الحرية) الذي رأى أن التسامح يمتنع معه الاعتقاد بحقيقة مطلقة، أي تمتنع معه الدوجما . يقول: ((إن الحرية الدينية تكاد لا تمارس الا حيث توجد اللامبالاة الدينية التي تنبذ إزعاج سلامها بالمنازعات اللاهوتية وحتى في البلدان المتسامحة ثمة تحفظات على التسامح لدى المتدينين ، فالإنسان قد يحتمل الانشقاق ازاء اسلوب الكنيسة . ولكن لن يحتمل التسامح ازاء الدوجما . ومن ثم ليس بالإمكان نقد الدوجما من اصحاب الدوجما . ومعنى ذلك أن الدوجما سلطان وارد من مصدر غير عقل صاحب الدوجما))^(٣٥) وقد تبلور سلطان الدوجما فيما يسمى علم العقيدة وهو العلم الذي يحتوي على كل ما يلزم المؤمن بعقيدة معينة، فنشأ على سبيل المثال علم اللاهوت في المسيحية وعلم الكلام في الإسلام، ومن ثمَّ فأنت لا تكون مؤمناً إلا إذا التزمت بهذه البنود ، وإذا لم تلتزم فأنت كافر تستحق التأديب كحد ادنى أو القتل كحد أقصى، فكفر جاليليو وقتل جيوردانو برونو وكفرت المذاهب المسيحية بعضها البعض^(٣٦) .

وفي الحضارة العربية والاسلامية ظهر موضوع التعصب الديني أيضاً، فوجد المعتزلة انقسمت الى عشرين فرقة وكل فرقة كفرت الأخرى، وكفر الغزالي كلا من الفارابي وابن سينا، وأُثمَّ ابنُ رشد بالإلحاد واحرقت كتبه لأنه دعا الى تأويل النص الديني، هكذا ظهر موضوع التطرف الديني وهو اخطر منابع اللا تسامح؛ لتلبسه ببعد شرعي وتوظيفه للنص الديني وسرعة تصديقه من قبل الناس وقدرته على التخفي والتستر تحت غطاء الشرعية والواجب والجهاد والعمل الصالح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو بحاجة الى وعي يعري حقيقته ويكشف زيفه، وكانت أزمة الوعي سببا في ظهور أول فرق التطرف بالإسلام وهم الخوارج، الذين تمردوا على الامام علي عليه السلام في معركة صفين، وفرضوا عليه التحكيم ثم عادوا لينقضوه ويطالبون الإمام بمحاربة معاوية، فأضطر إلى محاربتهم في النهروان والقضاء عليهم، إلا أن التطرف اتخذ اشكالا مختلفة في التاريخ، وتجلت عبر حركات وتيارات فكرية وعقيدية، فكانت دائما عقبة أمام العقل والتسامح. وإصراراً على الجمود والتحجر، فما نشاهده اليوم من مظاهر دينية متطرفة تمتد جذورها إلى القرن الأول من التاريخ الإسلامي، وهي منظومة من المفاهيم تتنافى مع العقل أو الاجتهاد والتدبر، فلا يمكن أن يصار إلى صيغ مشتركة بين التطرف والتعقل وبين التكفير والتفكير. ^(٣٧)

وقد أهتم المفكرين العرب المعاصرين بمفهوم التسامح بوصفه موقفاً فكرياً وعملياً قوامه احترام الموقف المخالف، سواء كان متفقاً معاً أم مخالفاً لمواقفنا، ورأوا أنّ الفلسفة اكثر المجالات حيوية بقبول التسامح بهذا المعنى والعمل به، وسعى الجابري إلى البحث عن معنى شامل لمفهوم التسامح داخل التراث العربي فوجده في موقف ابن رشد الذي طالب بكسر التفوق المذهبي ورفض التعصب للرأي، ودعا الى الاعتراف

بالاختلاف، واحترام الرأي الآخر للاستفادة منه، وبهذه الدلالات القائمة على اسس عقلانية في النظر الى الآخر وجد معنى لمفهوم التسامح داخل التراث العربي بصورة تجعله شبيها بالمعنى الليبرالي الذي ظهر في الفكر الاوربي.^(٣٨)

المحور الثاني: تطور مفهوم التسامح مع الآخر حضاريا.

إن مصطلح التسامح بهذه التسمية يُعدُّ وليد عصر التنوير والنهضة الاوربية، ولكن لا بد من وجود جذور تاريخية لهذا المصطلح تحت تسميات مختلفة وخصوصا في بلاد اليونان وتحديدًا في اثينا تلك الدولة التي شهدت وأثمرت فيها أصول الفلسفة اليونانية ومرت بالتطور الاجتماعي والسياسي ابتداء من عصر المشرع اليوناني (صولون)، وكان يطرح هذا المصطلح باسم العدالة أو المساواة، إذ حاول هذا المشرع نشر العدالة الاجتماعية في دولة مزقتها النزاعات بين الفقراء والاعنياء، وقد استهدف صولون إنصاف الطبقات التي بدأ نفوذها يزاحم نفوذ طبقة النبلاء ومنهم التجار والملاحين، واستطاع صولون إلغاء نظام الرق بسبب الديون .

وفي تلك البيئة تحديدا ظهرت طبقة جديدة على الساحة، هي طبقة السفسطائيين التي تصدت لتغيير نظم المجتمع، وقد ظهر في هذه الفترة ايضا سقراط الذي اتخذ من قانون الطبيعة الذي ذهب اليه السفسطائيين ومنهم (اوطيغرون)، وقد عبروا عن نقدهم للأوضاع والتقاليد المتوارثة وأيدوا حق الافراد في التعبير عن آرائهم وإثبات شخصياتهم بعدما كان الفرد لا وزن له بجانب رؤى الرؤساء والنبلاء في حكم الارستقراطية في المجتمعات القبلية القديمة . وقد اثيرت مشكلة العدالة وهل هي نسبية ترجع الى المواضع الانسانية أو لها حقيقة ثابتة لا تتغير؟^(٣٩)

كان سقراط أول فيلسوف يعدم بسبب أفكاره؛ لذلك نجد أفلاطون انطلق

بفلسفته من منحى أخلاقي يحث على العدالة والمساواة، وهذا يبدو واضحا في محاوراته للسفسطائي وبرتاغوراس بقوله: ((إني اعتبركم جميعاً أقارب وانسباء ورفاق مواطنين بحكم الطبيعة أقرباء غير أن القانون هو الطاغية المتحكم في البشر))^(٤٠). أما أرسطو فقد وضع أسس ومقومات الحياة المدنية السعيدة، ونرى ذلك مفصلاً في كتابه الأخلاق النيقوماخية الذي وضع فيه الأسس الأخلاقية التي تقوم عليها سعادة الإنسان. ومما تقدم تبين وحدة الأخلاق والسياسة عند أفلاطون وأرسطو، وما يدل على هذه الوحدة أن الدولة بوصفها مؤسسة سياسية تشكل حياة أخلاقية. ذلك أن الحق والخير والصدق والفضيلة والسعادة هي معان أخلاقية.^(٤١)

وإذا تبعنا مصطلح التسامح وجذوره إسلامياً سنجد الدين الإسلامي وبمختلف كتبه وطوائفه حث على التسامح وجاء ذلك بمعنى صريح في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة ٢٥٦)، إذ مختلف مواضيع التسامح كان لها نقيض، هو التعصب والتطرف والغلو أحياناً، والتسامح نظرة إنسانية لا يمتلكها إلا الإسلام، بينما يقبل المسلمون وجود أديان أخرى مغايرة لدينهم بينهم، ويرفضون إكراه أحد على ترك ملته أو دينه ويقبلون أن يتكون المجتمع من مسلمين وغير مسلمين، فشرعوا نظماً عادلة لتطبق عليهم وعلى من في ذمتهم من مسيحيين أو يهود فمن خصائص حضارتنا الإسلامية أنها لا تحكم بالإعدام على الثقافات الأخرى، وتستبدل ذلك بالحوار، والتعددية في الثقافة ثراء للفكر، لذا أقر الإسلام تعدد العقائد.^(٤٢)

وقد طبّق هذا المفهوم عملياً ووظف في الرسالة المحمدية، إذ كان الرسول الأعظم هو رمز للتسامح والاحسان مع المشركين فلم يكن مريداً قتلهم أو سفك دمائهم، ففي غزوة بدر الكبرى أراد حرباً اقتصادية ضد قريش، ليعوض عما صادرته قريش من المسلمين في مكة المكرمة، وفي معركة أحد

أراد البقاء في المدينة المنورة، والمحاصرة لدفع قريش باقل الخسائر الممكنة، وفي الخندق (غزوة الأحزاب) اتخذ ﷺ موقف المدافع ضد جيش قريش ومن معهم ، كي لا تزهق أرواح من الطرفين .

وحين أراد فتح مكة عندما نقضت قريش بنود صلح الحديبية بتشجيع قبيلة بكر . على قبيلة خزاعة حليفة النبي ﷺ أغلق الطريق المؤدي إلى مكة كي يعود إلى بلده التي أخرج منها وليفهم قريش التي تناولت على نقض صلح الحديبية، ولم تفي بعهداها حقدا على القبائل العربية التي ارادت الدخول في دين الله بالافتناع والموعظة الحسنة . كل هذه صور من التسامح الإسلامي. (٤٣)

وقد تدوول هذا المصطلح في عصور اللاهوت بصورة واضحة إبان القديس توما الإكويني في (خلاصته اللاهوتية)، وهي مقالة كاملة لمعالجة التعصب الديني، وكان السؤال: هل تتسامح مع غير المؤمنين؟ بحيث لن يملك اللاهوتيون الكاثوليك في زمن الاصلاح الا أن يرددوا كلمات المعلم الملائكي. (٤٤) إن انتشار المسيحية والكتاب المقدس وربط الكنيسة بالدولة، وهنا ظهر المصلح (لوثر) وحرسته الاصلاحية الدينية المسيحية، إذ نادى بالحرية الدينية على خطا القديس بولس ١٥٢٠م وسماها (حرية الضمير)، وهي تعبير جديد بالنسبة لعصر لوثر، لقد بدأ هذا المفهوم يمثل تحرراً من كل ما يمكن أن تمليه السلطة الانسانية من تعاليم وقوانين . ومن هنا نجد أن حرية المسيحية هي (الحرية الانكليزية) التي طالبت بحرية الضمير والتسامح الديني، أي بمعنى حرية (التفكير) وكان لوثر يعي أن الضمير حر مادام الكتاب المقدس موجوداً. (٤٥)

وبعد ذلك نذهب من مفهوم التسامح الى (التنوير الأوربي) إذ أطلقت هذه التسمية على حركة الاصلاح والتسامح الديني والسياسي التي شهدتها المانيا وفرنسا في القرنين السادس والسابع عشر . فبدأ التسامح الديني كما رأينا مستحجاً عند جون لوك بقدر ما كان عند اسبينوزا وفي الوقت ذاته كان

لهذا الموقف الجديد في مسائل الايمان نتائج سياسية بعيدة المدى. ذلك لأنه كان لابد أن يقف بوجه السلطة الجارحة أمام أي إيمان، فحقوق الملوك الإلهية لا تتماشى مع التعبير الحر عن الآراء حول الدين، وكان الصراع خصوصاً في فرنسا قد بذلت قوى التنوير جهوداً كبيرة من أجل تمهيد الأرض لثورة عام ١٧٨٩ م، وفي ألمانيا ضلل التنوير مشلولاً إلا كإحياء ثقافي إلى حد بعيد، فمنذ حروب الأعوام الثلاثين التي ضللت ألمانيا فترة طويلة تُضَمّد جراحها بسببها إذ كانت خاضعة لفرنسا. إن ألمانيا كانت خاضعة لعدة سنوات لمستبدين (عادلين) كانت حرية الرأي مكفولة بقدر ما، وكان عصر التنوير في جوهره عوده إلى تقدير النشاط العقلي مستقل.^(٤٦)

إن استعمال مفهوم التسامح في حركة إصلاح الدين الأوروبية جاء ليعبر عن تغير في الذهنية ناتج عن علاقة جديدة هي علاقة الاعتراف المتبادل بين القوى التي استمرت تتصارع طوال القرن السادس عشر، وقد اختتم مفكرون مثل اسبينوزا وجان جاك روسو وفولتير توسيع حقول استعمال هذا المفهوم فقد كتب اسبينوزا متسائلاً في الفصل الأخير من رسالته في اللاهوت والسياسة ((إن أسوء موقف توضع فيه الدولة هو ذلك الذي تبعث فيه إلى المنفى بالشرفاء من رعاياها وكأنهم مجرمون لا لشيء إلا لأنهم اعتنقوا آراء مخالفة لا يستطيعون إخفائها)).^(٤٧) كما ذكر روسو في العقد الاجتماعي ((يخطأ في نظري ولأئك الذين يفصلون بين تسامح المدني وتسامح اللاهوتي وهذان النوعان لا انفصام بينهما. إذ من المتعذر العيش بسلام إلى جانب من نعتقد انهم هالكون)).^(٤٨)

وعلى الرغم من هذا التوسع لدلالات لفظ التسامح إلا أنه ظل دائماً مرتبطاً بمفاهيم المحبة والإحسان، والكل يجمع اليوم على ان التسامح هو قبول الآخر. وقد تساءل فولتير في القاموس الفلسفة ((ما هو التسامح؟

فأجاب .. إنه وقف على كينونتنا البشرية .كلنا ضعفاء وميالون للخطأ لذا دعونا نتسامح مع بعضنا البعض ونتسامح مع حماقات بعضنا البعض بشكل متبادل وذلك هو المبدئ الأول لقانون الطبيعة .والمبدئ الأول لحقوق الانسان كافة)) .(٤٩)

أما مفهوم التسامح في الفكر العربي الحديث فقد ظهر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، إذ كان هناك دور للظروف والواقع الذي كان فيه الوطن العربي، فقد شكّلت صدمة الحداثة والاستعمار الاوربي لأجزاء من العالم العربي، الى جانب ضعف الدولة العثمانية، وانتشار التعصب والصراع الديني والمذهبي وما صاحب ذلك من تخلف وجمود في العقل العربي، هذا ما دفع إلى ظهور مفهوم التسامح بشكل واسع عبر كتابات المفكرين ورواد النهضة الفكرية العربية، ومنهم (جمال الدين الأفغاني) الذي وقف بوجه الافكار التي تدعو إلى القومية وإطلاق الحرية الدينية الفردية بحسب مدلولها (البرالي)، واعتبرها تهدف الى النيل من وحدة الامة وترسيخ السيطرة الاستعمارية . وقد جاءت رؤية (الافغاني) للتعصب من منطلق مختلف تماما هو العصبية، وقصد بها رابطة النسب والاجتماع في الأصل والوطن بها يلتحم أفراد الأمة^(٥٠) .

وإلى جانب الأفغاني ظهر عدد من المفكرين منهم (محمد عبده، وفرح انطوان) الذي دعا إلى اهمية التسامح في مواجهة التعصب الديني والمذهبي والصراعات الفكرية، إذ اعتبر أن المفهوم وليد الحداثة، وقد استعمل مفهوم التساهل كمرادف لمفهوم التسامح. وقال إن مسألة الدين هي خاصة بين الفرد وبين الخالق تعالى .والناس جميعهم إخوة في الإنسانية .^(٥١)

إذن فقاعدة التعددية قائمة على احترام الاختلاف والاعتراف للآخر وعدم التمييز بين الافراد والجماعات المتباينة عقديا وسلوكيا من منطلق حرية الأفراد والجماعات في تبني ما يشاؤون والتمسك بما يرون من آراء .

المحور الثالث : تحليل مفهوم التعايش ثقافيا ونقده.

بعدها تطرقنا وبصورة مفصلة إلى مفهوم التسامح الذي اعتبره المؤرخين مصطلحاً أوروبياً جاء نتيجة الصراعات الدينية والاقتتال المذهبي الذي انتشر في ألمانيا وفرنسا بصورة خاصة. وهو نتاج عصر التنوير الاوربي الفرنسي، حيث سادت فرنسا الفوضى نتيجة حكم نابليون وتمرده، الذي اتسم بالوحشية والرجعية وكذلك حكم شارل العاشر الذي كانت نظريته ضيقة الأفق. مما أدى الى ظهور ازيمات فكرية وسياسية واجتماعية . ومن المؤكّد أن مثل هذه الأزيمات تتطلب إيجاد حلول ومخارج للمجتمع للتخلص من الاضطهاد والظلم .

لقد ظهر فلاسفة التنوير وحاولوا تغيير الوضع الى الاحسن عبر نشر افكارهم وآرائهم السياسية والدينية التي تخدم المجتمع ، إلا أنهم تعرضوا للقمع والظلم ومع ذلك ظلّوا ساعين إلى الاستقلالية ونشر حرية التعبير والفكر ، ومن أهم فلاسفة التنوير فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨ م) والذي دعا لغيره من فلاسفة التنوير للبحث عن سبل التطور والتقدم في المجتمع البشري، نشر السلم والتعايش والأمن، وكان الفكر التنويري لفولتير مؤمناً بالعقل البشري ناقدا كل ما هو خرافي وهمي نابع من الكنيسة وسلطتها وهي لأغراض أخرى ذاتية، ولا تمت للصالح العام بأي هدف أو نتيجة على عكس ما يهدف اليه العقل الذي يسعى للتخلص من هذه السلطة ونشر مبادئ وقيم مفادها خدمة الصالح العام. (٥٢)

وكما ذكرنا آنفاً لقد تزامن عصر فولتير مع السيادة المطلقة لرجال الدين الكاثوليك التي كانت تُعرف بالحرمان والاضطهاد . وقد سمي فولتير بفيلسوف التسامح نسبة لآرائه التي جاءت بها ومن ضمنها تعميم التسامح، وهنا يتجلى لنا ما جاء مخالفا لسابقه في هذا المبدأ الذي يعدّه ضرورياً. وكانت اهم حادثة أثارها حفيظة فولتير هي حادثة أسرة (جان كالأس) التي كانت مفتعلة وغير

حقيقية وهي (أن أباً مستناً يخنق ابنه ذا الثمان والعشرين عاما بسبب تعصب ديني)، وهذا ما دفع فولتير الى الجدية، فتحول من كاتب رسائل الى داعٍ لشن حروب ضد المتعصبين، تأليف رسالة في التسامح ١٧٢٣ م. وكان من دواعي تأليفه لهذا البحث او الرسالة هو الوضع الذي آلت إليه فرنسا بسبب الرجعية والاضطهاد الديني. والتسلط الذي كان مسيطرًا ابان عصره. (٥٣)

أما بالنسبة لجون لوك فقد كان له صدى واسع في التسامح فعن طريق مؤلفه (رسالة في التسامح) حث على التسامح، وترك تدخل الكنيسة في شؤون المواطنين. وحسب قوله: ((إن السلطة الدينية مادامت ذات طابع كنسي يجب أن تكون مقيدة بحدود الكنيسة وليست بإمكانها أن تمتد إلى شؤون الدنيوية)) (٥٤) ويقصد جون لوك بذلك أن الكنيسة منفصلة كل الانفصال عن الدولة، إذ يشبه لوك الخلط بين السلطة والكنيسة كمن لا يفرق بين السماء والارض لكونهما مجتمعين متضادين.

لكن جوك لوك وضع حدود للتسامح وهي عدم التسامح مع الكاثوليك، إذ يرى بأن الكنيسة يقوم دستورها على أن الذين ينتمون اليها عليهم وضع انفسهم تحت حماية امير اخر فالكنيسة ليس من حقها أن تطلب التسامح من الامير، وإلا اصبحت البلدة عرضة للأجانب، كما رفض لوك التسامح مع الكاثوليك باعتبار أنهم يدينون الولاء لأمير أجنبي. وعدم التسامح مع الملحدين، كذلك توجد فئة أخرى لا تدخل في حيز التسامح، وطبعاً هذا ليس لأسباب دينية. بل لأسباب علمانية وهم فئة الملحدين يرى لوك بانه لا يمكن لإنسان أن يكون أخلاقياً إلا ليؤمن بوجود الرب (٥٥).

وعدم التسامح مع الآراء المخالفة للمجتمع الانساني من ضمن المبادئ التي وضعها لوك في طرحه للتسامح، هي عدم التسامح مع المجتمعات الدينية التي تقوم بطقوس وعبادات مغايرة، الهدف من تلك العبادات هو

الاخلال بتوازن السلطة المدنية ، وفي هذا السياق لا ينبغي للحاكم أن يتسامح مع الآراء المضادة والمخالفة للمجتمع الإنساني أو مع القواعد الأخلاقية الضرورية للمحافظة على المجتمع المدني . وهنا يمكن أن نقدر لوك بأنه حجم التسامح وربطه بهذه الروابط .^(٥٦)

ونقد التسامح في المجتمعات الليبرالية الحديثة؛ لأن التسامح الليبرالي قائم على مرتكزات المنفعة، وهو ما يجعل التسامح مصلحة وليس قيمة عليا أو فضيلة ، فالتسامح جيد بقدر ما يحقق للأطراف المختلفة مصالحها ويصبح التسامح أداة تستخدم لتحقيق أغراض محددة على المستوى الداخلي والدولي (الولايات المتحدة الأمريكية) مثالا تستخدم التسامح أداة ضغط على المجتمعات العقائدية بهدف تفكيك الالتزام العقائدي فيها بإثارة الحاجة إلى التسامح مع الأقليات أو غيرهم، وهو ما يعني أن التسامح والدعوة اليه والى التعددية الديمقراطية لا تنبع من الالتزام الاخلاقي بأهمية هذه المصطلحات.^(٥٧)

كما يراها صانع القرار الساسي الأمريكي بل أنّها وسيلة لأحداث خلخلة في البنى السياسية والاجتماعية بهدف خلق (فوضى خلاقية) تتيح للولايات المتحدة الأمريكية فرصة للتدخل في شؤون الآخرين بحجة حماية التسامح أو التعددية أو حرية العقيدة ، او لضمان اذعان المجتمعات الاخرى لرؤية الولايات المتحدة النابعة من المصلحة .^(٥٨)

وفي هذا العصر يشكل الاسلام بوضوح التحدي الاكبر امام التسامح الاوربي ، ففي المانيا ثمة خلافات دائمة منتظمة في المسائل المتعلقة بممارسة المسلمين لدينهم ، (كمسألة اللحوم المذبوحة وبناء المساجد وارتداء الحجاب) وليس نادرا أن تجتمع كل هذه المحاولات والمخاوف المرتبطة بوجود اقلية ينظر اليها بنظرات تراوح ما بين النظرة الى (الغريب) والنظرة الى (الخطر) ففي فرنسا وخصوصا مسألة الحجاب نجد أن هناك نظرة سياسية واجتماعية توحى بعدم القبول بالآخر .^(٥٩)

الهوامش

- ١- ينظر: ساحة السيد السيستاني، الوثيقة رقم (٣) جواب (٢) وثيقة (٦) جواب (٥) وثيقة (٥٣) جواب (٤) وثيقة (٨٤) وثيقة (٩٢) وثيقة (٩٧) وثيقة (٩٦) جواب رقم (٢).
- ٢- ينظر: رسالة السيد السيستاني (دام ظلّه) التي وجهها للشعب العراقي في (٢٢) جمادي الثاني ١٤٢٧ هـ عقب حدوث الفتنة الطائفية عام ٢٠٠٦ .
- ٣- ينظر: ساحة السيد السيستاني، الوثيقة رقم (٤٥).
- ٤- م.ن. (٩٦).
- ٥- ينظر: حسن فهمي مصطفى، التعايش السلمي ومصير البشرية، طبعة الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٦٨، ص ٢٢.
- ٦- ينظر: ساحة السيد السيستاني، الوثيقة رقم (٩٦).
- ٧- م.ن، الوثيقة رقم (٤٥).
- ٨- الحولي: الأستاذ البهي، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص ١٣٠ .
- ٩- ينظر: الشيخ محمد الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام، وإعلان الأمم المتحدة، دار الفكر، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٤، ص ١١ .
- ١٠- ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط ١٠، ج ١، القاهرة، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ص ٢٩١.
- ١١- ينظر: جون لوك، في الحكم المدني، اللجنة الدولية للترجمة الروائع، بيروت، ١٩٥٩ م، ص ٧.
- ١٢- ندوات علمية حول نظرة الإسلام إلى الإنسان وتطلع الإنسان إلى السلام، رابطة العالم الإسلامي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٣ م، ص ١١٥ .
- ١٣- القرآن الكريم / سورة الحجرات / آية ١٠ .
- ١٤- ينظر: الشنطي، د. محمد فتحي، نماذج من الفلسفة السياسية، الناشر مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٩٦١ م، ص ١٣ .
- ١٥- ينظر: الشنطي، د. محمد فتحي، نماذج من الفلسفة السياسية، مصدر سابق، ص ١٤ .
- ١٦- ينظر: غاندي، رسالة اللاعنّف والتسامح، المؤلف رامي عطا صديق، تقديم، فايز فرح، ط ١، لبنان، ٢٠١٤ م، ص ١٢ .
- ١٧- ينظر: ساحة السيد السيستاني، الوثيقة رقم (٤٥).
- ١٨- ينظر: كانت، مشروع السلام الدائم، ترجمة: د. عثمان أمين، مصدر سابق، ص ٤٣ وما بعدها.

- ١٩- ينظر: حسين ، د. غيداء محمد ، التعايش في ظل فلسفة الاعتراف ، الفيلسوف ألماني أكسل هونيث ، مصدر سابق ، ص ٦٧ .
- ٢٠- ينظر : الكيالي، عبد الوهاب ، موسوعة السياسة ، ج ٣ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٩٣ م ، ص ٢١٥ .
- ٢١- ينظر : عبد العزيز التويجري ، الحوار من اجل التعايش ، مصدر سابق ، ص ١٦٨ .
- ٢٢- فرنسوا شاتليه ، إيديولوجيات الحرب والسلام ، ترجمة : جوزف عبد الله ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ - ٢٠٠٣ م ، ص ٣٤ .
- ٢٣- ينظر: عبد العزيز التويجري ، الحوار من اجل التعايش ، مصدر سابق ، ص ١٦٩ .
- ٢٤- ينظر : كتاب ندوات علمية حول نظرة الإسلام وتطلع الإنسان إلى السلام ، رابطة العالم الإسلامي ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٣ م ، ص ١١٥ .
- ٢٥- ينظر : توماس ماير وأودو فور هولت ، المجتمع المدني والعدالة ، ترجمة : راندا النشار ، علاء عادل عبد الجواد ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٠ م ، ص ١٢ .
- ٢٦- ينظر: المنيأوي ، احمد ، جمهورية أفلاطون ، المدينة الفاضلة كما تصورها أفلاطون ، مصدر سابق ، ص ١٠-١١ .
- ٢٧- ينظر: المنيأوي ، احمد ، جمهورية أفلاطون ، المدينة الفاضلة كما تصورها أفلاطون ، مصدر سابق ، ص ١٢ .
- ٢٨- ينظر: سباحة السيد السيستاني، الوثيقة (٥٣) جواب (٧) وثيقة (٦٨) بيان وثيقة (٧٩) رسالة نصية تعزية ، جزء من وثيقة (٩٢) .
- ٢٩- للمزيد يراجع بيان مكتب سباحة السيد السيستاني (دام ظلّه) في (١٥) جمادى الثاني (١٤٢٥ هـ) المصادف ٢ / ٨ / ٢٠٠٤ م .
- ٣٠- ينظر: سباحة السيد السيستاني، والوثيقة رقم (٩٦) جواب رقم (٥) .
- ٣١- للاستزادة يراجع: رسالة السيد السيستاني للشعب العراقي في (٢٢) جمادى الثاني ١٤٢٧ هـ .
- ٣٢- ينظر: الطويل ، د. توفيق ، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام ، الناشر الزهراء للأعلام العربي ، القاهرة ، (د، ت) ص ٨٠ .
- ٣٣- ينظر: الطويل ، د. توفيق ، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والاسلام ، مصدر سابق ، ص ٩٧ .
- ٣٤- ينظر : مفتي، د. محمد بن احمد ، نقد التسامح اللبرالي ، مصدر سابق ، ص ١٧
- ٣٥- جون لوك ، رسالة في التسامح ، ترجمة منى ابو سنة ، مراجعة مراد وهبة ، مصدر سابق ، ص ٨ .

- ٣٦- ينظر: جون لوك، رسالة في التسامح، ترجمة منى ابو سنة، مراجعة مراد وهبة، مصدر سابق ص ١٢.
- ٣٧- ينظر: الغريباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللا تسامح، مؤسسة العارف، العراق، ٢٠٠٨م، ص ٥٨.
- ٣٨- ينظر: الجابري، د محمد عابد، ابن رشد سيرة وفكر، دراسة ونصوص (مركز الوحدة العربية)، بيروت، ٢٠٠١م.
- ٣٩- ينظر: مطر، د. اميرة حلمي، الفلسفة السياسية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١١.
- ٤٠- أرنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، ج ١، ترجمة لويس اسكندر، مصدر سابق، ص ٢٣.
- ٤١- ينظر: المعلة، د. جميل، الدولة المثلى في فلسفة ارسطو السياسية، الناشر ابن النديم، ط ١، بيروت، ٢٠١٦م، ص ١٤٧.
- ٤٢- ينظر: ابو خليل، الدكتور شوقي، التسامح في الإسلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٣، ص ٤٥.
- ٤٣- ينظر: أبو خليل، الدكتور شوقي، التسامح في الإسلام، مصدر سابق، ص ٥٤.
- ٤٤- ينظر: جوزيف لو كير، تاريخ التسامح في عصر الإصلاح، ترجمة د. جورج سليمان، ص ٢٣-٢٤.
- ٤٥- ينظر: جوزيف لو كير، تاريخ التسامح في عصر الإصلاح، مصدر سابق، ص ٢٠٠.
- ٤٦- ينظر: رسل، حكمة الغرب، مصدر سابق، ص ١٠٨.
- ٤٧- باروخ اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة، حسن حنفي، ١٩٧١م، ص ٤٥١.
- ٤٨- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ١٩٧٢م، ص ١٨٤.
- ٤٩- عبد السلام بنعبد العالي، الفلسفة اداة الحوار، الاسكندرية، ٢٠١١م، ص ٣٠.
- ٥٠- ينظر: شمسان، د. فوزية عبد الله، مفهوم التسامح، جامعة صنعاء، ص ٦٩٠.
- ٥١- م.ن. ص ٦٩٢.
- ٥٢- ينظر: وليم كلي رأيت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد احمد، التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط ١، ٢٠١٠م، ص ٢٣٢-٢٣٣.
- ٥٣- ينظر: ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون الى جون ديوي، مصدر سابق، ص ٢٩٥.
- ٥٤- جون لوك، رسالة في التسامح، مصدر سابق، ص ٣٦.
- ٥٥- ينظر: اسيا حمداوي، نقد فلسفة التسامح عند جون لوك، اطروحة ماجستير، ٢٠١٩م.

، ص ٣٤ .

٥٦- ينظر: اسيا حمداوي ، نقد فلسفة التسامح عند جون لوك ، مصدر سابق ، ص ٣٥ .

٥٧- ينظر: مفتي ، محمد بن احمد ، نقد التسامح اللبرالي ، مجلة البيان ، الرياض ، العدد

٥٤ ، ص ٢٥٧ .

٥٨- ينظر: مفتي ، محمد بن احمد ، نقد التسامح اللبرالي ، مصدر سابق ، ص ٢٥٨ .

٥٩- ينظر: مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، العدد ٢١ ، ربيع الاول، ٢٠١٣م ، ص ٦٤

أثر المصدر الديني في مبادئ القانون الدولي العام (أثر فتاوى المراجع الدينية في مبدأ الدفاع الشرعي - أنموذجاً)

م.د. حيدر ناجي ظاهر / جامعة الفرات الأوسط التقنية

ملخص البحث

يتناول البحث حق الدولة في الدفاع الشرعي عند تعرضها لاعتداء مسلح، مركزاً على الأثر التعبوي والموضوعي لفتاوى المراجع الدينية لدى الشيعة الإمامية في تفعيل هذا الحق. يوضح أن الدولة تعتمد على وسائل وآليات عدة لحماية كيائها المادي والمعنوي، إلا أن الفتاوى الصادرة عن المراجع الدينية تلعب دوراً استثنائياً في تعبئة المجتمع وتعزيز فعالية الدفاع. الفتوى، بصفاتها توجيهاً دينياً ملزماً، تُحفّز أفراد المجتمع للانخراط في الجهاد والدفاع عن الوطن ضد العدوان المسلح. هذه الفتاوى تستند إلى أسس دينية وأخلاقية تساهم في توحيد الجهود، ورفع الروح المعنوية، وتعزيز مشروعية التصدي للعدوان.

على الجانب الموضوعي، ترتبط هذه الفتاوى بإطار الدفاع الشرعي وفقاً للقانون الدولي العام، إذ تظهر تطابقاً مع القواعد التي تتيح للدول استخدام القوة لحماية سيادتها وسلامة أراضيها. ومن خلال الربط بين النصوص الدينية والقوانين الوضعية، يمكن تحقيق انسجام بين الدفاع الشرعي كحق قانوني وكواجب ديني.

يسلط البحث الضوء على أمثلة معاصرة تُبرز تأثير فتاوى المراجع الشيعية في مواجهة اعتداءات مسلحة، مثل إصدار فتوى «الجهاد الكفائي» من قبل المرجعية الدينية في العراق لمواجهة تنظيم «داعش». يخلص البحث

إلى أن هذه الفتاوى تمثل أداة حاسمة لتعزيز الدفاع الشرعي، إذ تجمع بين البُعد الديني والتعبوي لتوفير غطاء أخلاقي وقانوني يحقق للدولة أقصى درجات الحماية والفاعلية.

الكلمات المفتاحية:

فتاوى الجهاد، القانون الدولي العام، الجهاد الكفائي، التعبئة الدينية، الأثر التعبوي، الأثر الموضوعي، الشريعة والقانون الدولي، تفعيل الدفاع الشرعي

Abstract

The research focuses on the state of the self-defense in the face of armed aggression, with a particular emphasis on the mobilization and substantive impact of fatwas issued by Shia Imami religious authorities in activating this right. It demonstrates that while states rely on various means and mechanisms to protect their physical and moral existence, fatwas issued by religious authorities play an exceptional role in mobilizing society and enhancing the effectiveness of defense.

As a religious directive, a fatwa mobilizes members of society to engage in jihad and defend their homeland against armed aggression. These fatwas are grounded in religious and moral principles, contributing to the unification of efforts, the boosting of morale, and the reinforcement of the legitimacy of resisting aggression.

On a substantive level, these fatwas are pertinent to the framework of legitimate self-defense under international law. They demonstrate congruence with the norms that permit states to use force to protect their sovereignty and territorial integrity. By connecting religious texts with positive law, it is possible to achieve harmony between the right to self-defense as a legal entitlement and a religious duty.

The research highlights contemporary examples that showcase the impact of fatwas issued by Shia religious authorities in confronting armed aggression. For instance, the issuance of the

“ Sufficient Jihad “ fatwa by the Iraqi religious authority to counter the Islamic State gang is discussed. The research concludes that these fatwas are a critical tool for enhancing legitimate self-defense, as they combine religious and mobilizing dimensions, providing a moral and legal framework that maximizes a state of protection and effectiveness.

Keywords: Fatwas of Jihad, Public International Law, Sufficient Jihad , Religious Mobilization, Mobilization Impact, Substantive Impact, Sharia and International Law, Activation of Legitimate Defense.

المقدمة

نتعرض في هذه المقدمة الى موضوع البحث، والاهمية التي يحظى بها والمشكلة التي يواجهها والمنهج العلمي المتبع فيه والخطة البحثية التي تم اعتمادها من قبل الباحث في هيكلته تحقيقاً للتائج المستهدفة.

أولاً: موضوع البحث

إثر تعرض بلد ما الى خطر تهديد كيانه بعمل مسلح، تلجأ حكومتها إلى استخدام حقها في الدفاع الشرعي، وتتوسل لغرض تحقيق اهداف هذا الحق بوسائل وآليات، ترغيباً وترهيباً، تكون في غنى عنها إلى حد كبير، فيما إذا استند هذا الحق إلى فتوى المرجع الأعلى فيها أو تأييد من قبله، إذ ستكون هذه الفتوى عاملاً حاسماً من الناحية الموضوعية والتعبوية والفاعلية عند ممارسة الدفاع الشرعي والاستجابة له من جهة وتحقيق أهدافه من جهة أخرى.

ثانياً: أهمية البحث

تحظى الدراسات الأبحاث لدور المرجعية العليا - لاسيما في فتاوى الدفاع الشرعي - بأهمية بالغة عالمياً؛ لأنها تعكس أثر السلطة الروحية في توجيه الموارد البشرية وإدارتها وتسخيرها بشكل طوعي ومستمر في تحقيق أغراض الدفاع الشرعي، بشكل ينعدم نظيرها عند غيرها من الممارسات لأي سلطة دولة كانت.

ثالثاً: مشكلة البحث

إن دراسة أثر الزعامة الدينية العليا في الاحداث العامة، أي ذات البعد الجمعي، لاسيما في وضع يكون الكيان العام للدولة مهدداً بعدوان مسلح، من الجانب القانوني، يتعرض إلى عقبات ومشاكل يقف في مقدمتها أنها بكر من جانب، وأن مناطق الاحتكاك والاختلاط مع الاختصاصات الأخرى فيها كثيرة من جهة أخرى، يعمل الباحث على تناولها من الجانب القانوني ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

رابعاً: منهج البحث

اعتمد الباحث في عرضه في كل ما يتعلق بالبحث على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بجمع المفردات ذات العلاقة وملاحظتها وتحليلها وتجزئتها، بلحاظ التشخيص من جهة، وتقديم الحلول من جهة أخرى.

خامساً: خطة البحث

تناول الباحث في المطلب الأول موضوع فتوى المراجع في الدفاع الشرعي، تعرض فيه إلى اختصاص المرجعية الدينية بالفتيا من جانب، ومفهوم مبدأ الدفاع الشرعي في القانون الدولي العام من جانب آخر، أما المطلب الثاني فقد تم تسليط الضوء فيه على أثر فتوى الجهاد في مبدأ الدفاع الشرعي من الناحية التعبوية والناحية الموضوعية.

المطلب الأول

موضوع فتوى المراجع في الدفاع الشرعي

The subject of the references' fatwas in Sharia defense

إنطلاقاً من أن لكل واقعة من وقائع الحياة حكماً شرعياً في الدين الإسلامي، فإن المجتهد من جهة اختصاصه بالفتوى، يقوم بتبيين هذا الحكم للأفراد، ومن الموضوعات البالغة الخطورة والحساسية في حياة الأمة - وجوداً واستمراراً - هو الفتوى بوجوب الدفاع الشرعي، من جهة كونها وظيفة شرعية على المكلف، فردية من جهة وجماعية من جهة أخرى، وفي هذا المطلب نتناول اختصاص المراجع بالفتوى ومبدأ الدفاع الشرعي في القانون الدولي العام.

الفرع الأول

اختصاص المرجعية الدينية بالفتيا

انفرد المذهب الامامي من بين المذاهب الإسلامية، بوجود قيادة مستمرة لأتباعه، وذلك بوجود مرجع ديني، له اختصاصات محددة، نص عليها الفقه مفصلاً، وعليه فمن الضروري تناول مفهوم المرجعية الدينية العليا واختصاصاتها ضمن دائرة الزعامة العامة لهذا المذهب.

أولاً: مفهوم المرجعية الدينية

تميزت الطائفة الامامية الاثنا عشرية بفتح باب الاجتهاد على مر العصور وتعاقب الدهور، كما تميزت ايضاً بالتقليد الذي هو رجوع عامة الناس الذين لا معرفة لهم بالأحكام الشرعية في أعمالهم للمجتهد المأمون على الحكم الشرعي^(١). والاجتهاد هو استنباط الاحكام الشرعية الفرعية عن ادلتها، والمجتهد إما ان يكون مطلقاً وهو من يتمكن من استنباط الاحكام في جميع الأبواب الفقهية، او مجتهد متجزئ وهو الذي يتمكن من عملية الاجتهاد في بعض الفروع أو الأبواب دون البعض الآخر^(٢).

وإزاء ذلك على كل مكلف لم يبلغ رتبة الاجتهاد في المسائل الشرعية، أن يكون في جميع عباداته وسائر افعاله وتروكه إما مقلداً او محتاطاً إلا أن يحصل له العلم - بالحكم الشرعي - إذ لا يلزم من فعله أو تركه مخالفة لحكم الزامي أو يكون هذا الحكم من ضروريات الدين او المذهب، كما في بعض الواجبات والمحرمات وكثير من المستحبات والمباحات، ويحصل للمكلف العلم المذكور بصورتين إما ان يكون بطريق الوجدان او بطريق الاطمئنان، من المناشئ العقلائية كالشيعاء وإخبار المطلع عليها بكونه منها^(٣).

ويشترط في مرجع التقليد البلوغ، والعقل، والايان، والذكورة، والاجتهاد، والعدالة، وطهارة المولد، وان لا يقل ضبطه عن المتعارف، والحياة، فلا يجوز

تقليد الميت ابتداءً، والأعلمية في مورد اختلاف الفقهاء في الفتوى^(٤).

وعليه فالمرجع هو العالم المجتهد، الذي ترجع إليه الأمة بالحكم الشرعي لحياتها اليومية، كما يقودها إلى منهج الرسالة الإسلامية وتطلعاتها المصيرية العامة، وبمرور الزمن اتسع هذا المفهوم نظراً لتوسع مسؤولية المجتهد العام لشؤون الأمة، إذ أصبح يتصدر المركز القيادي فيهم، وأُطلق على هذا المجتهد المرجع العام، وهو المتصدي للمرجعية^(٥).

ثانياً: اختصاص الفقيه بالإفتاء

ولاية - اختصاص - الفتوى - التي هي بمعنى حق ابداء الرأي في المسائل الشرعية - لا شك في ثبوتها للفقيه ابتداءً؛ لأن وجود هذه الصفة للفقيه حقيقة علمية، كون الفقيه شأنه شأن غيره من ذوي الاختصاص الذين لهم حق إبداء الرأي فيما يتخصصون به من العلوم، فضلاً عن اختصاص الفقيه بالفتوى فله كذلك حق المرجعية، أي أن فتواه قابلة لعمل المسلمين ويجوز لهم الرجوع إليه في ذلك، وحجية الفتوى التي هي بمعنى اعتبار فتواه واستنباطه الفقهي للآخرين امراً اعتبارياً وظاهرة شرعية قابلة للسلب والإيجاب والثبوت واللاثبوت تحت شرائط خاصة، وقد أقيمت لأثبات حجية فتوى الفقيه الجامع للشرائط أدلة كافية من الكتاب العزيز والحديث، بل استقرت السيرة المستمرة في العالم على الرجوع في كل فن من الفنون أو شعبة من شعب العلوم إلى أهل الخبرة وقبول رأيهم والأخذ بنظريتهم، وتقليد الفقهاء والرجوع إليهم يرجع إلى هذا المعنى، فمقام الإفتاء ثابت في الدرجة الأولى للرسول ﷺ - بعنوان التبليغ - ثم للائمة ﷺ ثم إلى عامة المجتهدين الفقهاء^(٦).

الفرع الثاني

مبدأ الدفاع الشرعي في القانون الدولي العام

كُفّل الدفاع الشرعي في القانون بصورة عامة للأفراد والدول على حد سواء، حتى أصبح مبدأً مسلماً به وضرورة من ضروريات القانون، ولأن مورد البحث يدخل في حيز القانون العام، لاسيما من جهة القانون الدولي العام^(٧)، فإنه يقتضي بيان مفهومه من هذا اللحاظ - القانون الدولي العام والشروط الواجب توفيرها فيه من جهة أخرى، والمصادر التي ينبع عنها هذا الحق.

أولاً: مفهوم الدفاع الشرعي

الدفاع الشرعي على وفق مفهومه القانوني الدولي هو القيام بتصرف مشروع دولياً لرد تصرف غير مشروع وقع ابتداءً، يتم من خلاله استخدام القوة المسلحة، ويهدف الدفاع الشرعي إلى دفع او رد خطر جسيم من قبل الطرف المعتدي والعمل على إيقافه للحفاظ على كيان الدولة وامنها وما يتصل من حقوقها الأساسية^(٨)، واشترط لاعتبار فعل الدفاع دفاعاً شرعياً ما يلي:

أ- وجود عدوان مسلح

ب- ان تكون اعمال الدفاع موجهة إلى مصدر العدوان

ج- تناسب فعل الدفاع مع فعل العدوان

د- ان يستمر فعل الدفاع لحين تدخل مجلس الامن الدولي^(٩)

ثانياً: مصادر حق الدفاع الشرعي

في القوانين الوضعية تكمن طائفة مهمة من المبادئ والأحكام التي تتصل بنظرية الحقوق الشخصية، وهي قوانين صدرت بالواقع بتأثير فلسفة حقوق الإنسان^(١٠) واعتقاداته، ففي الوقت الذي يعد المصدر الدولي معيناً أصيلاً وفاضلاً لمبدأ الدفاع الشرعي، نجد إلى جانبه المصدر الوطني، في إطار القانون الوضعي، وإلى جانبهما المصدر الديني.

١. المصدر الوضعي لحق الدفاع الشرعي

المصدر الوضعي لمبدأ الدفاع الشرعي يكون إما في إطار القانون الدولي العام أو القانون الداخلي - الوطني - وبتعبير ادق القانون الدستوري.

أ - الدفاع الشرعي في القانون الدولي العام

مصادر الحقوق بصورة عامة في إطار القانون الدولي العام يشمل الميثاق الدولية، التي تنقسم بدورها على ميثاق عامة وميثاق خاصة، والميثاق العامة، وهي التي تكفل كل حقوق الإنسان أو معظمها، وتعد بمثابة الشريعة للحقوق الإنسانية، وعلى رأس هذه الميثاق، ميثاق منظمة الأمم المتحدة ١٩٤٥، أما الميثاق الخاصة وهي محددة بفئة معينة من البشر، كالطفل أو المرأة أو كبار السن أو المعاق، أو تختص بحق محدد، كالاتفاقيات المنظمة لحق العمل وتحريم الرق والسخرة ومنع التعذيب، أو تسري في حالات محددة، كاتفاقيات الحقوق الإنسانية في أثناء النزاعات المسلحة، دولية كانت أم أهلية^(١١).

إن ما قدمناه عن المصدر الدولي لحقوق الإنسان هو ذو طابع عالمي، وإلى جانبه يوجد مصدر دولي ذو طابع إقليمي، يتعلق بالميثاق والاتفاقيات الإقليمية، (والنمط الإقليمي لحماية حقوق الإنسان في وقتنا الراهن يساهم بفاعلية أكبر في تنفيذ المهام المحددة لهذا الشأن، وذلك مرتبط بكون الشكل الإقليمي لحماية حقوق الإنسان يسمح بمراعاة خصوصيات هذه المنطقة أو تلك للمشاركين في العلاقات الدولية ويسهم في تطوير آلياتها)^(١٢).

ويعد ميثاق منظمة الأمم المتحدة من أهم مصادر الحق في الدفاع الشرعي، إذ نصت عليه في المادة (٥١)، فقد صرحت أنه « ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينتقص الحق الطبيعي للدول، أفراداً أو جماعات، في الدفاع عن انفسهم إذا اعتدت قوة مسلحة على احد اعضاء - الأمم المتحدة - وذلك إلى أن يتخذ مجلس الامن التدابير اللازمة لحفظ السلم والامن الدولي، والتدابير التي اتخذها

الأعضاء لاستعمال حق الدفاع عن النفس تبلغ إلى المجلس - مجلس الأمن - فوراً، ولا تؤثر تلك التدابير بأي حال في المجلس بمقتضى سلطته ومسؤولياته المستمرة من احكام هذا الميثاق من الحق في ان يتخذ في أي وقت ما يرى ضرورة لاتخاذ من اعمال لحفظ السلم والأمن الدولي أو اعادته إلى نصابه».

ب-الدفاع الشرعي في القانون الدستوري

يتضمن المصدر الوطني للحقوق الدستور والقوانين التي تنصب على حماية حقوق الإنسان وحياته الأساسية، - والمصدر الوطني سواء أكان وطني النشأة أم محمولاً من المصدر الدولي، فإنه هو المصدر الأول لحقوق الإنسان^(١٣)، فمثلاً يُعدُّ الدستور القانون العام للدولة، إذ يتضمن حماية حقوق الأفراد من طغيان السلطة الحاكمة، ويقر حقوقهم وحياتهم.

وفيما يتعلق بحق الدفاع الشرعي للدولة إزاء العدوان المسلح في جمهورية العراق فقد نصت المادة (٧/ ثانياً) من دستور ٢٠٠٥ النافذ بأن «تلتزم الدولة محاربة الإرهاب بجميع أشكاله، وتعمل على حماية أراضيها من ان تكون مقراً أو ممراً أو ساحة لنشاطه»، كما نصت المادة (٩/ اولاً/ أ) «تتكون القوات المسلحة العراقية والأجهزة الأمنية.... وتدافع عن العراق....».

٢. المصدر الديني

وهو مصدر أساسي في الدول الإسلامية التي تعد الشريعة الإسلامية المصدر الرئيس دستورياً وتشريعياً، ثم هو مصدر احتياطي في الدول التي تلتجئ للشريعة الإسلامية بعد استنفاد الوسائل التشريعية^(١٤).

ويضاف إلى المصادر الرسمية - الثلاثة - لقانون حقوق الإنسان، مصادر احتياطية، تتمثل في الإعلانات والتوصيات، التي لا تكتسب الصفة القانونية الملزمة، مثل إعلان حقوق الطفل لعام ١٩٥٩ والإعلان الخاص بحقوق المتخلفين عقلياً لعام ١٩٧١، الصادرين من قبل منظمة الأمم المتحدة.

المطلب الثاني

دور فتوى الجهاد في مبدأ الدفاع الشرعي

The role of the jihad fatwa in the principle of legitimate defense

عن طريق استقراء فتاوى مراجع الشيعة العظام في موضوع الجهاد ضد أي عدوان خارجي على البلد في إطار الدفاع الشرعي، نجد فيما نجد أن هناك أثرين، الأول يتحقق في جانب الفاعلية لهذا المبدأ والآخر جانب الموضوعية المطلوبة فيه على أرض الواقع.

الفرع الأول

الأثر التعبوي لفتاوى الجهاد في الدفاع الشرعي

يُعد القرار بالدفاع الشرعي من قبل الجهة صاحبة القرار في أي دولة ما ووضعه موضع التنفيذ والفاعلية من أكثر الأمور تعقيداً وصعوبة، فتحتاج الجهات الحاكمة إلى آليات تنفيذية ورقابية تصل إلى مستوى الإكراه بممارسة الدفاع من جهة، ووسائل خلق رأي عامٍّ يوفر جانب الانصياع الذاتي للتنفيذ المباشر له، وهو ما تكون الدولة مع فتوى المرجع بالدفاع الشرعي في غنى عنها.

أولاً: فاعلية الفتوى بوجوب الدفاع الشرعي

يتحقق الأثر البالغ والدور المنقطع النظير في خلق مجتمع عقائدي يؤمن بحتمية المشاركة في الدفاع الشرعي، عن طريق فتوى الدفاع الشرعي، وذلك بأمرين، المبنى الشرعي لهذه المشاركة، والرأي العام الجمعي المتولد عن هذه الفتوى المذكورة.

ثابت في الفقه الإمامي بأنه « يجب على كل مسلم الدفاع عن الدين الإسلامي إذا كان في معرض الخطر »^(١٥)، فالدفاع الشرعي في الدين الإسلامي يدخل تحت عنوان فرع من فروع، ألا وهو الجهاد، الذي هو « القتال لإعلاء كلمة الإسلام واقامة شعائر الايمان »^(١٦).

ويترتب على ما ذكر مستوي عالٍ من الفاعلية والتنجيز لقرار الدخول في حرب إزاء أي محتل أو عدوان خارجي، يروم النيل من ارض البلد بما تشمله من مقدسات ومحرمات المال والعرض، سواء أكانت جهة العدوان دولاً أم جماعات. فالامتثال الطوعي لقرار الدفاع الشرعي لأي دولة تحت غطاء فتوى مرجع ديني اعلى، يحقق ويوفر امرين أساسيين:

١. السرعة في احتواء الخطر المحدق من العدو

٢. الدعم البشري والزخم اللوجستي المطلوب إزاء إمكانيات العدو

فطاعة فتوى الدفاع بمكان وزمان لا تستطيع الدول بإمكانياتها المتعارفة، دون وسائل الاكراه والجبر من جهة، والترغيب والاغراء المادي من جهة أخرى لصد تحدي العدوان، بما يُبقي المبادرة في المعارك الدائرة ضمن الحرب بيد المسلمين، ويأتي ذلك من كون ممارسة القتال تحت عنوان الجهاد إضافة إلى الواجب الوطني، تُعد عبادة، يتحقق بممارستها من قبل المكلف الطاعة للفتوى الشرعية من المرجع الذي أصدرها، بوصفها تعبيراً عن الخطاب الإلهي المتعلق بذمته.

وأمثلتنا على ذلك كثيرة، منها أن معظم العراقيين قد نبذوا خلافات الماضي مع حكامهم العثمانيين، ووقفوا بمختلف فئاتهم إلى جانب هؤلاء وشاركوا معهم في الدفاع الشرعي بالقتال ضد الاحتلال الإنكليزي عام ١٩١٤ بناءً على فتوى المرجع الديني الأعلى آنذاك آية الله العظمى السيد محمد كاظم اليزدي الطباطبائي^(١٧).

ثانياً. توجيه الرأي العام للدفاع الشرعي

الرأي العام هو مجموعة آراء جمهور معين من الناس حول موضوع مُحدد، قد يكون قضية أو مشكلة أو فكرة أو حدث، يُثير اهتمام هذا الجمهور ويؤثر عليه، وربما يجعله مُقسماً ما بين مؤيد ومعارض ومُحايد، ويدفع الجمهور إلى التعبير عن وجهة نظره حيال الموضوع، والذي بدوره يؤثر على صانع القرار الوطني أو الإقليمي أو الدولي^(١٨).

ولا يخفى أثر فتوى الدفاع الشرعي في ميدان الرأي العام للمجتمع الإسلامي،
المُهدد في مقدساته، إذ تعمل عملها - الفتوى - وتحقق أغراضاً أساسية، أهمها:

١. خلق رأي عام جديد

٢. وحدة الرأي العام وتراصه.

٣. حصانة الرأي العام من التضليل الإعلامي^(١٩).

وخير مثال على ما قدمنا أثر أصل فتوى الجهاد الكفائي الصادرة عن المرجع
الديني الأعلى سماحة السيد علي الحسيني السيستاني من جهة، وخطب الجمعة
الصادرة في الصحن الحسيني الشريف عن ممثليه من يوم العدوان الداعشي في
سنة ٢٠١٤ من جهة أخرى، إذ كان لها الأثر الحاسم في تكوين رأي عام موحد
مضاداً للعدوان، وبيئة نفسية واعية ومؤهلة ومستعدة لمتطلبات الجهاد.

الفرع الثاني

الأثر الموضوعي لفتوى الجهاد في الدفاع الشرعي

مثلما هناك تأثير تنفيذي ناجز لفتوى المراجع الدينية في مبدأ الدفاع الشرعي،
فإن هناك أثراً موضوعياً عليه، كون الفتوى بممارسته هو حقيقي ويتحدد
بضوابط نص عليه الشرع، لا أن يكون كلمة حق يراد بها باطل، كما نشهد من
الممارسات غير الواقعية لهذا الحق لكثير من أطراف النزاع، وهذا متأت من
قضيتين أساسيتين تُلَازمان واقع المرجع، وهي كونه عادلاً بمعنى يرسخ ملكة
الامتثال لأوامر الشرع وترك نواهيه على درجة عالية جداً من جهة، ومن جهة
كون المرجع يمثل الامتداد الأصيل لخط أهل البيت عليهم السلام.

أولاً: أثر شرط العدالة في المرجع على الدفاع الشرعي

إن الدفاع الشرعي ليس حقاً تمارسه الافراد أو الدول لصد أي عدوان خارجي
ورده، بل هو مبدأ وضرورة من مبادئ وضروريات القوانين الوضعية والديانات
الساوية جمعاء، وليس في ذلك إشكالية، إلا أنه إصباغ صفة الدفاع بالشرعية على

النحو الحقيقي والخارجي، أي على الوضع الذي يكون فيه قرار الدفاع وتطبيقه مورداً للتجاذب بحيث يكون محلاً للدعاء من جهتي الاقتتال والنزاع.

فالموضوعية والشفافية في قرار الدفاع الشرعي وتطبيقه من المسائل البالغة التعقيد، خاصة في دائرة العلاقات فيما بين الدول في حالة الحرب، القائمة - من الناحية الواقعية - على الغلبة طبقاً للمدعى المعروف: الغاية تبرر الوسيلة. وهنا يأتي الدور الموضوعي للمرجع الأعلى صاحب فتوى الدفاع الشرعي بما يحمّله من مؤثرات عادلة وحيادية إزاء تشخيص حالة العدوان ووسيلة رده، عن طريق الفتوى المعبرة عن الحكم الشرعي المتعلق في ذمة المكلف، الصادرة عن شخص المرجع ذي ملكة العدالة الراسخة وملكة استنباط الحكم الشرعي من الأصول المعتمدة، بعيداً عن الميولات الطائفية والنزعات الفئوية، فالافتاء عمل عبادي يراعى فيه جانب الإخلاص لله تعالى في النية واستفراغ أقصى الجهد.

ثانياً: أثر الاعتقاد بتمثيل المرجع الأعلى لخط اهل البيت

تتحصل المكانة العالية لمراجع التقليد بين الناس عند الشيعة الامامية، لا لصفاتهم الشخصية ومؤهلاتهم العلمية العالية - العلم والتقوى - والاستقلال الذاتي الذي يتحلى بالجهاز المرجعي عن السلطة الزمنية من الجهات كافة^(٢٠)، بل يضاف إلى ذلك أن المرجعية الدينية لا تنفك عن واقع الامة الإسلامية وهي مرتبطة معه ارتباطاً وثيقاً، بما يرى المكلفون في وجود المرجع امتداداً إلى وجود الائمة من اهل البيت عليهم السلام، الذين هم امتداد لوجود المشرع الأعظم رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا الاتصال الممتد يجسد لنا الارتباط الكبير والعميق بين افراد الأمة ومرجعها الديني، إذ يأخذ بأيديهم إلى ما فيه خيرهم على المستويين الديني والاجتماعي^(٢١)، فما يصدر عن المرجع الأعلى في شأن الدفاع الشرعي، يُسبغ التكليف به على الأفراد صفة القداسة، بالإضافة إلى كونه واجباً وطنياً وإلزاماً أخلاقياً، وهو بدوره عاملٌ أساسيٌّ في قوة زخم المشاركة القتالية واستمرارها، لا يتحصل مثله في بقية الأساليب والطرق والاليات التقليدية والمتعارفة في الدول.

الخاتمة

بعد أن أنهينا البحث، نعرض خاتمة تتضمن نتائج مستخلصة من الدراسة ومقترحات التي تأخذ بمزيد من الحماية والتطوير لحق الدفاع الشرعي على النطاقين الوطني والعالمي، من جهة تأثير الزعامة الدينية في أصل إقرار هذا الحق من جهة وتفعيله من جهة أخرى.

أولاً: النتائج

١. يُعد الدفاع الشرعي من أمهات الحقوق على مستوى ممارسة الأفراد ومستوى ممارسة الدول، فهي من الثوابت العقلية والنقلية - التشريعية - على النطاقين الشرعي والوضعي، ففي الوقت والحال الذي يمكن ان تسمي فعل الدفاع الشرعي حقاً فمن الممكن ان تسميه مبدأً، لرسوخه وثبوته.

٢. الدفاع الشرعي مثلما هو واجب وطني على المجتمع المهدد في كيانه المادي والمعنوي، هو واجب ديني، نصت عليه مصادر الحكم الشرعي، لاسيما القرآن الكريم والسنة المطهرة.

٣. باعتبار أن ممارسة الدفاع الشرعي هو واجب ديني، فهو عمل عبادي يقتضي فيه الامتثال من حيث مطابقة ممارسته إلى الحكم الشرعي على وفق فتوى المرجع الديني الأعلى، كي يصبح عمله مبرئاً للذمة أمام الله تعالى.

٤. إن فتوى الجهاد بالدفاع الشرعي لها معطيات رئيسة وأثار أساسية في إنجاحه، من جهات عدة لاسيما تفعيله وإعماله، فاستجابة المكلفين له تكون قد بلغت الغاية القصوى من حيث الكم والكيف، بوضع وزمانٍ عديم النظير في حال ممارسته من قبل سلطات الدولة دونها هذه الفتوى.

٥. للفتوى بالدفاع الشرعي أثرها البالغ ودورها العادل من الناحية الموضوعية، سواء على مستوى القرار المتخذ في فعل الدفاع الشرعي أم استمراريته، بشكل

يختلف كلياً في تطبيقات النزاعات المسلحة من جهة الادعاء به ما بين أطراف هذه النزاعات المتجاذبة بأحقية ممارسة استخدام القوة من قبلها.

ثانياً: المقترحات

١. يغلب على الدراسات المتعلقة بمصادر القانون العام بصورة عامة ومصادر القانون الدولي العام بصورة خاصة الاهتمام الأهم بل ربما الأوحد بالمصدر الوضعي، دون اهتمام لائق بالمصدر الديني الإسلامي، ولا سيما في موضوعات رئيسة مثل السيادة والدفاع الشرعي، فالاهتمام مطلوب ومرجو لتسليط الضوء على جواهر الشريعة في هذا الجانب، من قبل الكفاءات القانونية.

٢. في الوقت الذي نص دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ على أن الإسلام هو دين الدولة الرسمي وكون الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس للتشريع، لم يُشر إلى المرجعية الدينية، صاحبة الاختصاص الأصيل في الدين بشكل عام والشريعة بوجه خاص، نقترح على المشرع الدستوري تعديل الدستور بما ينص على حرمة المرجعية الدينية العليا واعتبارها، وذلك صيانةً للدين وحياطته.

٣. مازالت الدراسات الأكاديمية الموضوعية فيما يخص دور المرجعية الدينية العليا وأثرها دون المستوى المطلوب، خاصة في العراق، إذ أصبحت المرجعية فيه من خصائصه التكوينية الرئيسة، وعليه فالميدان العلمي بحاجة إلى تسابق وتنافس بحثي، عن طريق مراكز بحوث خاصة في هذا الجانب، ومن أغلب الاختصاصات.

٤. يتأكد مطلب الدراسة والاستقصاء البحثي من قبل الدراسات السياسية والدراسات العسكرية بالإضافة إلى الدراسات المتعلقة بالقانون الإداري لدور المرجعية العليا وأثرها في فتوى الدفاع الشرعي من الناحية التعبوية وتوجيه الموارد البشرية والمواد غير البشرية في إنجاح فعل الدفاع الشرعي وتحقيق أهدافه، باعتبار أن هذا الأثر يدخل في صلب موضوع المرفق العام أي النشاط الحكومي للسلطة التنفيذية للدولة.

الهوامش

- ١- آية الله العظمى السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، منهاج الصالحين، ج ١، دار الهلال، ط ٣، ٢٠٠٤، بيروت، ص ٧.
- ٢- آية الله العظمى الشيخ الشهيد علي الغروي، موجز الفتاوى المستنبطة، ج ١، دار المحجة البيضاء، بيروت ط ٣، ١٩٩٧، ص ٦.
- ٣- آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني، منهاج الصالحين، ج ١، ط ٤، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٩٩٨، ص ٩.
- ٤- آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، منهاج الصالحين، ج ١، ط ٢٩، مؤسسة صدر الخلائق، ١٤٢٤هـ، ص ٥ - ٦.
- ٥- د. محمد بحر العلوم، آفاق حضارية للنظرية السياسية في الإسلام، ط ٢، دار الزهراء عليها السلام، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٤.
- ٦- آية الله السيد محمد مهدي الموسوي الخلخالي، الحاكمية في الإسلام، ط ١، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٢، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١.
- ٧- يدخل حق الدفاع الشرعي بصورة رئيسة في جهتين من جهات القانون العام، كسبب من اسباب الاباحة لعمل هو في الاصل ممنوع قانوناً، الجهة الاولى هي القانون الجنائي وذلك في حال كون ممارسة فعل الدفاع على النحو الفردي، أما الجهة الثانية فهي القانون الدولي العام عندما يتعلق فعل الدفاع الشرعي بعمل الدولة او المجتمع ككل.
- ٨- د. عبد المجيد ابراهيم عبد اللطيف، المحكمة الجنائية الدولية والمعايير المزدوجة في احكامها، ط ١، دار الاكاديميون للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٢١، ص ٧٩.
- ٩- د. نسيب نجيب، التعاون القانوني والقضائي الدولي في ملاحقة مرتكبي جرائم الارهاب، ط ١، مركز الكتاب الاكاديمي، بيروت، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.
- ١٠- د. ادمون رباط، الوسيط في القانون الدستوري العام، ج ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧١، ص ٢٠٩.
- ١١- د. الشافعي محمد بشير، قانون حقوق الإنسان، ط ٦، منشأة المعارف، الإسكندرية- مصر، ٢٠٠٩، ص ١٧-١٨.
- ١٢- د. عمر الحفصي فرحاتي، د. بدر الدين محمد شبل، د. آدم بلقاسم قبي، آليات الحماية الدولية لحقوق الإنسان وحرياته الأساسية، ط ١، دار الثقافة، عمان-الأردن، ٢٠١٢، ص ٢٢٥.
- ١٣- د. وليد سليم النمر، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، ط ١، الاسكندرية - مصر، ٢٠١٤، ص ٨٥.
- ١٤- د. الشافعي محمد بشير، قانون حقوق الإنسان، المصدر السابق، ص ١٨.

- ١٥- آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي، منهاج الصالحين، مصدر سابق، ص ٣٨٨.
- ١٦- م.ن. ص ٣٦٠.
- ١٧- كامل سلمان الجبوري، السيد محمد كاظم اليزدي سيرته واضواء على مرجعيته ومواقفه ووثائقه السياسية، ط ١، منشورات ذوي القربى، قم، من ص ٢١٧ الى ٢٧٢.
- ١٨- د. زهير عبد اللطيف عابد، الرأي العام وطرق قياسه، ط ٣، دار اليازوري، عمان - الأردن، ٢٠١٣، ص ٢٤- ٢٥.
- ١٩- للتوسعة في الوقوف على مفهوم التضليل الإعلامي ووسائله راجع بحثنا «المسؤولية الجزائية للناطق الإعلامي عن تضليل الرأي العام» المقدم الى مؤتمر العميد السادس في سنة ٢٠٢٢.
- ٢٠- سعد الانصاري، الفقهاء حكام على الملوك، ط ١، دار الهدى، قم المقدسة، ١٩٨٦، ص ٢٦.
- ٢١- آية الله الشهيد عز الدين بحر العلوم، التقليد في الشريعة الاسلامية، ط ٤، مؤسسة الديواني، بغداد، ١٩٩٠، ص ٧.

قراءة إبستمولوجية لسانية في مفهوم الجهاد وتمثلاته - فتوى السيد علي السيستاني اختياراً -

م.د. حيدر عواد رفيج / جامعة ذي قار / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

ملخص البحث

تشترك فتوى الجهاد الكفائي مع نظرية المعنى في كونها معاً يستهدفان قوة المتلقي الإدراكية، ويعتمدان على وفاق ذلك - سرعة الاستجابة لتلك القوة والتفاعل معها، ولي في ذلك أن أفترض أن التصريح بالجهاد الكفائي إنما هو تلميح لمضمون أعمق؛ إنه يشبه إلى حد ما - المعنى الإشاري؛ إذ لا يبلغ الأخير - الإشاري - مبلغ الأول - الصريح - لكنه قد ينفع في تنبيه الأذهان إلى قداسة المعنى الصريح وحقائيقته، وهذه هي فكرة البحث التي ستطرح إن شاء الله تعالى - على هيئة تساؤلات؛ وأجيب عنها تباعاً.

أمّا مفهوم الجهاد فقد تجلّى في محولات دلالية مكثفة وضعت في قالب لغويّ وأصطلح عليه بـ "الجهاد"، وهذا المصطلح، كغيره من المصطلحات، يتأسس على مبدأ وقاعدتين، أمّا المبدأ؛ فهو أساس المصطلح وفيه يُنسب إلى نظرية معينة سواء أكانت توقيفية أم تواضعية، والحال في مصطلح الجهاد أنه توقيفي بدليل أن أوّل وروده كان في القرآن الكريم، وهو ابتكار قرآني، إذن فالمبدأ توقيفي. وأمّا القاعدتان؛ فهما "المقبولية، والتداول"، والحقيقة أن هذا هو الخط العام في التأسيس المصطلحي لأيّ مفهوم، لكن كيف؟ كيف تأسس مصطلح الجهاد، ما أصله المنطقي، وهل حدث له تطوّر دلالي في أثناء سيرورته، ثمّ كيف استعمل، وما درجة المقبولية التي نالها في أثناء ذلك الاستعمال، وبعد؛ ما الأثر المترتب عليه، هل كانت فتوى السيد

السيستاني مصداقاً حقيقياً للاستعمال العام لمفهوم الجهاد، أم إنها كانت تجلياً لأحد مصاديقه وتمثالاته، وأخيراً ما علاقة هذا المفهوم بالمفاهيم المتاخمة له؛ كالحرب، والقتال، ومنازلة النفس، وحسن التبعل وغير ذلك؟

إنَّ القراءة الإستمولوجية هي الوحيدة القادرة على الإجابة عن هذه التساؤلات، وكذلك هي الوحيدة القادرة على وصفها وإدراك جزئياتها؛ فالإستمولوجيا تنطلق في قراءة المفاهيم بعرضها العريض، قراءة لا تقوم على الإيمان بمحاكمات سابقة تؤخذ بعنوان مصادرات يقينية أو جزمية؛ إنها تقرأ المفهوم بوفاض خالٍ من جميع ذلك، وهذا لا يعني عدم وجود تصوّرات سابقة عن ذلك المفهوم، لكنّها ليست معياراً، وإن كانت في خانة القبليّات، بل يعني أنّ التعويل فقط على نتائج الفحص الإستمولوجي، فإن كانت النتائج تامّة سلّم الباحث بها، وإن أدت مطابقة أو تضمناً أو لزوماً إلى خلاف تلك التصوّرات، فإنّها أي: التصوّرات تُطرح جانباً كونها غير ذي صلة، ولا أرغب إلى خلاف ذلك المؤدّي، انسياقاً مع تلك القبليّات أو التصوّرات.

وما يجدر ذكره هنا هو أنّي سأتحرك على وفق تعريف الإستمولوجيا المتفق عليه بين الإستمولوجيين، وهو تعريف "لالاند" في موسوعته الفلسفية، مع الإشارة إلى قراءة النصّ المكتوب والإشاري لفتوى السيد علي السيستاني في الجهاد الكفائي في ضوء الإبتيميات النقدية، ولكن من دون الإغراق في الاعتقاد بصحة هذه الإبتيميات كلّها؛ إذ ما تزال تلك الإبتيميات في طور التجديد، ولم تصل إلى درجة الاكتمال المنهجي الذي يعطيها قوّة النقد والمحاكمة والتحليل، والعمل الإستمولوجي كذلك؛ ما زال مستمرّاً ويتجدّد بتجدّد المعرفة؛ لأجل ذلك كلّه سأجمع بين هذين المعطين "تعريف لالاند للإستمولوجيا، وبعض الإبتيميات النقدية".

Abstract:

The fatwa of Sufficient Jihad shares a similarity with the theory of meaning in that both target the cognitive capacity of the recipient, relying—accordingly—on the speed of response and interaction with this capacity. I propose that the declaration of Sufficient Jihad is, in fact, an implicit indication of a deeper meaning. It resembles, to some extent, the indicative meaning, which, while not reaching the explicit level, serves to alert minds to the sanctity and truthfulness of the explicit meaning. This is the core idea of the study, which will be presented, Allah willing, in the form of a series of questions to be answered successively.

The concept of jihad has manifested in rich and layered semantic connotations, encapsulated in a linguistic framework and designated by the term *‘jihad.’* Like other terms, this concept is founded on a principle and two foundational pillars. The principle represents the basis of the term and associates it with a particular theory, whether divine (revealed) or conventional. In the case of the term *‘jihad,’* it is divine, as evidenced by its first appearance in Quran, marking it as a Quranic innovation. Therefore, the principle is divinely ordained. As for the two pillars, they are *‘acceptability’* and *‘circulation.’* This is, in fact, the general framework for the terminological foundation of any concept. But how? How was the term *‘jihad’* established? What is its logical origin? Has it undergone semantic evolution throughout its history? How has it been utilized, and what level of acceptability has it achieved during its application?

Epistemological analysis is the only approach capable of answering these questions, as well as describing and comprehending their components. In examining concepts, epistemology adopts a broad perspective, one that does not rely on prior judgments taken as definitive or dogmatic premises. Instead, it approaches the concept

with an open mind, unburdened by preconceived notions. This does not imply the absence of prior understandings of the concept, but rather that such preconceptions are not the standard of evaluation. Even if they exist as a priori ideas, they hold no authoritative weight. The focus lies solely on the outcomes of epistemological inquiry. If the results are sound, the researcher accepts them. Conversely, if the results—whether by correspondence, implication, or necessity—contradict those preconceptions, the latter are dismissed as irrelevant. I do not aim to deviate from this approach by succumbing to preconceived notions or a priori assumptions. Moreover, what are the resulting implications? Was Sayyid al-Sistani's fatwa a true representation of the general application of the concept of jihad, or was it merely an expression of one of its instances and manifestations? Finally, how does this concept relate to adjacent concepts, such as war, combat, self-discipline, virtuous spousal conduct, and others? It is worth noting here that I will proceed with the definition of epistemology agreed upon by epistemologists, specifically the definition provided by Lalande in his *Philosophical Encyclopedia.

المبحث الأول: اللغة ضابطة أولى في قراءة بنية المفهوم

أولاً: التلازم بين اللغة والعقل

اللغة هي الرافد الأول لكل عمليّات الفكر، ومن دونها لا يمكنه أن يكون، وبالتلازم لا يمكن أن يكون أيُّ شيء؛ فعند انتزاع اللغة يُنتزع كلُّ شيءٍ ولا سيّما الفكر؛ كذلك يُنتزع، وهذا الأمر متوافق تماماً مع اللغة العربيّة؛ بدلالة قول المستشرقة البلغاريّة «مايا تسينوفا»: ((بعد دراستي اللغة العربيّة اكتشفت أنه قد أصبح لفمي عقل))^(١).

وكأنّها تُشير إلى أن العربيّة هي عقل محمّها، بما يحمله مصطلح «عقل» من دلالة على الاتزان والثبوت^(٢)، ولا غرابة في ذلك؛ إذ جاء القرآن الكريم باللغة العربيّة؛ لأنّه يخاطب العقول لا الأبدان، ولأنّه لا ينطق بغير المنطق والمعقول، ولم تكن المستشرقة أوّل من قال بهذا، وإن كانت شاهداً دلالياً لفكرنة اللغة العربيّة؛ فقد كانت مسبوقة بالشافعيّ محمد بن إدريس المطلبيّ القرشيّ «١٥٠-٢٠٤هـ»؛ إذ يقول: ((أَصْحَابُ الْعَرَبِيَّةِ جُنُّ الْإِنْسِ، يُبْصِرُونَ مَا لَا يُبْصِرُ غَيْرُهُمْ))^(٣). وفي هذا إشارة إلى العلاقة الوثيقة بين الإبصار واللغة سواء أكان الإبصار المادي أم البصيرة، ومسبوقه أيضاً بعلي عزّت بيغوفيتش الذي يعمّم هذا القيد على اللغة بصفة عامّة؛ فيصف اللغة بأنّها يدُ المنخ^(٤). ولعلّ من أبرز مصاديق ارتباط اللغة، ولا سيّما العربيّة، بموضوع بحثنا هذا هو استدلال السيد علي الحسيني السيستاني على فقهية الفقيه؛ بأنّ الفقيه إنّما يكون فقيهاً بالمعنى الأتمّ حين يتوافر على خبرة وافية بلغة العرب، وكلامهم، وخطبهم، وأشعارهم، ودلالاتهم الحقيقيّة والمجازيّة، وفي هذه الحالة فقط يمكن أن يكون قادراً على تشخيص ظهور النصّ وبطونه تشخيصاً موضوعياً دقيقاً^(٥).

ثانيًا: خطورة اللغة بوصفها مقولة عقلية

لا ينفى على المحصل البسيط في علم النفس المعرفي ما آلت إليه الدراسات الحديثة في ربط علم النفس المعرفي باشتغالات اللغة؛ ذلك أن علم النفس المعرفي هو أحد فروع علم النفس العام يُعنى بالاشتغال الثقافي للذهن البشري أكثر من عنايته بدراسة الشعور أو التجريد الذهني؛ ولهذا عرف هذا الفرع تطورًا ملحوظًا؛ إنه معني بدراسة مختلف العمليات العقلية التي تحدث داخل الذهن ويمارسها الفرد عند استقباله للمعلومات، وأثناء معالجتها، وتميزها، وتخزينها، ومن ثم استرجاعها عند الحاجة لمحاولة فهم السلوك الإنساني^(٦). واللغة بطبيعة الحال عامل رئيس في إثراء ذلك الفهم، ولا سيَّما اللغة العادية المستعملة لغرض التواصل.

إن أغلب الدراسات الحديثة في علم النفس المعرفي تجذب العقل إلى التفكير اللغوي؛ ولا غرو بعد ذلك في القول: إن أكبر دراسة لمقولات أرسطو^(٧)؛ هي ليست لعالم في المنطق أو فيلسوف؛ بل لإميل بنفيسست الذي هو عالم لسانيات قام باسترجاع المقولات المنطقية العقلية الأرسطية، ليؤكد فيما بعد أنها مجرد مقولات لغوية؛ وآية ذلك في قوله: ((وهكذا يضع أرسطو مجموع المحمولات التي يمكن إثباتها للوجود، ويرمي إلى تحديد الوضعية المنطقية لكل واحد منها. والحال أنه يبدو لنا وسنحاول البرهنة على ذلك أن هذه التمييزات هي قبل كل شيء مقولات اللغة، وأن أرسطو في الواقع، فيما هو يفكر بطريقة مطلقة، قد عثر من جديد ببساطة على بعض المقولات الأساسية للغة التي كان يفكر ضمنها))^(٨).

لو نظرنا في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ

عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿البقرة: ٣٠-٣١﴾.
لوجدنا أن أوّل عطاء من الله سبحانه وتعالى لآدم (عليه السلام) هو الأسماء، وهذا في حقيقة الأمر يرشدنا إلى أن آدمية آدم لكي تكون وتتحقق فهي محتاجة إلى تعليم الأسماء كلّها، ويرشدنا أيضًا إلى الإدراك بأنّ سرّ العقل البشري ليس في العقل نفسه كما تصوّر "كانط"؛ حين صادر على أنّ المقولات الأساسية إنّما هي صورة من صور الإدراك المحض للعقل البشري؛ يقول جميل صليبا: ((المقولات عند "كانت" هي التصورات الكلية الأساسية التي يتضمّنها العقل المحض، وهي صور قبلية للمعرفة، تستنبط من طبيعة الحكم في مختلف صورها، وتمثّل الجوانب الأساسية للتفكير النظري، أو الاستدلالي، وهي أربعة أجناس كبرى "الكم... والكيف... والإضافة... والجهة... ولكلّ واحدة من هذه المقولات الأربع ثلاثة أقسام))^(٩). إنّها ليست كذلك البتّة؛ بل إنّ سرّ العقل البشري هو في مقولة اللغة؛ فلو سكت الإنسان وتأمّل شيئاً في الوجود ثمّ أراد أن يصفه؛ فإنّه يستحيل عليه في لحظة الصمت هذه أن يستحضر فكرة واحدة لوصف ذلك الشيء من دون استعمال الحرف والكلمة، وكأنّ عقله قد توقّف عن التعقيل من دون اللغة.

وهناك مثال حيّ آخر يرفع الإيهام وتزاحم المصطلحات في الفكرة المعروضة، وهو تجربة ماديّة قام بها عالم النفس الأمريكي «ويثروب كيلوج» حين تنبّه إلى تلك المناسبة بين اللغة والفكر وأراد فحصها؛ فأخذ على عاتقه تربية قرودة مع ابنه في منزله بعد أن حصل عليها على وفق المواصفات المطلوبة؛ وهو أن يكون عمرها مساوياً لعمر ابنه، وحصل على إجازة من عمله لأشهر عديدة؛ للتفرغ لذلك المشروع، وقد كانت عملية تربية القردة مطابقة لتربية ابنه، من "الملبس، والمأكل، والمنام"؛ كان يعامل القردة بشكل مطابق تماماً

لابنه؛ "نومهما، وأكلهما، ومعيشتهما، ومعاملتهما" متماثلة.

أظهرت القرُدة_بداية_استجابة لافته وتقدمًا إدراكيًا ملحوظًا عن ابنه في الارتباط العاطفي، والتصرفات السلوكية، وحلّ الألغاز الفكرية البسيطة، بيد أنّها وصلت إلى حدّ توقفت عنده، وما عادت قادرة على المجازاة ولاسيما في جانب التواصل اللفظي، وفهم الكلمات، والذكاء المعقّد، وهي المرحلة التي تقدّم فيها الطفل من اللحظة التي بدأ فيها التلفّظ وإدراك اللغة، وقد انتهت التجربة إلى نتيجتين:

الأولى: على الرغم من الاستجابة السريعة للقرُدة، إلّا أنّ قدرتها على تلك الاستجابة تنتهي في وقت معيّن.

الثانية: في الوقت الذي اكتسب فيه الطفل القدرة على اكتساب اللغة وتوليد الكلمات، تحوّل إدراكه العقليّ إلى الإيجاب والقدرة على التواصل. وزبدة القول أنّ اللغة هي التي تنظّم رؤيتنا إلى الوجود وإلى الأشياء، أي إنّ العقل البشريّ فيه مقولة لتنظيم الوجود، أو قل: مقولات لتنظيم الوجود، واللغة هي إحدى أهم تلك المقولات التي تنظّم التواصل البشريّ، وإذا ما أعيدت صياغة هذه النتيجة لسانياً فإنّه يمكن القول: إنّ اللغة تتضمّن وصفاً سلوكياً يركّز على مفهومين هما «المؤشّر والاستجابة»، أي إنّ اللغة لها القدرة على أن تقوم بوظيفة الوسيط أو الأداة؛ كونها تعمل على نقل ما استودعه إياها؛ سواء أكان نظاماً أم سؤالاً، وتثير في الوقت نفسه عند المتلقّي سلوكاً مطابقاً لما عرض عليه في كلّ مرة؛ إن استجابة أو رفضاً^(١٠).

ثالثاً: مفهوم الإستمولوجيا

الغرض من التعريف بالمفاهيم إنّما هو إشباع المجهول التصوّري من طريق الوصول إلى المعلوم التصديقي الواقع جواباً لـ "ما" الاستفهامية، وغالباً

ما تقع المنازعات المعرفية بين المتواصلين؛ بسبب الإجمال في بعض مفاهيم الألفاظ المستعملة، وقد يحصل الاضطراب في الفهم، وفي التواصل بطبيعة الحال؛ بسبب عدم الاتفاق على حدود معنى اللفظ؛ إذ يذهب كل واحد منهم إلى ما يدور في ذهنه من مدلول دون أن تكون هناك صورة واضحة للمعنى؛ مرسومة بالضبط في لوحة ذهنه، والنتيجة هي بناء منطق زائف على وفق صورة مشوشة^(١١).

إنَّ المدلول الأساس في الإستمولوجيا هو "النقد التحليلي" فيما يتعلّق بالمفاهيم، والنقد الذاتي فيما يتعلّق بالعلوم، وهو القاسم المشترك بين مصطلحي "إبستيم Episteme، ولوغوس logos"، ذلك النقد المعرفي الذي يُسائل المبادئ والفرضيات والنتائج لمختلف العلوم والمفاهيم، ويهدف إلى تحديد الأصل المنطقي والقيمة المعرفية لها، فضلاً على رصد المدى الموضوعي، وهذا هو المفهوم من قول "الالاند" في الإستمولوجيا بأنّها: ((الدرس النقدي لمبادئ مختلف العلوم وفرضياتها ونتائجها الرامي إلى تحديد أصلها المنطقي وقيمتها ومداهما الموضوعي))^(١٢). بلحاظ أنّ الإستمولوجيا لا تبحث في المعرفة المبنية على وحدة الفكر مثلها هو الحال في نظرية المعرفة، بل تبحث فيها من جهة كونها معرفة بعدية مفصلة على أبعاد المفاهيم وأبعاد موضوعاتها^(١٣). أي إنّها إجراء لاحق للمعرفة لا يسبقها ولا يساوقها، وإنّما يأتي بعد تحقّقها ليس بهدف إيجاد ألوان جديدة لها، بل نظمها في إطار منطقيّ محكم.

وبعدُ فقد وسّع فوكو هذا المفهوم حين تبنّى قول «برنار هنري» في الإستمولوجيا بأنّها: ((الأرضية التي تقوم عليها معرفة عصر معين ومجاله المرئي، والمركز الثابت الذي يوزّع خطاباته، أي الفضاء الذي تنتشر فيه موضوعاته، وقانون تواتر مفاهيمه، ونظام توزّع مشاكله، وقاعدة توزّع

أساليبه، أي فرش من الإكراهات المغلقة وغير المتحددة الملامح، التي تسم، من قَبَل، كلَّ خطاب))^(١٤). نصُّ فوكو هذا يحتاج إلى فضل تأمل كما أنَّ النصوص الفلسفيَّة تحتاج إلى كثير من التأمل، إنَّه يحدّد موضوعات الإبستمولوجيا بكلمات تكاد تكون مترادفة في بعض مضامينها "أرضية، ومرتكز، وقانون، ونظام، وقاعدة، وفرش". ويجيل على نتائج^(١٥):

الأولى: الإبستمولوجيا تبحث في الأصول، فهي أرضية سمحة تبني عليها المعارف؛ لأنَّها تحفر في جذورها.

الثانية: الإبستمولوجيا تبين حدود المعارف _ مجالها المرئي _ أي: المعرفة الحسيَّة، أمَّا وراء الحسِّ فهو غير مرئي بالعين الباصرة.

الثالثة: الإبستمولوجيا تبحث في أنواع الخطاب، وتدرس المفاهيم، وأقسامها، وتعريفها بدقَّة، وتناسقها، وترفض التناقض فيما بينها؛ لأنَّها دراسة نقديَّة تحدّد المفاهيم، وقيمة القضايا، أو الجمل، أو المعرفة في مطابقة الواقع.

الرابعة: الإبستمولوجيا تقف عند مشكلات المعرفة، إن وجدت، وتضع حلولاً لها.

رابعاً: مادة الجهاد من المنظور اللغوي

في البدء نقرّر أنه لا يمكن الوصول إلى التعريف الاصطلاحي للمفهوم من دون أن ينتظم المفهوم نفسه في المعاجم اللغوية؛ فيكتسب دلالاته اللغوية فيها وينطلق منها إلى اصطلاحات المتخصّصين، ونقرّر أيضاً أنّ الدلالات اللغوية لهذا المفهوم كلّها تحيل على الكلفة والجهد، وهو قرار منطبق على واقعه؛ فغالباً ما يقال: أجهد نفسه في حمل حجر الرحا، ولا يقال أجهدها في حمل خردلة، بلحاظ أنّ المشقّة التي يحملها هذا المفهوم ليست المشقّة المألوفة، بل المشقّة المفرطة التي لا يمكن تحمّلها في الحالة الطبيعيّة، لكنّ التحوّل الدلالي الذي أصاب المفهوم جعله مخصوصاً في العرف الدينيّ. ببذل النفس، أو الاستعداد التام لبذنها في سبيل الدين أو الأهل أو المال أو العرض^(١٦).

إنّ المعنى المألوف والشرعي لهذا المفهوم هو مجاهدة الكفار ودعوتهم إلى الدين الحقّ، أو قتالهم إن لم يقبلوا، وهو في اللغة أعمّ من هذا^(١٧)؛ إذ يدلُّ لفظ «جُهد» على الطاقة، وقيل: الوسع، أمّا لفظ «جَهد» فيدلُّ على المشقّة، وقيل: المبالغة والغاية؛ قال ابن منظور «٧١١هـ» في معنى الضم: ((هُمَا لُغْتَانِ فِي الْوُسْعِ وَالطَّاقَةِ، فَأَمَّا فِي الْمَشَقَّةِ وَالْغَايَةِ فَالْفَتْحُ لَا غَيْرَ))^(١٨).

أمّا عموم اللفظ فيدلُّ على «الغمّ، والغاية، والكثرة، والأرض المستوية، والمبالغة واستفراغ الوسع»، وقد يأتي بمعنى المشتهم من الطعام، والجهاد مصدر للفعل الثلاثي المزيد «جاهد»، بلحاظ أنّ مصدر هذا الفعل يأتي على وزن «المفاعلة، والفعال»، أي: المجاهدة والجهاد^(١٩). وعلى هذا يكون معنى الجهاد دائراً بين «المشقّة، وبذل الطاقة، والتعب» الذي يتولّد عنهما؛ إذ إنّ الجهاد يدلُّ على تحمّل المشقّة وتحميلها؛ لأنّه من المفاعلة التي تستلزم وجود طرفين مشاركين في حصول الفعل، فحين تقول: «جاهد أو يجاهد» فإنّك تتحدّث عن حمل المشقّة والتعب على الطرف الآخر وكذلك تحمّلها

منه، لكنّ المفاعلة ليست على التساوي_ مثلما هو معروف_؛ ولأنّها كذلك فقد يغلب فيها أحد الطرفين الآخر، ويكون هو الفاعل للفعل والآخر هو المفعول به^(٢٠).

ولا تختلف دلالة المادّة في الثقافة الغربيّة؛ إذ تدلُّ مادة «جهد» في اللغة الفرنسيّة بمعناها العام غير الموجه على الجهد غير الإرادي سواء أكنت تشعر به أم لا^(٢١)، أمّا في معناها الأخص فهي ((فعل يمارسه الكائن الواعي من أجل التغلّب على صعوبة ما))^(٢٢). وغالبًا ما يقوم به الأشخاص المعرّضون للتهديد والفناء^(٢٣).

المبحث الثاني: إشكاليّات مفهوم الجهاد

أولاً: كثرة تعريفاته

لا شكّ في أنّ الماهيّات تنطوي على الصور العقليّة المجرّدة وتطلق_ غالبًا_ على الأمر المتعقّل مثل المتعقّل من الإنسان وهو الحيوان الناطق^(٢٤)، وهذا الأمر ينطبق على أغلب المفاهيم؛ ولك أنّ تأخذ مثلاً مفهوم "الكافر"، إنّه، ماهويّ، من لم يؤمن برسالة النبي محمد ﷺ، وحين يقول الله سبحانه وتعالى في حكمه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]. فإنّ قوله تعالى يدلُّ على أنّ الدعوة لا تنفع مع كلّ كافر ماهويّ، في حين أنّ الكافر الواقعيّ يميل على أنّه أصناف عديدة وأغلبها تنفع معهم الدعوة، وعليه فإنّ الإطلاق في الماهيّة يصطدم بالتنوع الوقائيّ ليتحوّل من الإطلاق إلى النسبيّة، وهكذا حال التبع الدلاليّ لأيّ مصطلح من المصطلحات؛ ينبغي على المحصّل فيه أن ينطلق من الجذر الأساس إلى التركيب الجمليّ فالواقع الاستعماليّ؛ ليتسنى له_ على الأغلب_ فهم التباين أو

التوارد بين المعنى الماهوي والمعنى الوقائي للمصطلح المدروس. وهذا الأمر_ لا محالة_ متحقق في مفهوم الجهاد؛ فالجهاد بالماهية معنى عامٌ مشتمل على البذل والوسع والطاقة، وأضيف له القتال، بعدما توسع بناؤه الدلالي، شريطة أن يكون في سبيل الله؛ إذن فهو مطلق بالماهية، في حين أن له صوراً عديدة وقائعية، ويقع مصطلح «الغزو» في ضمنها؛ فكلُّ غازٍ مجاهد ولا ينعكس، أي إنَّ الغزو إنما يكون في غير بلاد الغازي، والجهاد ليس كذلك؛ لكنَّ الأظهر في الفرق بينهما أنَّ الغرض الأساس في الغزو هو الغنيمة، وإن استلزم ذلك الحرب والمقاتلة، والغرض الأساس من الجهاد هو المحاربة لدفع العدو وقهره، وإن استلزم ذلك تحصيل الغنائم^(٢٥).

قال ابن عرفة في مفهوم الجهاد: ((هو قتال مسلم كافراً غير ذي عهد؛ لإعلاء كلمة الله تعالى، أو حضوره له، أو دخوله أرضه له))^(٢٦). وهذا بلا شكَّ_ حدٌّ منطقي؛ لاشتراكه على حقيقة الجهاد متمثلة بالقتال في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، وحين يشتغل المعرف على الحقائق ينبغي عليه؛ لئلا يقع في الإشكالات، هو والمشتغل معه «المتلقّي»، ((أن يفرغ مفردات مقاصده في قالب سهل من التحديد والشرح، فيحفظ ما يدور في خلد من المعنى في آنية من الألفاظ وافية به لا تفيض عليها جوانبها، لينقله إلى ذهن السامع أو القارئ كما كان مخزوناً في ذهنه بالضبط. وعلى هذا الأساس المتين يُبنى التفكير السليم))^(٢٧). ثمَّ إنَّ ما يؤكد منطقيّة التعريف هو كثرة القيود؛ إذ اشتملت ألفاظه على قيود احترازية، منها لفظ «المسلم»؛ فقد احترز به من غير المسلم، كأن يقاتل الكافر كافراً، ففي هذه الحالة لا يصدق معنى الجهاد على قتالهما، وقوله «غير ذي عهد» أخرج به المعاهد إذا قتله مسلم، وهذا ليس بجهاد، أمّا قوله «لإعلاء كلمة الله» فقيّد احترازي احترز به من القتال لدنيا أو مال أو حمية أو غيرها، فكلُّ هذا ليس بجهاد شرعي^(٢٨).

ولأجل كثرت القيود في مفهوم الجهاد وكثرة ما يُثار عليها من استفهامات منها؛ مفهوم العهد، علامَ يصدق؟ أيصدق على جميع أقسام العهد، أم هناك أقسام محدّدة يصدق عليها؟ ثمَّ إنَّ من أصول القتال في اللغة «المفاعلة»، فهل هي المقصودة هنا أم غيرها؟ وبعدهُ؛ لما اختصر العلة في إعلاء كلمة الله تعالى، ولم يأتِ بعلّة غيرها أو أخصَّ منها؟ إنَّ مثل هذه الاستفهامات أدّتْ بطبيعة الحالِ إلى كثرة تعريفات الجهاد بكثرة من تناوله تعريفًا وشرحًا وتطبيقًا، والتزامًا بشروط التعريف المنطقيّة من الحدِّ والرسم التامين أو الناقصين، وليبيان تلك الكثرة أذكر بعضًا من التعريفات (٢٩):

ت	التعريف	صاحب التعريف	مذهبه	المصدر
	”جهاد كلِّ من الكفَّار والمحاربين من الفسّاق“	أبو الصلاح الحلبيّ	إماميّ	الكافيّ في الفقه
	”بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله بالنفس والمال واللسان... أو المبالغة في ذلك“	الكاسانيّ	حنفيّ	بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع
	”المبالغة في إتعب النفس في ذات الله وإعلاء كلمته“	ابن رشد	مالكيّ	المقدمات الممهّدة
	”القتال في سبيل الله لإقامة الدين“	الباجوريّ	شافعيّ	حاشية الباجوري على شرح ابن القاسم الغريّ
	”قتل الكفَّار“	البهوتيّ	حنبليّ	كشاف القناع

ثانيًا: الطابع الأيديولوجي في التعريف

أخذت كلمة مصطلح من التصالح؛ ففي اللغة يقولون: تصالح القوم؛ إذا زال ما بينهم من خلاف، واصطلحوا على الأمر تعارفوا عليه واتفقوا؛ والمعجم الوسيط يؤكد هذا المعنى بأن ((الاصطلاح مصدر اصطلح وهو اتَّفَق طائفة على شيءٍ مخصوص ولكلِّ علم اصطلاحاته))^(٣٠). وما نظريَّة المواضعة والاصطلاح في اللغة إلاَّ مصداق لهذا المفهوم اللغويِّ.

إنَّ الطابع الإيديولوجي الذاتي لصاحب التعريف سببٌ من أسباب تعدُّد التعريفات للمفهوم الواحد واستشكال مصاديقه، وأنَّ التعريف_خصوصًا_ هو عمل شخصي بالنسبة لصاحبه، أي أنَّ التعريف الذي يتبناه ينبغي أن ينشأ بوصفه تعريفه الذي وظَّف فيه معرفته الخاصَّة التي، وإن كانت تنزع إلى نحو ما هو كوني، إلاَّ أنَّها يجب أن تبقى نتيجة لتحصيله الشخصي، وأن يكون باستطاعته تبريرها، من بدايتها وأثناء كلِّ مرحلة من مراحلها، من دون أن يغفل حدوسه المطلقة^(٣١).

والظاهر أنَّ هذا الأمر منطبق على مفهوم الجهاد حيث تبدو عمليَّة إنتاج تعريفه مرتبطة بشخصيَّة صاحبها، وبالنتيجة فإنَّه من الطبيعي ألاَّ يكون محصول الممارسة الجهاديَّة متساويًا في تاريخ استعمالها، بل نتائج متعدِّدة بتعدُّد مبدعيها وميولهم، أو قل: متناقضة بتناقض وجهات نظرهم، ولذا يمكن القول: إنَّ متصدِّي الطوائف الإسلاميَّة الذين تبَّئوا مجموعة من التعريفات لمفهوم الجهاد لم يختلفوا في تحديد المفهوم بما هو هو؛ بل أنتجوا طرائق جهاديَّة مختلفة.

والحقيقة أنَّ ما كان مفهومًا في ذهن المبدع قد تحوَّل إلى نصِّ يستقبله المتلقِّي وليس بالضرورة أن يكون فهم المتلقِّي مطابقًا تمامًا لما كان يقصده المبدع، أي إنَّ سوء استعمال المصطلح قد لا يكون بسبب من وضع له تعريفًا؛ بل بسبب

الاستقبال المغلوط المؤدلج للنص؛ لأنَّ ((دَلَالَةُ النُّصُوصِ نَوْعَانِ: حَقِيقِيَّةٌ، وَإِضَافِيَّةٌ، فَالْحَقِيقِيَّةُ تَابِعَةٌ لِقَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ وَإِرَادَتِهِ، وَهَذِهِ الدَّلَالَةُ لَا تُخْتَلَفُ، وَالْإِضَافِيَّةُ تَابِعَةٌ لِفَهْمِ السَّمَاعِ وَإِدْرَاكِهِ، وَجُودَةُ فِكْرِهِ وَقَرِيحَتِهِ، وَصَفَاءِ ذَهْنِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ بِالْأَلْفَافِ وَمَرَاتِبِهَا، وَهَذِهِ الدَّلَالَةُ تُخْتَلَفُ اخْتِلَافًا مُتَبَايِنًا بِحَسَبِ تَبَايُنِ السَّمَاعِيِّينَ فِي ذَلِكَ))^(٣٢).

ثالثاً: الحاجة إلى منهج دقيق في دراسته

إنَّ التكرار والتشابه في التعريفات عرض من أعراض الضعف في المنظومة الاصطلاحية، ربَّما كان سببه اتساع المفهوم على مصاديق عديدة تسمح باستباق التخصصات في جذب المفهوم إلى جهتها، ولا سيما إذا كان المفهوم متمتعاً بمقبولية عالية في الأوساط العلمية، والاختبار الناجح في المساعدة على التخلص من هذه الظاهرة أو الحد منها بتحديد الفارق بين التعريفات؛ هو الفحص الإستمولوجي والحد المنطقي الذي يضع الأمور في نصابها الصحيح؛ ذلك أنَّ التشابه في التعريفات يجعل المفاهيم متشابهة مثلما يجعل الليل الألوان متشابهة، كلُّها لون واحد.

ولما كان المنهج منطبقاً على مفهوم المنطق، في اصطلاح ديكرات؛ إذ يعني _أقصد المنهج_ ((جملة قواعد يقينية سهلة تعصم كلَّ من يراعيها بصرامة، من حمل الخطأ محمل الصواب، فيتوصَّل إلى معرفة ما هو أهل لمعرفته، بتنمية علمه بكيفية متدرجة متواصلة دون أن يهدر أيَّ جهد ذهني))^(٣٣)؛ إذ إنَّ الشقَّ الأوَّل من هذا التعريف، قواعد تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ، وذلك هو المنطق، أمَّا شقُّه الثاني، فهو نتيجة بدهية حتمية لمراعاة تلك القواعد، وتزداد بدهية تلك القواعد وحتميتها عند اقتصار الفكر على موضوعات ينبغي أن يكون قادراً على اكتساب معرفتها اكتساباً يقينياً لا يخالجه شك.

ولما كان المنهج الصحيح هو المنهج المستوي منطقياً فإنَّ المنهج

الإبستمولوجي هو الأنجع في معالجة أي مفهوم من المفاهيم، ولا سيّما المفهوم موضع الدراسة «الجهاد»؛ لأنّ الإبستمولوجيا تعطي مساحة لا تعطى غيرها في دراسة المفاهيم - حصراً؛ فيها وحدها تستطيع محاكمة منطقيّة المفهوم؛ إذ تفرض ربط المفهوم بأصله المنطقي، ولما كان المنطق والمفهوم كلاهما أساساً في بابه؛ بلحاظ أنّ المنطق أساس الفهم الصحيح، والمفهوم أساس أبنية العلوم، فلا تستطيع فهم كنه الشيء ما لم تقف على مفهومه وموضوعه وغايته، ولما كان كل ذلك صار لزاماً دراسة المفاهيم بالقيّد الإبستمولوجي أوجب وحظوظه بالنجاح أوفر.

إنّ المنهج الإبستمولوجي إجراءً يتضمّن مجموعة من الآليات والأدوات تستعمل لفحص المفهوم واختباره ومن ثمّ تقويمه، ويتعامل مع المتغيّرات التي تشكّل الظواهر، ويكوّنها ويؤثر فيها دون أن يحدّد المستقل فيها من التابع^(٣٤).

المبحث الثالث: مفهوم الجهاد في نصّ فتوى السيد علي السيستاني

أولاً: العمق القرآني في المفهوم

ذكر القرآن الكريم مادّة الجهاد في «٤١» إحدى وأربعين مرّة، وقد توزّعت بين الاسميّة والفعليّة؛ إذ جاءت على وزن الاسم في «١٤» أربع عشرة مرة، وعلى وزن الفعل في «٢٧» سبع وعشرين مرّة؛ ولعلّ في ذلك دلالة على تنقل مفهوم الجهاد بين مختلف الدلالات وعدم ثبوته على دلالة واحدة؛ إذ إنّ الغالب في الفعل أنّه يدلُّ على التحوّل والتغيّر، وهذه الصفة غير موجودة في الاسم؛ لأنّه يدلُّ على الثبات؛ والأمر نفسه ينطبق على الجمل التي تبدأ بالفعل وتسمّى فعليّة؛ فإنّها تدلُّ على التحوّل والحركة، في حين تدلُّ الاسميّة التي تبدأ باسم على الثبات والمداومة.

إذن فدلالة مفهوم الجهاد على التحوّل والتبدّل أصل قرآني بقرينة وروده

بصفة الفعل أكثر من وروده بصفة الاسم، وما يدعم هذا الرأي أن هذه المادة جاءت بمعنى الجهاد بالقول في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]. ويُسمى هذا النوع من الجهاد بـ «الجهاد بالحجة والبرهان». وبمعنى الجهاد بالقتال في قوله تعالى: ﴿إِيسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥]. ويُسمى هذا النوع من الجهاد بـ «الجهاد بالسيف». وبمعنى الجهاد بالعمل الصالح في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]. ويُسمى هذا النوع من الجهاد بـ «جهاد النفس»^(٣٥).

والجدير بالذكر أن ورود هذه المادة قد توزع أيضا بين المكّي والمدني، بلحاظ أن المفهوم لم يأت في الآيات المكيّة بمعنى القتال المسلح أبداً؛ في حين أن أغلب الآيات المدنيّة كانت الدلالة على القتال المسلح فيها واضحة، وبعضها راجحة الدلالة بهذا المعنى، وكل ما تقدّم يدل على أن مفهوم الجهاد يعود في أصله ومضمونه إلى الجهاز الاصطلاحي القرآني، وأنه ابتكار قرآني، ويسند هذا التصوّر قول ابن عاشور «١٣٩٣ هـ» في أن «(الْجِهَادُ وَالْمُجَاهِدَةُ مِنَ الْمُصْطَلَحَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ)»^(٣٦).

ثانياً: تناصت قرآنيّة وروائيّة في مفهوم الجهاد

هناك إشارة قرآنيّة لطيفة في قول الإمام علي عليه السلام في الجهاد بأنه «(بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسِ التَّقْوَى، وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ، وَجَنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثُوبَ الذُّلِّ، وَشَمَلَهُ الْبَلَاءُ، وَدَيَّتْ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءَةِ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ "الْأَسْدَادِ"، وَأَدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ، وَسِيمِ الْخُسْفِ، وَمُنِعَ النَّصْفُ...»^(٣٧). وهذه الإشارة

تُشعر بأنَّ الجهاد يتمثَّل في معنى من المعاني القرآنيَّة التي ذكرها الإمام الحسين عليه السلام في قوله: ((كتاب الله عزَّ وجلَّ على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء))^(٣٨). وفي هذا المعنى قال الزركشي: ((فالعبارات للعموم وهي للسمع، والإشارات للخصوص وهي للعقل، واللطائف للأولياء وهي للمشاهد، والحقائق للأنبياء وهي الاستسلام))^(٣٩).

إذن فهو أحد المعاني التي خصَّ الله تعالى به عقلاء القوم الذين يعملون عقولهم في الخطاب القرآني ويستوعبون ما فيه من تكثيف دلالي؛ إنَّ النظر إلى الجهاد بوصفه معنًى قرآنيًّا لا يفهمه إلاَّ الخواص من البشر، فيه دلالة على العمق القداسي لهذا المفهوم في قبال المفاهيم الأخرى كالصلاة والصيام والحجَّ والزكاة؛ إذ ذُكرت هذه الأخيرة صراحة ولا تحتاج إلى فضل تأمُّلٍ في اكتشافها والوقوف على مطالبها.

وما يظهر العمق المعرفي لهذا المفهوم أيضًا هو أنَّ البتَّ فيه من صلاحيَّات الأنبياء والأوصياء والصالحين، هم وحدهم القادرون على التصريح بوجوبه بعد اجتماع الأدلَّة والحجج الموجبة لذلك التصريح؛ فالإنسان لا يحتاج في صلاته أو صيامه إلى فتوى عينيَّة أو كفائيَّة، وبالمقابل لا يستطيع أن يتمثَّل الجهاد من دون تلك الفتوى؛ ولعلَّ السبب في ذلك هو أنَّ هناك نتيجتين للجهاد لا ثالث لهما؛ فإمَّا النصر أو الشهادة، مع ما للنتيجة الثانية من أثر بالغ في نفس الإنسان المحبَّ للدين.

ثالثًا: التحليل الإستمولوجي للفتوى

١: نصُّ فتوى الجهاد الكفائي ١٤ / شعبان / ١٤٣٥ هـ - ١٣ / ٦ / ٢٠١٤ م ((إنَّ طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق وشعبه في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن هذا الوطن وأهله وأعراض مواطنيه، وهذا الدفاع واجبٌ على المواطنين

بالوجوب الكفائي. بمعنى أنه إذا تصدَّى له من هم الكفاية بحيث يتحقق الغرض؛ وهو حفظ العراق وشعبه ومقدساته يسقط عن الباقيين... ومن هنا فإنَّ على المواطنين الذين يتمكّنون من حمل السلاح ومقاتلة الإرهابيين دفاعاً عن بلدهم وشعبهم ومقدّساتهم، عليهم التطوُّع للانخراط في القوات الأمنيّة لتحقيق هذا الغرض المقدّس... وفي الوقت الذي تؤكد فيه المرجعية الدينيّة العليا دعمها وإسنادها لكم فإنّها تحثُّكم على التحليّ بالشجاعة والبراعة والثبات والصبر وتؤكد على أن من يضحيّ بنفسه منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأهله وأعراضهم فإنّه يكون شهيداً إن شاء الله تعالى»^(٤٠).

يظهر في خطاب المرجعية أنّ المعنى المقصود من الجهاد هو القتال ولكن بطبيعة دفاعيّة؛ إذ لا يوجد في النصّ ما يشير إلى غير هذا المعنى؛ والجهاد بهذا المعنى يستلزم لغويّاً وجود طرفين نقيضين؛ يقف كلُّ واحد منهما بالجهة المعاكسة للآخر، ويبذل ما في وسعه لدرء خطر مقابله، أو التغلب عليه، بلحاظ أنّ الجهد المبذول هنا مرتبط بحجم الطرف المضاد، وعلى وفق قوّة النقيض يكون اختيار الطريقة الملائمة في الجهاد ضدّه^(٤١)، وعلى هذا الوفاق يعزى سبب كون الفتوى كفايّة يقوم بها مجموعة وتسقط عن مجموعة أخرى، وهو ليس استصغاراً من السيد السيستاني بالمجموعات الإرهابيّة بقدر ما هو منح الشيء حقّه من دون الإفراط، لكنّ لهذا المفهوم الكفائي القتالي مدخلاً إلى معنى آخر يمثل إضافة معرفيّة تنقل المصطلح من معنى القتال إلى معنى الحركة، وهو تغيير استراتيجي في دلالة المفهوم؛ يربطه بالحركة ويصيرُه وسيلة للتغيير في المسار السياسي للبلد، وقد تحقّق هذا المعنى فعلاً في ثورة الشباب الشريفي لاحقاً.

وبذلك تكون فتوى الجهاد الكفائي موجّهة إلى معنيين اثنين؛ أحدهما، المعنى الداخلي المتمثّل في بذل الجهد من أجل إيصال الإنسان إلى ذاته وإلى

ربّه، بدلالة ورود لفظ «المقدّس» في النصّ، وما يحيل عليه هذا اللفظ من إشارات إلى المقدّس الأعلى «الذات الإلهيّة». والمعنى الآخر خارجي يتمثّل في بذل الجهد من أجل إيصال الآخرين إلى ذواتهم وإلى ربّهم^(٤٢)، بدلالة ورود عبارة «وتؤكد على أنّ من يضحي بنفسه منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأهله وأعراضهم فإنه يكون شهيداً إن شاء الله تعالى».

٢: فتوى الجهاد الكفائي مقولة تاريخيّة

البعد التاريخي مقدّمة لا غنى عنها في بناء المفاهيم وسيرورتها؛ لأنّ التاريخ إذا ما دُرِسَ بشكل ملائم، وعلى وفق شروط البحث في التاريخ الموضوعي للمفهوم، فإنّه سيزيد من حظوظ الاكتشافات، ومن أولى الاكتشافات اكتشاف أسس التفكير العلمي وأتجاهاته، إنّه المقدّمة الطبيعيّة لفلسفة المفهوم^(٤٣)؛ لذا فإنّ باشلار^(٤٤) يؤكّد السيرة الضروريّة للمفهوم؛ عند ربط ماضيه بتحليل حالته الحاضرة؛ لأنّ نسق المفهوم الحالي لا بدّ من أن تعقبه معرفة يقظة بتاريخه؛ فليس هناك تاريخ إلا وهو إبستمولوجي، وعكسيّاً ليس ثمة إبستمولوجيا إلا وهي مرتبطة باللحظة العقليّة لمفهوم ما، إنّ باشلار يتحدّث عن التاريخ الإبستمولوجي كما يتحدّث عن الإبستمولوجيا التاريخيّة؛ بهدف تأسيس فلسفة تعكس التقدّم العلمي، وتكون ملائمة في شكلها للتطوّر الحاصل في العلوم؛ لذلك فإنّ مهمة الإبستمولوجي هي التموّج في منتصف الطريق بين العمل العلمي والعمل الفلسفي؛ ما يساعد في تكوين الوعي الذاتي^(٤٥).

هناك فرق في المنهج، والمادة، والغاية، بين المؤرّخ والإبستمولوجي؛ فالمؤرّخ منهجه استقرائي تهيمن عليه الوصفيّة، ويستمد من الجزئيّات البسيطة بناء قواعده الكلّيّة، أمّا مادّته فهي الحدث التاريخي نفسه مجرداً من وعيه وقبليّاته، وغايته تصوير الأحداث وتسلسلها مثلما هي، إنّه يقوم بنقل المادّة التاريخيّة من جيلها إلى جيله وحسب، في حين الإبستمولوجي منهجه

نقدِي استنباطي تهيمن عليه العقلانيّة، يعتمد القواعد التي تفضي إلى نتائج صادقة؛ لأنّها تقوم على مقدّمات صادقة، أمّا مادّته فهي المعرفة؛ يبحث فيها عن القطاعات والعوائق التي تمنع حدوثها، وغايتها اكتشاف العناصر التي عملت على تكوين تلك المعرفة، وتحديد القطاعات الأخرى التي عملت على تجديد بنيتها الفكرية، أو العوائق التي عطّلت تطوّرها^(٤٦).

من المنظور التاريخي لا يوجد ذكر لمفهوم الجهاد في الآثار الجاهليّة قبل الدعوة الإسلاميّة ونزول القرآن الكريم، وقد تقدّم القول إنّ ابتكار قرآني، فعلى الرغم من أنّ المفهوم مأخوذ من الجذر اللغوي العربي «ج، ه، د»، إلّا أنّه ولد في النصّ القرآني وتبلور بنزوله، وكان معناه مرتباً تماماً بالتوحيد، ولا غلو بعد ذلك في القول: إنّ مفهوم الجهاد شرّع في القرآن الكريم من أجل التوحيد ليس إلّا، ثمّ انتقل مفهوم الجهاد من الخطاب القرآني إلى السياق التداولي في عصر الرسالة؛ إذ أخذ مفهوم الجهاد حيّزاً واسعاً في الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ، فقد ورد مفهوم الجهاد عامّاً بوصفه باباً من أبواب الجّهة، وورد بمعناه غير القتالي؛ إذ وصف الرسول محمد ﷺ الحجّ بأنّه أفضل الجّهة؛ ويظهر أنّ هناك ملازمة بين المفهومين في الخطاب القرآني والحديث الشريف؛ لأنّ الحجّ توحيد صريح، وورد أيضاً بمعناه القتالي الذي امتدّ إلى عصر ما بعد النبي ﷺ، فأخذ الفقهاء مفهوم الجهاد القتالي وعمّموه على المفهوم إلى الحدّ الذي أصبح فيه مفهوم الجهاد مطابقاً لمصطلح القتال تماماً، إلّا أنّ المفهوم قد اختزل في الفكر الصوفي وصار يدلُّ فقط على حمل النفس على المشقّة البدنيّة، ومخالفة الهوى على كلّ حال؛ وأصبحت المجاهدة تعني تحميل المشقّة على النفس وتشذيبها من الرذائل وتحليلتها بالفضائل بمخالفة الهوى، وبذا تكون مستعدّة للتقلّب في الأحوال، فتترقّى في المقامات؛ كي تكمل الطريقة وتصل إلى الحقيقة^(٤٧).

واللافت للنظر حقاً هو أن مفهوم الجهاد تعرّض لقطيعة إستمولوجية؛ إذ أصابه تحوّل في سياقنا الحالي، فبينما كان يدلُّ في سياقاته السابقة على القتال من أجل إعلاء كلمة التوحيد، أو مجاهدة النفس بإبعادها عن الهوى، أصبح مرجوحاً اليوم بين فكرين سائدين ومتداولين في الوسط الحالي هما «المفكر الإصلاحي، والمفكر الحركي»؛ وعلى الرغم من أن الجهاد يعني «القتال» عند الطرفين، إلا أن غايته مختلفة بينهما؛ ففي الوقت الذي أراد فيه المفكر الإصلاحي، ومن بعده التجديدي، فهم الجهاد بمعنى القتال ودفعه إلى القتال من أجل الدفاع فقط، في ذلك الوقت نفسه أراد المفكر الحركي جعل الجهاد، الذي هو بمعنى القتال، لصيقاً بحراكه السياسي والعقدي من أجل إحداث التغيير الذي يراه صواباً في العالم، أي أن المفكر الحركي قد أخرج الجهاد من سياقه الفقهي أو الصوفي، أو ربّما من سياقه في النصّ المؤسّس أيضاً، وأدخله في منظومة المفاهيم السياسيّة والعقدية^(٤٨).

٣: فتوى الجهاد الكفائي بوصفها نموذجاً إرشادياً

تقدّم القول إن الباحث سيسير على وفق تعريف الإستمولوجيا المتفق عليه بين الإستمولوجيين، مع الإشارة إلى قراءة نصّ الفتوى الكفائية في ضوء بعض الإبتسيات النقدية، وتصديقاً لهذا المسار ظهرت فكرة الأنموذج الإرشادي؛ وهي من الأفكار التي طرحها «توماس كون^(٤٩)» في الإستمولوجيا الاجتماعية.

مدار فكرة الأنموذج الإرشادي أو الإطار الفكري عند كون هو تلك المفاهيم المعتمدة بوصفها نموذجاً عند مجتمع من الباحثين العلميين في عصر معين، فضلاً على طرق الظواهر المميّزة التي تحدّد المشكلات الاجتماعية وتعين على حلّها، وكذلك أساليب فهم الوقائع التجريبية في مجتمع ما^(٥٠). ومعيار كونها أنموذجاً إرشادياً أنها أفضل من كل منافساتها، مع ملاحظة تأكيد

توماس كون على الطبيعة الجمعيّة للنشاط الفكري، وتبنيّه فكرة أنّ العالم بمفرده لا يمكن عدّه ذاتاً كافية للنشاطات الفكرية في عصر معين، ورفضه فكرة أنّ النماذج الإرشادية قياسية؛ إذ ثمة قطعة إستمولوجية بين المفاهيم النظرية الرئيسة المختلفة؛ أي إنّ النماذج الإرشادية الجديدة ليست نتيجة منطقيّة أو تجريبيّة للنماذج الإرشادية السابقة عليها، إنّها إذن ليست معياراً لما يلحقها، ورفضه أيضاً فكرة الحقائق المطلقة؛ فهو كغيره من الإستمولوجيين التجديدين يؤمن بنسبية الحقيقة؛ إنّهُ لا يؤمن بالحقيقة المطلقة، بل بنسبيّتها^(٥١).

إنّ كلّ ما قيل في أطروحة النماذج الإرشادية المتعلقة بالعلوم أو النظريات يمكن أن ينسحب إلى فتوى الجهاد الكفائي بوصفها مقولة تاريخية اكتسبت قيمتها المعرفية عن طريق تطبيقاتها العملية على أرض الواقع، فهي وإن كانت ليست مقولة علمية إلا أنّها أصبحت أنموذجاً إرشادياً بما تمخض عنها من قوّة ذات كفاءة قتاليّة وتنظيمية وإدارية عالية؛ وهي القوّة المتمثلة بالحشد الشعبي المقدّس؛ لذا يمكن القول إنّ الفتوى صارت أنموذجاً إرشادياً لأسباب، منها:

- ١- ولدت قوّة عالية الكفاءة والتنظيم متمثلة بالحشد الشعبي المقدّس.
- ٢- أنتجت جيلاً واعياً بمطالبه عارفاً بحقوقه لا يسكت على الضيم، ولا يرضخ لمختلف الضغوطات والتهديدات، أي إنّها ولدت قاعدة صلبة مهياة للتغيير إذا ما قيّض الله تعالى لها قيادة واعية ومسدّدة، تلتزمها وتنظّم مطالبها وآليات المطالبة بها.
- ٣- فتحت الباب المعرفي لمختلف النشاطات الفكرية والمعرفية، ولعلّ هذا المؤتمر من مخرجات الأنموذج الإرشادي الذي نحن بصددّه، فضلاً عن الحركات التأليفية المنبثقة عن الفتوى المباركة.

الخاتمة

ترتبط اللغة بالفكر ارتباطاً وثيقاً، ولا سيّما اللغة العربيّة؛ لما تنطوي عليه من ثراءٍ دلاليٍّ ووفرة اصطلاحيةٍ تمنحها القدرة على الإيفاء بكلّ متطلبات الفكر، فضلاً على الارتباط الحديث بينها وبين علم النفس المعرفي؛ دلّت عليه الدراسات الحديثة والاكتشافات المختبريّة.

وبعد استعمال اللغة في محاوره مفهوم الجهاد وتمثلاته في فتوى السيد علي الحسيني السيستاني ظهر أنّ مناقشة مسألة المفاهيم وعرضها على مصاديقها تخضع لعوامل عديدة، ولا سيّما مسألة جدّة المفهوم وقدمه؛ فهي لا تقتصر على الخلفيّة المعرفيّة لكلّ من الباحث والمتلقّي، لا تقتصر على هذا الأمر فحسب؛ لأنّ القديم قد يُصبح جديداً إذا كُثر تداوله، والعكس صحيح؛ إذ يُصبح الجديد قديماً إذا ما هُجر، وكذلك البحث في مفهوم قد بُحث من قبل؛ فقد لا تكون الجدّة فيه متعلّقة بالمضمون، بل بطريقة عرض ذلك المضمون، فيكون الإبداع متجليّاً في إعادة عرضه بحلّة جديدة حسنة، وهكذا فعل فلاسفة اللسانيّات الجديدة؛ إذ عمدوا إلى المفاهيم القديمة، أو قل: البدهيّة عند العرب المتقدّمين. عمدوا إليها وجعلوها في نسقٍ نظريٍّ فلسفيٍّ يمكن تطبيقه في مجمل الأنساق الجمليّة والنصيّة والخطابيّة، وهذه هي الجدّة التي لا تعني إلغاء القديم، بل إعادة عرضه بأليّات مختلفة.

إنّ النصّ الذي تضمّن فتوى الجهاد الكفائي لم يكن قطّ مختلفاً عن النصوص الأخرى، ولكنّه كان واجباً؛ بدليل انطوائه على مجموعة من الألفاظ، دلّت على وجوبه، منها: «تقتضي، واجب، بالوجوب الكفائي، على المواطنين، عليهم التطوّع، التحليّ، الثبات، الصبر، تأكيد نيل مرتبة الشهادة في حال أن قضى المقاتل»، واللافت للنظر أنّ هناك تأكيدين بحرف الجرّ «على»؛ إذ جاء النصّ بعبارة «على المواطنين» وأردفها بعبارة «على المواطنين» مرّة ثانية، ثم

أَكَّدَهَا ب) عَلَيْهِم»، فضلاً على السبك النصي المتحقق في النصّ بسبب ترادف التأكيدات ومنحه سمة النصيّة؛ إذ تحقّق السبك بالعنصر الإحالي "الهاء" في "عليهم" العائد على العنصر الإشاري «المواطنين»، وهذه إحالة ضميريّة تحقّق نصيّة النصّ، فضلاً على ذلك كلّه تجد فيه دلالة مكثّفة على فضل هذا الشيء «الجهاد».

ثمّ إنّ هناك تسلسلاً منطقيّاً في التأكيدات يميل على توعية هادئة لبناء إنسان واع مدرك لحقوق الله تعالى وحقوقه، وعلى الرغم من تنوع الألفاظ الدالة على تأكيد مسألة الجهاد وخطورتها في وقتها إلّا أنّها بقيت في حقل واحد، وهو «الوجوب»؛ هدفها أن تلبّي لكلّ قارئ ما يريد وتجعله مدركاً لمكامن الخطر المحدق به من تحريف أو تأويل؛ إنّ هذه الألفاظ كلّها جاءت من أجل قطع الطريق أمام التأويل الخاطيء أو المؤدّج.

وهناك نكتة أخرى في مسألة التأكيد في النصّ، وهي تأكيد الفعل بالمفعول المطلق، بلحاظ أنّ التأكيد بالمفعول المطلق من أقوى أنواع التأكيد؛ إذ قال: «واجبة بالوجوب المطلق»، ف«الباء» حرف جرّ زائد و«وجوب» مفعول مطلق منصوب بفتحة مقدّرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الحرف الزائد. أمّا ما يتعلّق بجذر مفهوم الجهاد فالظاهر أنّ هناك أثراً واضحاً للحركات في بناء دلالاته؛ إذ يدلّ بضمّ أوّله وسكون الوسط على الطاقة، ويدلّ بفتح أوّله وسكون وسطه على المشقّة، وبضمّ دالّتي الحركتين يكون المعنى دائراً بين الطاقة والمشقّة، والحال أنّ إحداهما مقدّمة طبيعيّة للأخرى؛ فلولا وجود الطاقة لكانت المشقّة سالبة بانتفاء موضوعها، أي أنّ المشقّة تقتضي وجود طاقة وتنعدم بانعدامها، وعليه فإنّ الجهاد يتمثّل في المسافة الواقعة بين هذين المفهومين، يبدأ بأحدهما وينتهي بالآخر عند تحقّق الغرض.

1-<https://www.noonpost.com/content/25237>.

٢- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: ١ / ١٥٩.

٣- آداب الشافعي ومناقبه، الرازي: ١ / ١١٢، وينظر: مناقب الشافعي للبيهقي، البيهقي: ٥٣ / ٢.

٤- يُنظر:

<https://www.maqola.net/quote/4267>.

٥- يُنظر: www.sistani.org، وفتوى المرجعية من تحريم التنبأ إلى الجهاد الكفائي مقاربات تاريخية وتحليل النتائج والمعطيات، د. صباح مهدي رميض، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، العدد العشرون، ٢٠١٧م: ١٤٣.

٦- يُنظر: عندما نتواصل نغير «مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير: «هامش» ٣٤.

٧- المقولات هو جمع مقولة التي هي أنواع الدلالات في القول؛ بوصفها أجناساً عالية تحيط بالمحمولات الرئيسة التي يمكن إسنادها إلى كل موضوع، وعددها عند أرسطو عشرة؛ «جوهر وتسعة أعراض»، «الإضافة، والكم، والكيف، والمكان، والزمان، والوضع، والملك، والفعل، والأفعال»: يُنظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا: ٢ / ٤١٠.

٨- مقولات الفكر ومقولات اللغة، إميل بنفنيست، ترجمة وتقديم: عبد الكريم الشقاوي،

http://www.aljabriabed.net/n16_10charkawi.htm

٩- المعجم الفلسفي، جميل صليبا: ٢ / ٤١٠ - ٤١١.

١٠- يُنظر: الذاتية في اللغة، إميل بنفنيست: ٦٢.

١١- يُنظر: المنطق للشيخ المظفر: ١ / ٧٨ - ٧٩، ومفهوم الإبستمولوجيا ومدياتها "دراسة لسانية في ضوء علم المصطلح"، م. د. حيدر عواد رفيح، مجلة آداب ذي قار، العدد ٤٠، المجلد الأول: ٢٢.

*يقوم النقد التحليلي بتشريح المفاهيم على وفق المعطيات المتوافرة؛ من أجل الوصول إلى الفوائد والإيجابيات، بلحاظ أن النقد هنا لا يقتصر على فحص المفاهيم والحفر في سلسلة أخطائها ومحاوله تصحيحها وتسويتها كما هو حال الإبستمولوجيا عند "كارل بوبر"؛ فهذا النوع من النقد تقتضيه دراسة العلوم أكثر من المفاهيم، أمّا المفاهيم فيكون النقد فيها بتقويمها إذا كانت صحيحة وبيان مكامن القوة فيها وانطباقها أو عدم انطباقها على مصاديقها، والعكس صحيح عندما تكون غير صحيحة.

١٢- موسوعة لالاند الفلسفية: ١ / ٣٥٧.

- ١٣- يُنظر: التطور المعرفي عند جان بياجه، موريس شربل: ٨١.
- ١٤- المعرفة والسلطة: ١٩.
- ١٥- مفهوم الإستيمولوجيا ومدياتها "دراسة لسانيّة في ضوء علم المصطلح": ٢٤.
- ١٦- يُنظر: المستصفي، الغزالي: ٣٤٢، والاشتراطات الزمنيّة وأثرها في مفهوم الجهاد/ قراءة في المضمون والدلالة والواقع، د. حيدر شوكان سعيد، جامعة بابل، كلية العلوم الإسلامية، حويّلة المنتدى، المجلد الأول، العدد الخامس والأربعون، ٢٠٢١: ٤٣.
- ١٧- يُنظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي: ١ / ٥٩٨.
- ١٨- لسان العرب، «جهد»: ٣ / ١٣٣.
- ١٩- يُنظر: كتاب العين: ٣ / ٣٨٦، وجمهرة اللغة لابن دريد "٣٢١هـ": ١ / ٤٥٢، وتهذيب اللغة للأزهري "٣٧٠هـ" "جهد": ٦ / ٢٦ - ٢٧، والصحاح تاج اللغة وحصاح العربية للجوهري "٣٩٣هـ" "جهد": ٢ / ٤٦٠ - ٤٦١، ومقاييس اللغة لابن فارس "٣٩٥هـ" "جهد": ١ / ٤٨٦ - ٤٨٧، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده "٤٥٨هـ" "جهد": ٤ / ١٥٣ - ١٥٤، ولسان العرب "جهد": ٣ / ١٣٣، والمعجم الوسيط "جهد": ١ / ١٤٢، ومعجم اللغة العربية المعاصرة "جهد": ١ / ٤١٠ - ٤١١.
- ٢٠- يُنظر: حقيقة الجهاد في الإسلام، د. محمد نعيم ياسين، الطبعة الأولى، دار الأرقم للنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م: ٣١ - ٣٢.
- ٢١- يُنظر: المعجم الفلسفي، مراد وهبه: ٢٥٣.
- ٢٢- المصدر نفسه: ٢٥٣.
- ٢٣- يُنظر: عولمة الإسلام، أوليفيه روا: ١٠٥.
- ٢٤- يُنظر: كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني: ١٩٥، والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي: ٨٦٣.
- ٢٥- يُنظر: معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ٣٨٤.
- ٢٦- شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، أبو عبد الله محمد الأنصاري الرصاع: ١ / ٢٢٠.
- ٢٧- منطوق المظفر: ١ / ٧٩.
- ٢٨- يُنظر: شرح حدود ابن عرفة: ١ / ٢٢٠.
- ٢٩- الكافي في الفقه: ٢٣٨، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: ٧ / ٩٧، والمقدمات الممهدة لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية لأمهات مسائلها المشكلات: ١ / ٢٥٩، وحاشية الباجوري على شرح ابن القاسم الغربي: ٢ / ٢٦١، وكشاف القناع: ٣ / ٣٢، ويُنظر: الجهاد في الفكر الإسلامي دراسة في المفهوم والآداب والإشكاليات،

م.م. مروان علي حسين، م.د. محمد كاظم حسين، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، العدد التاسع عشر، ٢٠١٦م: ٤٦٧.

٣٠- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد علي النجار: ١ / ٥٢٠.

٣١- يُنظر: تأملات ديكرتية أو المدخل إلى الفينومينولوجيا، آدموند هوسرل: ٥٥.

٣٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية: ١ / ٢٦٤.

٣٣- قواعد لتوجيه الفكر، رونيه ديكرت: ٤٠، ويُنظر: مقال عن المنهج: ١٤١.

٣٤- يُنظر: إبستمولوجيا السياسة المقارنة النموذج المعرفي في النظرية والمنهج، د. نصر محمد عارف: ٧٠- ٧١.

٣٥- يُنظر:

<https://www.islamweb.net/ar/article/174157>

٣٦- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد بن عاشور: ٢ / ٣٣٧، ويُنظر: الاشتراطات الزمنية وأثرها في مفهوم الجهاد/ قراءة في المضمون والدلالة والواقع: ٤٦.

٣٧- شرح نهج البلاغة، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني: ١ / ٣٩٧.

٣٨- بحار الأنوار: ٢٠ / ١٩٠.

٣٩- البرهان في علوم القرآن: ٤١٩.

40- <https://aliraqnet.net>.

٤١- يُنظر: تطور مفهوم الجهاد دراسة في الفكر الإسلامي المعاصر، محمود محمد أحمد: ٤٧.

٤٢- الجهاد وحقيقته في الإسلام، محمد فتح الله كولن: ٢١.

٤٣- يُنظر: مدخل إلى فلسفة العلوم: ٤٠.

٤٤- فيلسوف فرنسي درس المعرفة ونظر للخيال العلمي، صاحب الإبستمولوجيا التاريخية، أكد كثيراً أهمية الإبستمولوجيا في دراسة العلوم والمفاهيم؛ إذ لو كان العلماء فهم متقوص تاريخياً للعمل الذي يمارسونه فإن ذلك سيعرقل تطبيق عملهم من حيث الأساس، إن الإبستمولوجيا هي المجال الذي يتيح لهم فهم مغزى المحاولات العلمية وأهميتها. يُنظر: خمسون مفكراً أساسياً معاصراً من البنيوية إلى ما بعد الحداثة: ٢١- ٢٥.

٤٥- يُنظر: مدارات الإبستمولوجيا، عبد السلام دخان، موقع القدس العربي

<http://www.maaber.org>.

٤٦- يُنظر: الإنسان في الفلسفة اللسانية قراءة إبستمولوجية في المرجعيات والتمثلات: ٤٩ _ ٥٠.

٤٧- يُنظر: تطور مفهوم الجهاد دراسة في الفكر الإسلامي المعاصر: ٣٠ _ ٧٥.

٤٨- يُنظر: المصدر نفسه: ٢١٠.

٤٩- فيلسوف أمريكي، ولد في مدينة «سنساتي» في ولاية «أوهايو» لعائلة يهودية وأب مهندس صناعي، بدأ بتدريس الفيزياء وهو طالب في الدراسات العليا، ثم حصل على شهادة الدكتوراه في الفيزياء النظرية من جامعة «هارفارد» بعد أن حصل على منحة دراسية فيها لمدة ثلاث سنوات، وبعد حصوله على الدكتوراه في الفيزياء تعرّف على تاريخ العلم، ثم تحوّل إلى فلسفة العلم وتاريخه بعد أن انتقل إلى جامعة «كاليفورنيا»؛ إذ عمل تدريسيًا في قسم فلسفة العلم وتاريخه، ثم انتقل إلى جامعة «برن ستون»؛ بعد أن حصل على مرتبة الأستاذية في تاريخ العلوم، ثم استقرّ أخيرًا في معهد «ماساشوستس» للتكنولوجيا وعين أستاذًا فيه لمادة «الفلسفة وتاريخ العلم»، وبعدها أستاذًا متفرغًا في قسم اللغويات والفلسفة، بعد أن أدرك أثر اللغة في رؤية الإنسان للعالم، وتعرّف على المشكلات الفلسفية المتعلقة بالتمايز بين ما هو تحليلي وما هو تركيبّي. يُنظر: بنية الثورات العلمية: ١٩ _ ٢٠.

٥٠- يُنظر: المصدر نفسه: ١١.

٥١- يُنظر: المصدر نفسه: ١١ _ ١٢.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* إيستمولوجيا السياسة المقارنة النموذج المعرفي في النظرية والمنهج، د. نصر محمد عارف.

* آداب الشافعي ومناقبه، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٢٤٠ - ٣٢٧ هـ). تحقيق:

عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

* إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم

الجوزية (٧٥١ هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية -

بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المقدسي. الطبعة

الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

* بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني

الحنفي (٥٨٧ هـ)، الطبعة: الثانية، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

* البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي «

٧٩٤ هـ». المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، دار إحياء الكتب العربية عيسى

البابى الحلبي وشركائه، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

* بنية الثورات العلمية، توماس كون. ترجمة، شوقي جلال. د. ط، عالم المعرفة، عدد ١٦٨،

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠ م.

* تأملات ديكارتيّة أو المدخل إلى

الفينومينولوجيا، آدموند هوسرل، ترجمة، تيسير شيخ الأَرْض، د. ط، دار بيروت للطباعة

والنشر، بيروت، ١٩٥٨ م.

* التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد

الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣ هـ). الدار التونسية للنشر -

تونس، ١٩٨٤ هـ.

* التطور المعرفي عند جان بياجيه، الأستاذ موريس شريل. الطبعة الأولى، المؤسسة

الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

* تطور مفهوم الجهاد دراسة في الفكر الإسلامي المعاصر، محمود محمد أحمد، الطبعة

الأولى، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٥ م.

* تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠ هـ)، تحقيق،

محمد عوض مرعب، الطبعة: الأولى، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ٢٠٠١ م.

* الجهاد وحقيقتها في الإسلام، محمد فتح الله كولن، ترجمة، إحسان قاسم الصالح، الطبعة

الخامسة، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨ م.

* جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١ هـ)، المحقق: رمزي منير

بعلبكي، الطبعة: الأولى، دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٨٧ م.

* حاشية الباجوري على شرح ابن القاسم

- الغربي. إبراهيم الباجوري. د. ط، دار إحياء الكتب العربية، مصر، د. ت.
- * حقيقة الجهاد في الإسلام، د. محمد نعيم ياسين، الطبعة الأولى، دار الأرقم للنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- * خمسون مفكرًا أساسيًا معاصرًا من النبويّة إلى ما بعد الحداثة، جون ليشته. ترجمة، د. فاتن البستاني. الطبعة الأولى، المنظّمة العربيّة للترجمة، بيروت - لبنان، ٢٠٠٨م.
- * الذاتية في اللغة، إميل بنفست. ترجمة، حميد سمير، عمر طي. د. ط، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- * شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، أبو عبد الله محمد الأنصاري الرصاع، تحقيق، محمد أبو الأجنان. الطاهر المعموري، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٩٩٣م.
- * شرح نهج البلاغة، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني. تحقيق: محمد عبد الكريم النمري. دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- * الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة: الرابعة دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- * عندما نتواصل نغير «مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التواصل والحجاج. د. عبد السلام عشير. الطبعة الثانية، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٢م.
- * عولمة الإسلام، أوليفيه روا، ترجمة، لار معروف، الطبعة الثانية، دار الساقبي، بيروت، لبنان، ٢٠١٦م.
- * القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ). تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة: الثامنة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- * قواعد لتوجيه الفكر، رونية ديكارت. ترجمة وتقديم، سفيان سعد الله. د. ط، دار سراس للنشر، تونس، ٢٠٠١م.
- * الكافي في الفقه، تقي الدين أبو الصلاح الحلبي، تحقيق، آية الله رضا الأستاذي، الطبعة الثانية، مؤسسة بوستان كتاب، ١٣٩٢هـ.
- * كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ). المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- * كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، د. ط، دار ومكتبة الهلال.
- * كشف القناع، أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي البهوتي، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- * الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي

- الكفوي، أبو البقاء الحنفي (١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، م. ت.
- * لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الطبعة الثالثة، دار صادر - بيروت، ١٤١٤هـ.
- * المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (٤٥٨هـ)، المحقق: عبد الحميد هندواوي، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- * المستصفي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ). تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م: ٣٤٢.
- * معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الطبعة: الأولى، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- * معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (٣٩٥هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
- * المعجم الفلسفي بالألفاظ العربيّة والفرنسيّة والإنكليزيّة واللاتينيّة، الدكتور جميل صليبا. د. ط، دار الكتب اللبناني، لبنان - بيروت، ١٩٨٢م.
- * المعجم الفلسفي، مراد وهبه، د. ط، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- * معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، د. ط، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- * المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد علي النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية. دار الدعوة، د. ط، د. ت.
- * مقال عن المنهج، رينيه ديكرت. ترجمة، محمود محمد الخضير. مراجعة وتقديم، الدكتور محمد مصطفى حلمي. الطبعة الثالثة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٨٥م.
- * المقدمات المهيدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية لأهمّات مسائلها المشكلات. أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (٥٢٠هـ)، تحقيق: الدكتور محمد حجي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- * مقولات الفكر ومقولات اللغة، إميل بنفنيست، ترجمة وتقديم: عبد الكريم الشراوي.
- * مناقب الشافعي للبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨هـ)، المحقق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- * المنطق، المجتهد المجدد الشيخ محمد رضا المظفر. الطبعة الأولى، مؤسّسة الراشد للطباعة

المجلد الأول، ٢٠٢٢م.

* الاشتراطات الزمنية وأثرها في مفهوم الجهاد/ قراءة في المضمون والدلالة والواقع، د. حيدر شوكان سعيد، جامعة بابل، كلية العلوم الإسلامية، حولية المتدى، المجلد الأول، العدد الخامس والأربعون، ٢٠٢١م.

* الجهاد في الفكر الإسلامي دراسة في المفهوم والآداب والإشكاليات، م.م. مروان علي حسين، م.د. محمد كاظم حسين، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، العدد التاسع عشر، ٢٠١٦م.

* فتوى المرجعية من تحريم التنبك إلى الجهاد الكفائي مقاربات تاريخية وتحليل النتائج والمعطيات، د. صباح مهدي رميض، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، العدد العشرون، ٢٠١٧م.

* المواقع الإلكترونية

* <https://aliraqnet.net>

* <https://www.islamweb.net/ar/article/174157>

* <https://www.maqola.net/quote/4267>

* <https://www.noonpost.com/content/25237>

* www.sistani.org

* http://www.aljabriabed.net/n16_10charkawi.htm

والنشر، ١٤٣٠هـ_٢٠٠٩م.

* موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ١٩٩٦م.

* موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند. تعريب، خليل أحمد خليل. إشراف، أحمد عويدات. الطبعة الثانية، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ٢٠٠١م.

* ميشال فوكو المعرفة والسلطة، عبد العزيز العيادي. الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ_١٩٩٤م.

* الرسائل والأطاريح

* الإنسان في الفلسفة اللسانية قراءة إبستمولوجية في المرجعيات والتمثيلات، أنفال جاسم محمد، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، ٢٠١٩م.

* البحوث

* مفهوم الإبستمولوجيا ومدياتها "دراسة لسانية في ضوء علم المصطلح"، م. د. حيدر عواد رفيج. مجلة آداب ذي قار، العدد ٤٠،

السيدُ السيستانيُّ وأثره على المشاركةِ السياسيّة في العراقِ بعدَ عام ٢٠٠٣ م

د. عبد الخالق كاظم إبراهيم / المفوضية العليا المستقلة للانتخابات
الباحث احمد زايد عبد علي السهلاني

ملخص البحث

بعد التحولات الكبرى التي شهدتها العالم في مجال الحقوق والحريات، ولا سيما في مجال الحقوق العامة بشكل عام والحقوق السياسية بشكل خاص، وذلك في إطار تحديد نطاق تلك الحقوق التي ينبغي أن يتمتع بها الفرد داخل المجتمع، خاصة بعد ويلات الحروب التي شهدتها العالم والتي تسببت بها الأنظمة الديكتاتورية، وراح ضحيتها ملايين القتلى والجرحى، فقد شهد العالم تحولاً نوعياً في تلك الحقوق الممنوحة للأفراد والشعوب في حق تقرير المصير وممارسة حقوقهم السياسية عبر مختلف أنواع الوسائل التي تمنحهم حق المشاركة السياسية بشتى أنواعها والتداول السلمي للسلطة؛ في محاولة لعدم تكرار مآسي الماضي.

وقد شهد العراق تحولاً كبيراً على المستوى السياسي بعد انهيار الحكم الديكتاتوري وإسقاطه، الأمر الذي جعل الشعب العراقي أمام تحديات ومنعطفات مفصلية خطيرة تحدد مستقبل أجياله، ولا سيما أن الشعب العراقي حديث عهد بالممارسة السياسية التي كانت محظورة عليه بشتى أنواعها وأشكالها، وقد كانت الثقافة السياسية شبه منعدمة خلال عقود طويلة من الظلم والاستبداد والحكم الشمولي، وتعد المشاركة السياسية إحدى أبرز مخرجات الثقافة السياسية؛ لذلك كانت المشاركة السياسية الفاعلة أحد أبرز التحديات التي واجهها الواقع العراقي؛ لأن المشاركة الفاعلة والواعية تتأتى

عن طريق العامل الثقافي، والذي يؤثر بشكل كبير على علاقة الفرد بالنظام السياسي عبر المشاركة السياسية والمساهمة في البناء السياسي للبلد. لذا فإن توجيهات السيد السيستاني في الجانب السياسي قد أحدثت تحولاً نوعياً في مجال المشاركة السياسية الفاعلة عبر الانتخابات واختيار السلطة الحاكمة عبر صناديق الاقتراع. لذلك تنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن التوجيهات والوصايا التي أطلقها السيد السيستاني قد أسهمت بشكل مؤثر في مسار المشاركة السياسية للمجتمع العراقي بعد أن أظهرت الجماهير استجابة لتلك التوجيهات، ولا سيما أن المجتمع العراقي حديث عهد بالثقافة السياسية بعد اسقاط الديكتاتورية، وعملية التحول من النمط الاستبدادي في الحكم والسلطة نحو النمط الديمقراطي، ومن ثقافة الحزب الواحد الى التعددية الحزبية والمشاركة في الانتخاب والترشح. الكلمات المفتاحية: المشاركة السياسية، الثقافة السياسية، السيد السيستاني، الانتخاب.

Abstract

After the major transformations the world witnesses in the realm of rights and freedoms—particularly in the domain of public rights in general and political rights in particular—the focus has shifted toward determining the scope of these rights that individuals should enjoy in a society. This shift came in response to the devastation caused by wars led by dictatorial regimes, which resulted in the death and injury of millions. Consequently, the world experienced a qualitative transformation in the recognition of these rights, granting individuals and peoples the right to self-determination and the exercise of their political rights through various means. These include the right to political participation in all its forms and the peaceful transfer of power, as part of a global effort to prevent the tragedies of the past from recurring.

Iraq, in particular, witnesses a significant political transformation following the collapse and overthrow of the dictatorial regime. This change placed the Iraqi people at critical and defining junctures that would determine the future of coming generations. The Iraqi people, however, were largely unfamiliar with political practice in all its forms, as it had been systematically denied to them for decades. This long history of injustice, oppression, and totalitarian rule resulted in an almost complete absence of political awareness. Since political participation is one of the most prominent outcomes of political awareness, effective and meaningful participation emerged as one of the primary challenges facing post-dictatorship Iraq. Conscious and active participation stems from the cultural factor, which significantly influences the relationship of the individuals with the political system and their role in contributing to the political construction of the nation.

In this context, the decrees of Seid. al-Sistani in the political sphere brought about a profound and qualitative shift in encouraging active political participation. This was particularly evident in his emphasis on elections as a mechanism for choosing the ruling authority through the ballot box. Thus, this study is based on the premise that the directives and guidance issued by Seid.al-Sistani played a pivotal role in advancing the path of political participation within Iraqi society. His calls prompted a significant response from the Iraqi people, especially considering that Iraqi society was newly transitioning from a culture of dictatorship and authoritarian governance to a democratic model. This shift entailed moving from single-party dominance to political pluralism and embracing participation in elections and candidacy.

Keywords: Political Participation, Political Culture, Seid.al-Sistani, Elections.

المقدمة

يدخل مفهوم المشاركة السياسية ضمن المفاهيم المركزية في مجال علم الاجتماع السياسي، وهو يرتبط بخلفيات سياسية واجتماعية وأيديولوجية ونفسية وغيرها. ويمارس عن طريقها الافراد دورهم في الحياة السياسية؛ بهدف تحقيق أهدافهم التي يطمحون إليها. وللمشاركة السياسية أهمية كبيرة في توجيه المسار السياسي، ومن ثم المسار الاجتماعي الذي يحقق التنمية في مختلف المجالات، وهي من أبرز الحريات السياسية التي أقرتها العهود والمواثيق والقوانين الدولية والوطنية، كما ان المشاركة السياسية تحقق المساواة وتمنع الاستبداد عن طريق احتفاظ الشعب بالسلطة وممارستها عبر ممثليه الذين يختارهم للتعبير عن إرادته، وبذلك هي تعبير عملي عن العقد الاجتماعي الطوعي، وتحقق التداول السلمي والدوري للسلطة مما يخلق الاستقرار الاجتماعي والسياسي المنشود^(١).

يؤكد دانييل ليونر على ان المشاركة السياسية من المحددات المهمة في التعريف بموقع المجتمعات الانتقالية بين المجتمعات التقليدية والحديثة، لذلك ترتبط الثقافة السياسية بالمشاركة عبر الدور الذي تقوم به الثقافة في تكوين الاتجاهات والمعتقدات والعواطف التي تدفع الافراد إلى المشاركة في العمليات السياسية المختلفة، وتحدد القواعد التي تحكم تلك المشاركة، بالإضافة إلى دورها في تحقيق التقبل الجماهيري للنظام السياسي^(٢). وفي ضوء ذلك فإن التنمية السياسية تعتمد على تنمية روح المواطنة والولاء والمشاركة السياسية، ولعل الاخيرة هي التي يتحدد بدالاتها تطور أو تخلف أي مجتمع سواء كان ذلك من الناحية الاجتماعية أم النظام السياسي القائم فيها^(٣).

وفي خضم التطورات والازمات التي شهدتها الواقع العراقي، ولا سيما بعد التحول السياسي الكبير وانهيار منظومة الحكم الديكتاتوري، التي

اثرت سلبا بشكل كبير على مسار الثقافة السياسية للمجتمع العراقي، فقد كانت السمة السائدة في العراق هي الثقافة السلبية (الإقصائية) من قبل النظام السياسي، تُقابلها الثقافة التقليدية والخضوعية من قبل المجتمع^(٤). فمسألة تراجع الوعي الثقافي بمفاهيم الديمقراطية والحقوق السياسية ليس وليد اللحظة، وإنما يعود إلى فترة العقود السابقة، وما مر به البلد من أزمات وعدم استقرار بسبب الأنظمة الحاكمة والمستبدة التي تعاقبت على الحكم منذ تأسيس الدولة العراقية، إذ أسهمت في نشر التسلط والاستبداد السياسي، وحدثت خللاً جوهرياً في البنية الثقافية والاجتماعية، وأثرت بشكل كبير على المستوى السياسي. وكان الموروث الاستبدادي لحقبة البعث عائقاً أمام عملية التحول الديمقراطي، الأمر الذي تطلب مجموعة من الأمور الأساسية أهمها: الاهتمام بالتربية والتثقيف وتعزيز الوعي السياسي، وهو الأمر الذي شخصته المرجعية منذ البداية، فقد أسهمت مرجعية السيستاني بشكل فعال في هذا المجال^(٥).

وفي مرحلة ما بعد النظام الشمولي والخلاص من زمرة البعث، دخل المجتمع العراقي في مرحلة جديدة مغايرة للمرحلة السابقة بشكل جذري، وكانت حالة الحذر والخوف والترقب هي السائدة في بادئ الامر، من دون أن يمتلك المجتمع الثقافة اللازمة التي تؤهله لمواجهة مخاطر الواقع الجديد. الامر الذي تطلب إتقان أساليب مواجهة تلك المرحلة ومزيداً من التعديل والتطوير في منظومة الفكر والقيم والثقافة، والسعي الى إعادة انتاج الوعي الثقافي، ولا سيما في البعد السياسي لدى افراد المجتمع؛ لذلك سجلت المرجعية الدينية حضورها المتميز، فكان لها أثر بارز في القضايا المفصلية وفي إعادة الهدوء والاستقرار والسلام للواقع العراقي المضطرب، والأخذ بيد المجتمع نحو بر الأمان.

وقد كان للسيد السيستاني موقعه الاستراتيجي الذي سطع في ظل تلك التحديات الخطيرة، ويعود ذلك الى شخصيته العظيمة وحضورها الميداني المؤثر في حركة المجتمع، وما بذله من أجل تحقيق مصلحة البلاد. وفي ضوء تأكيده على أهمية الإرادة الشعبية التي تعد مصدرا مهما وفعالاً في بناء الدولة، تم اقتراح مشاركة الناس كمبدأ استراتيجي، فقد كان يرى أن المشاركة والإرادة الشعبية الفاعلة هي أفضل آلية للدفاع عبر العقل الجماعي، الذي يمنع هيمنة الاستبداد الداخلي والخارجي، وأن نظام الامن الجماعي الناشئ عن مشاركة الناس، هو بحد ذاته عامل في إرساء السلام والهدوء الدائمين^(٦).

تعدُّ المشاركة السياسية من الاركان الاساسية في عملية بناء الدولة الحديثة، بما تتيحه للمواطنين من مساحات تأثير على بناء المؤسسات السياسية، فعن طريق الانشطة التي يؤديها الفرد على غرار الانتخابات والمشاركة في النقاشات الإعلامية والسياسية، يتم بناء العملية الديمقراطية فلا يمكن تصور بناء ديمقراطية من دون مشاركة سياسية، إلا أن جودة العملية الديمقراطية تتأثر بمستوى وطبيعة المشاركة السياسية التي تنخرط في التأسيس لظواهر مختلفة، سواء بالسلب أم الايجاب، وتتأثر هي الأخرى على غرار السلوك السياسي^(٧).

وتعد مسألة نظام الحكم المبني على المشاركة الشعبية من أهم القضايا التي أثيرت بعد التطورات الداخلية التي شهدتها العراق، ففي الوقت الذي كانت قوات الاحتلال تسعى الى تعطيل إجراء انتخابات نزيهة وشفافة لتشكيل حكومة عراقية، بعيداً عن الإملاءات الخارجية وتدخل الاحتلال وفرض اراداته؛ قام السيد السيستاني بإدارة الشعب بكل حنكة وتدبير، إذ شدد على أهمية الانتخابات وضرورة المشاركة الشعبية الفاعلة والواسعة فيها؛ بهدف الضغط على أميركا، وقد تابع عملية إدارة الظروف وتحقيق القيم بكل جدية، واستثمر تأثيره الواسع وموقعه من أجل تحقيق قاعدة المشاركة

الجماعية، التي تمكن بوساطتها توحيد مخططات الأعداء وتوفير الأرضية لإقامة النظام والامن في العراق^(٨).

يرتبط مفهوم المشاركة السياسية بمجموعة من المفاهيم الأخرى تكون بمجموعها منظومة متكاملة من القيم السياسية، فالثقافة السياسية تعد المظلة الأوسع للنشاط الذي يمارسه الفرد والمجتمع معا عبر المشاركة السياسية؛ كونها تنتج الفاعلية السياسية التي تحقق ثمار التنمية المطلوبة، والمشاركة لا تتم إلا عن طريق مجموعة من الحقوق التي تمنح للأفراد عبر الممارسة السياسية الفاعلة في تأسيس الأحزاب وحرية تشكيلها، وحق الانتخاب وغيرها من الحقوق الأخرى التي تدخل ضمن المفهوم الواسع للمشاركة السياسية.

لذلك تحاول الدراسة تسليط الضوء على الدور المحوري والاساسي لسماحة المرجع الاعلى علي الحسيني السيستاني وأثره المباشر وغير المباشر على المشاركة السياسية بجميع مستوياتها لدى افراد المجتمع العراقي، وذلك عبر المباحث الاربعة الآتية:

المبحث الأول: الثقافة السياسية

يمثل مفهوم الثقافة الإطار الشامل الذي يدخل تحت مظلته الكثير من المفاهيم الثقافية الأخرى، ومنها مفهوم الثقافة السياسية الذي يتضمن مجموعة من المفاهيم والقيم التي تدخل في اطارها النشاط السياسي - الفردي والمجتمعي - والذي يتجسد في المشاركة السياسية عبر وسائلها المختلفة، لذلك فإن الثقافة السياسية تمثل (نمط قيم ومعتقدات وتوقعات واتجاهات الناس نحو السلطة والمجتمع والسياسة، وهي تعكس طرائق تفكيرهم في السياسة ومشاعرهم نحوه)^(٩). ويعد مفهوم الثقافة السياسية أحد أبرز المواضيع في حقل السياسة المقارنة في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، ثم تراجع الاهتمام الأكاديمي بالمفهوم في مدّة السبعينات، وعاد الاهتمام به مجددا

في الثمانينات في إطار موجة التحول الديمقراطي التي تواصلت حلقاتها منذ بداية الربع الاخير من القرن العشرين؛ كونه مفهوما رئيسا في فهم وتحليل أبعاد التحول الديمقراطي والمشاركة السياسية لتنمية النظم الديمقراطية، ومن ثمَّ يُحقق أثرا كبيرا في مجال المشاركة السياسية وتحقيق أهدافها^(١٠).

إن للثقافة السياسية ارتباطا قويا بالمشاركة السياسية، وتعد نسقا مهما في عملية بناء الدولة فمن خلالها تتحدد شرعية النظام القائم وعلاقة المواطن بالسلطة^(١١). وهي الجسد والمبلور للمشاركة السياسية على المستوى الواقعي، وعن التأثير الذي تمارسه الثقافة السياسية على المشاركة السياسية للأفراد، يرى بعض الباحثين أن الثقافة السياسية تؤثر على علاقة الفرد بالعملية السياسية، فبعض المجتمعات تتميز بقوة الشعور والولاء الوطني والمواطنة والمسؤولية. وهنا يُتوقع أن يشارك الفرد في الحياة العامة، وأن يسهم طواعية في النهوض بالمجتمع الذي ينتمي إليه^(١٢)، لذا فإن الثقافة السياسية تؤدي دورا مهما في تطور الديمقراطية وبقائها^(١٣).

تستمد الثقافة السياسية أصولها من ثلاثة أنماط ثقافية وهي: النمط الثقافي التقليدي الضيق، والنمط الثقافي الخاضع، والنمط الثقافي المشارك، وترتبط هذه الأنواع مع انساق ثقافية مختلفة، فالنمط الأول يرتبط مع البنية السياسية التقليدية غير المركزية، والنمط الثاني يرتبط بالبنية السياسية السلطوية والمركزة، اما النمط الثالث الذي يرتبط بموضوع دراستنا، فهو نمط المشاركة السياسية الذي يبقى لصيقا ببنية سياسية ديمقراطية على أساس ان عامل المشاركة السياسية هو مظهر من مظاهر المواطنة والثقافة الديمقراطية المدنية^(١٤). وهذا النوع عرفته كثير من النظم التي قطعت اشواطا كبيرة في عملية التكامل والاندماج وتحقيق الاستقرار في بنيتها السياسية، ومسألة وجوده مرتبط بمجموعة من الممارسات السياسية المدنية على مستوى التنشئة

الاجتماعية والسياسية والاسرية والتعليمية والدينية والحزبية، ويشترط فيه توفر الإطار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي الذي يعمق السلوك المدني المشارك في مجالات الحياة السياسية^(١٥). وهي بذلك تمثل نوع العلاقة التي تربط المجتمع بالدولة وطبيعة النشاطات السياسية المنبثقة عن تلك الثقافة. لذا يتمحور جوهر الثقافة السياسية في القيم والاتجاهات والسلوكيات والمعارف السياسية لأفراد المجتمع، فهي تعبير عن مجموعة رموز وقيم واعراف أساسية في المجتمع. وتشكل مجموعة من القناعات بخصوص الحقوق والواجبات التي تحكم تصرفات الأفراد داخل النظام السياسي^(١٦). فالثقافة السياسية هي مجموعة القيم المستقرة التي تتعلق بنظرة المواطن الى السلطة، والتي يحصل عليها الشعب عن طريق التنشئة الاجتماعية والسياسية، أو عن طريق النشاطات السياسية التي تؤدها السلطة؛ بهدف الوصول بالمجتمع الى أداء دوره في عملية المشاركة السياسية، أو عن طريق عمليات التنمية السياسية التي تستهدف إحداث تحولات ديمقراطية في أساليب الحكم التي تراعي الحريات العامة وحقوق الانسان، والتداول السلمي للسلطة، او عن طريق الأدوار التي تمارسها وسائل الإعلام ومنظمات المجتمع المدني^(١٧). ويمكن ان نخلص إلى أن مفهوم الثقافة السياسية يتشكل من أربعة أبعاد أساسية يتمحور حولها هذا المفهوم، وهي:

أولاً: المعرفة السياسية: وتشمل المعرفة العامة بالمفاهيم والمعارف والمعلومات المتداولة حول النظام السياسي في البلد.

ثانياً: القيم السياسية: وتشمل التصورات والقيم التي يعتقد بها الأفراد ويتم اتخاذها معياراً لمواقفهم السياسية؛ بوصفها إطاراً مرجعياً للحكم على الأشياء، وهي من نتاج البيئة والمعتقدات والتجربة.

ثالثاً: الاتجاهات السياسية: وتشمل الاستعدادات التي يكون لها تأثير

توجيهي أو حركي على استجابة الفرد لجميع المواقف التي تستثير هذه الاستجابة.

رابعاً: السلوكيات السياسية: وتشمل الممارسات الفردية والمجتمعية في الحياة السياسية، وتتحقق على وفق ثقافة الفرد وخبرته وتفاعله مع المجتمع. وتتضمن الثقافة السياسية جانبين أساسيين هما: القيم والاتجاهات والأفكار السياسية، والسلوك السياسي من جانب المواطنين أو القيادات^(١٨).

المبحث الثاني: المشاركة السياسية والعوامل المؤثرة فيها

لا شك ان ابرز الدلالات التي يشير اليها مفهوم المشاركة السياسية هو حق الفرد في ان يؤدي دورا معينا في عملية صنع القرارات السياسية ومراقبتها، هذه العملية التي تعدُّ من أبرز الأوجه التي تكشف عن النظام الديمقراطي السائد، وعن ثقافة المجتمع السياسية، إذ يمارس الفرد عبرها دورا مؤثرا في الحياة السياسية لمجتمعه، ويشارك في وضع الأهداف العامة لذلك المجتمع وتحقيق إنجازها^(١٩)؛ بوصفها الوسيلة التي يمكن عن طريقها معرفة الحقوق السياسية التي يتمتع بها الافراد في مجال اتخاذ القرارات السياسية والإدارية والتحكم بإدارة موارد الدولة في مختلف المجالات، وكذلك معرفة طريقة الافراد في التعبير عن سلوكهم في ممارسة حقوقهم السياسية، وفي ضوء ذلك فان المشاركة السياسية تعني (حرص الفرد على أن يكون له دور إيجابي في الحياة السياسية من خلال المزاولة الارادية لحق التصويت أو الترشيح للهيئات المنتخبة أو مناقشة القضايا السياسية مع الآخرين أو بالانضمام الى المنظمات الوسيطة)^(٢٠). أي انها «عملية حركية يشارك فيها الفرد من خلال الحياة السياسية لمجتمعه بفعل إرادي وواع وذلك للتأثير في المنحى السياسي العام، تماشيا مع ما يحقق المصلحة العامة التي تتطابق مع الآراء والانتفاء الطبقي له، وتحصل هذه المشاركة عن طريق مجموعة من الانشطة السياسية

كالترشح للمؤسسات التشريعية (البرلمان)، والانخراط في الاحزاب السياسية والتصويت»^(٢١).

يرى سيدني فيربا ونورمان ني وجاي اون كيم في مؤلفهم «المشاركة والمساواة السياسية» بأن المشاركة السياسية تشير إلى (الأنشطة ذات الطابع الشرعي التي يمارسها مواطنون معينون، والتي تستهدف بصورة أو بأخرى التأثير على عملية اختيار رجال الحكم، أو التأثير في الأفعال التي يقومون بها، كذلك فإن المشاركة السياسية تستهدف التأثير في القرارات الحكومية)^(٢٢)، لذا فإن المشاركة السياسية من أهم مبادئ الديمقراطية ومبادئ الدولة الوطنية الحديثة، وهو المبدأ الذي يمكننا من التمييز بين الأنظمة الوطنية الديمقراطية، التي تقوم على المواطنة والمساواة في الحقوق والواجبات من الأنظمة الاستبدادية الشمولية أو التسلطية التي تقوم على احتكار السلطة وامتيازاتها المفسدة^(٢٣)، فهي أساس الديمقراطية عبر شمولها لجميع أعضاء المجتمع، وهي أحد أبرز الشروط الأساسية لها^(٢٤). ويوضح مفهوم سيدني فربا، نورمان ني أن المشاركة السياسية تتعلق بالأنشطة التي يقوم بها المواطنون؛ بهدف التأثير على اختيارات الأشخاص في الحكومة أو النشاط الذي يقومون به، وتشير ماري رينر إلى أن الهدف من المشاركة السياسية هو ان يكون للإنسان موقف معين وأن يقوم بعمل ما، وأن يصبح جزءاً في جماعة تعكس رغبة الآخرين^(٢٥). وفي ضوء ذلك فإن (المجتمع الديمقراطي هو المجتمع الذي يملك فيه العامة (الجمهور) الوسائل اللازمة للمشاركة الفعالة في إدارة شؤونهم)^(٢٦).

ويعرف صامويل هنتنغتون المشاركة السياسية بأنها: أنشطة الافراد الهادفة الى التأثير على صنع القرار الحكومي، وهي إما فردية أو جماعية، منظمة أو عفوية، موسمية أو مستمرة، سلمية أو عنيفة، فعالة أو غير فعالة، شرعية أو غير شرعية^(٢٧)، باعتبارها الوسيلة التي يتمكن بواسطتها الفرد من التأثير في

القرارات المتعلقة بحياته وبالسياسات والبرامج التي تضعها السلطة السياسية من أجله^(٢٨)، ويمكن الكشف عن أوجه وأساليب المشاركة السياسية من حرص الجماهير على ممارسة حقوقها السياسية، ابتداء من التصويت الانتخابي إلى الإدلاء بالرأي في المواقف المختلفة، الى التمسك بكل حق مقرر في نظام الدولة، فضلا على الانتفاء الحزبي أو العمل عبر تنظيم سياسي مشروع ومعترف به، والمشاركة في جهود الندوات العامة والمؤتمرات وحلقات النقاش، أي انها تحقق الفاعلية الجماهيرية في البعد السياسي، وأن لا يبقى الفرد متفرجا من القضايا الأساسية والجماهيرية^(٢٩).

تعد المشاركة السياسية اهم دعائم الأنظمة السياسية، وعن طريقها يتم الحكم على شرعية نظام سياسي معين؛ لأن غياب المشاركة السياسية وشيوع الديكتاتورية يمثل ازمة في المنظومة الاجتماعية، تؤدي بالنتيجة إلى ازمة في مشروعية النظام السياسي^(٣٠). وهي تمثل انعكاسا لحالة الوعي السياسي عبر مشاركة المجتمع في صنع حياته السياسية ورسم مستقبلها، سواء أكانت عن طريق المشاركة المباشرة في صنع القرارات السياسية، أم عن طريق الرقابة العامة على أجهزة السلطة التنفيذية عن طريق التشريع وقوى الضغط، الى جانب رقابة الشعب على السلطة التشريعية. وترتبط المشاركة السياسية بالحياة الديمقراطية بعلاقة عضوية، فحيثما وجدت الديمقراطية توجد المشاركة السياسية والعكس صحيح^(٣١).

لذلك فان المشاركة السياسية العنيفة المولدة لللازمات والخراب، قد يعود سببها الى اقضاء المجتمع عن المشاركة الحقيقية أو افراغها من محتواها أو عدم اقتناع فئات واسعة من المجتمع بجدواها، وأن ظهور أزمة المشاركة السياسية يُسهم في انعدام الاستقرار السياسي، يؤدي دورا كبيرا في إعاقة عملية التنمية بشكل عام، ويؤدي إلى حالة الاغتراب السياسي لدى المواطنين، الأمر الذي

يدفع الى مشاركة سياسية غير تقليدية، مما يؤدي الى خراب الدول وانهيارها ونشر الفوضى فيها^(٣٢).

ونظرا لسعة مفهوم المشاركة السياسية وشموله مجالات متعددة، وعدم اقتصره على نمط سلوكي محدد، فإن المختصين في هذا المجال حددوا مستويات مختلفة لمعرفة حالة المشاركة السياسية في المجتمعات الديمقراطية، وقد حدد كارل دوتش ثلاثة مستويات لها، وهي:

المستوى الأول: ويمثل أعلى مستويات، ويضم النشاط في العمل السياسي، ويرى أن توفر ثلاثة شروط من الشروط الستة التي وضعها في أي فرد من الأفراد تجعله منتميا إلى هذه الفئة وهي:

- عضوية منظمة سياسية.
 - التبرع لمنظمة سياسية او الترشح في الانتخابات العامة.
 - حضور الاجتماعات السياسية بشكل دوري.
 - المشاركة في الحملات الانتخابية.
 - توجيه رسائل بشأن قضايا سياسية للسلطة التنفيذية أو النيابية أو الصحافة.
 - الحديث في السياسة مع أشخاص خارج الدائرة الضيقة المحيطة بالفرد.
- المستوى الثاني:** ويشمل الأشخاص المهتمين بالنشاط السياسي، واهمهم الذين يدلون بأصواتهم في الانتخابات ويتابعون بشكل عام ما يحدث في الساحة السياسية.

المستوى الثالث: ويشمل الأشخاص الذين يشاركون بشكل موسمي في العمل السياسي أو يشاركون اضطراريا في أوقات الازمات وعندما تكون مصالحهم مهددة^(٣٣).

وتتأثر المشاركة السياسية بجملة من العوامل والمتغيرات التي من شأنها التأثير على مستوياتها، بفعل العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية،

وكذلك تتأثر بالتغيرات السياسية والقانونية التي تتحكم بالنظام السياسي، منها طبيعة النظام الانتخابي، والنظام الحزبي، وقوة الأحزاب أو ضعفها، بالإضافة الى نوعية الاستحقاق الانتخابي، ونزاهة الانتخابات وشفافيتها^(٣٤)، وأيضا ترتبط بمجموعة من المفاهيم الأخرى، مثل مفهوم التنشئة عن طريق ارتباطه بها؛ لغرض تمييزها من أنشطة المشاركة السياسية، كما انها ترتبط بالتعليم؛ لأن زيادة المشاركة يحتاج الى تدريب المواطنين على الديمقراطية عن طريق مجال التعليم والعمل، فالتعليم والمستوى الاقتصادي يؤديان دورا فعالا في المشاركة السياسية. وكذلك فإن المشاركة مرتبطة بالوعي على أساس أن الافراد لا بد أن يكونوا على دراية تامة بالنشاط الذي يقومون به^(٣٥).

ومن زاوية الدوافع التي تدفع باتجاه المشاركة السياسية، فإنها تتأثر أيضا بعملية التحديث التي تقع في المجتمعات، كالتغيرات التي تحدث للمجتمعات، عن طريق تغير المستوى التعليمي وزيادة الدخل واطماع الناس وتأثرهم بوسائل الاتصالات الحديثة، فعملية التغير الاقتصادي والاجتماعي تتطلب قدرا من مشاركة الأفراد في تحديد نوعية التغير المطلوب، وفي تبني السياسات التي تؤدي إليه، وهذا يتطلب وجود تنظيمات شعبية (سياسية) يعبر الأفراد عبرها عن تطلعاتهم مع وجود درجة معقولة من الوعي السياسي والثقافة السياسية للأفراد^(٣٦).

ويمكن الإشارة إلى الأسباب الأخرى الدافعة للمشاركة السياسية، منها الدوافع النفسية، إذ يسعى الفرد للمشاركة سياسيا؛ لإثبات وجوده وتأكيد ذاته كإنسان حر الإرادة قادر على اتخاذ موقف في موضوع سياسي له أهميته. والمشاركة بدافع التعبير عن وعي سياسي، والمشاركة أيضا كأداة للتعبير عن مطالب ذات صبغة نقابية أو سياسية أو اجتماعية، أو المشاركة بدوافع دينية أو عرقية. وكذلك المشاركة بدافع طلب منصب، وكذلك المشاركة السياسية كمظهر من مظاهر

التضامن العائلي أو القبلي، وغير ذلك من الدوافع الأخرى^(٣٧). ولا شك ان الأسباب الدافعة للمشاركة السياسية تختلف في تأثيرها على الفرد العراقي، ومن ثمَّ على نسبة المشاركة السياسية للمجتمع من حيث التأثير والفاعلية.

ويختلف العلماء في تفسيراتهم للمشاركة السياسية باختلاف الخلفية الفكرية التي ينطلقون منها، فعلماء الاقتصاد يركزون على العامل الاقتصادي بوصفه العامل الأساس الذي يدفع المواطن نحو المشاركة السياسية، وذلك حين يشعر بالاستغلال من قبل الآخرين فهو يدأب للحصول على مصالحه والدفاع عنها ووضع حد لاستغلاله، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق المشاركة السياسية الفاعلة القادرة على تغيير نمط النظام الاقتصادي والسياسي القائم في الدولة^(٣٨).

أما علماء الاجتماع فيربطون المشاركة السياسية بطبيعة التركيب الاجتماعي للمجتمع، ويعرفها علماء الاجتماع (على أنها ذلك الشكل من الممارسة السياسية الذي يتيح لإفراد الشعب بلا تمييز المشاركة في صنع السياسة العامة للبلاد، وحق المشاركة في اتخاذ القرارات وصياغتها بشكل يضمن إطلاق القوى الخلاقة للجماهير)^(٣٩). فكل نمط من أنماط العلاقات الاجتماعية يعكس شكلاً من أشكال المشاركة السياسية، إلا أن تغيير أنماط العلاقات بين الجماعات يؤدي الى زيادة التعقيد في النسيج الاجتماعي، فتنامي الشرائح الاجتماعية يؤدي الى ظهور مطالب جديدة ومختلفة عن الشرائح التقليدية، مما يخلق نوعاً من القلق لدى الشرائح التقليدية، الأمر الذي يدفع بها إلى الانخراط في النشاط السياسي لكي لا تفقد مكائنها الاجتماعية في المجتمع^(٤٠).

اما بالنسبة الى أثر العامل الديني في المشاركة السياسية، فيعدُّ الدين ناظماً قوياً في تحديد السلوك الفردي وتوجيهه، أن السلوك حركة تضبطها قيم معينة، وهذه القيم تنبع وتشكل أساساً على ضوء الضوابط الدينية في المجتمعات ذات الأغلبية

الدينية، لذا فإن المؤسسة الدينية مصدرٌ من مصادر التنشئة الاجتماعية - السياسية؛ كون العامل الديني يؤثر في أفكار الافراد واتجاهاتهم المختلفة^(٤١).

وينبغي عند دراسة العوامل الفاعلة في المشاركة السياسية الأخذ بنظر الاعتبار طبيعة المجتمعات الثقافية والدينية؛ لأن لكل مجتمع ثقافته التي تختلف عن النمط السائد في الثقافات الأخرى والتي لها أثر كبير في توجيه سلوكيات الافراد. ونظرا لما يتميز به المجتمع العراقي من تنوع، إلا ان الأغلبية تتمثل بالمسلمين الشيعة الذين يتبعون مدرسة اهل البيت عليه السلام، تلك المدرسة التي تتميز بوجود المرجعية الدينية التي تحتل دورا رائدا في توجيه الواقع ومساراته المختلفة في مختلف المراحل التاريخية، ومنها الدور الرائد لمرجعية السيد السيستاني في قضايا البلد المصيرية، الامر الذي يجعل من التجربة العراقية مختلفة عن كثير من التجارب السياسية الأخرى، لما لها من خصوصية مختلفة عن أنماط واتجاهات التجارب لدى الشعوب الأخرى، بلحاظ أن العامل الديني يقف في مقدمة المؤثرات في الواقع العراقي، وهو العامل المهيمن في توجيه المشاركة الاجتماعية في الحياة السياسية.

ومن هنا تأتي فاعلية دور المرجعية الدينية الشيعية في توجيه الرأي العام، والدفع نحو المشاركة السياسية، وهذا الامر يجعلها في مقدمة المؤثرات التي توجه بوصلة الأنشطة السياسية ومساراتها؛ نظرا لكون غالبية الشعب تتبع توجهاتها وتلتزم نصائحها، حتى أضحت الفاعل الرئيس في رسم ثقافة المجتمع العراقي في شتى المجالات، سواء كانت سياسية أم اجتماعية، وعند تتبع تاريخ العراق السياسي المعاصر ومحاولة الفحص والتحليل في موجهات المواقف السياسية، ولا سيما المفصلية منها، يتجلى بشكل واضح الدور السياسي الفاعل للمؤسسة الدينية عن طريق دورها الكبير في تشكيل اتجاهات الرأي العام وتحريكها، وعملها على الدفع نحو تصحيح المسار السياسي في كل عام.

المبحث الثالث: مرجعية السيد السيستاني الإرادة والتحديات

استمر دور المرجعيات الدينية الشيعية بفاعلية كبيرة في المنعطفات السياسية المفصلية، واتضح معالم هذا الدور بشكل جلي في المرحلة التي أعقبت إسقاط الحكم البعثي في العراق وتأثيرها الإيجابي على بوصلة المسار السياسي، من أجل تصحيح مسارات العمل السياسي، وهذا الأمر تجلى بوضوح في قدرة المرجعيات الدينية على توجيه الرأي العام نحو المشاركة السياسية في البعد المرحلي، وكذلك في تأصيلها لمفهوم الثقافة السياسية في جانبها المستقبلي وبعدها الاستراتيجي، وقد حققت أهدافها المرجوة في كتابة الدستور الدائم، وإشاعة ثقافة التداول السلمي للسلطة عبر صناديق الاقتراع، والمشاركة الشعبية الفاعلة والواسعة، لأن الانتخابات هي المسار الأفضل للتغيير، إذ تضع المواطنين أمام تحمل المسؤولية الحقيقية في اختيار الأشخاص لتولي زمام الحكم.

ولا شك أن دور المرجعية الدينية في مقدمة القوى الفاعلة في تكوين الثقافة السياسية وإعادة صياغتها في مرحلة ما بعد عام ٢٠٠٣؛ لأنها من أهم المراحل المفصلية التي عاشها المجتمع بعد انهيار الديكتاتورية، وقد أسس السيد السيستاني لتلك الثقافة في بعدها المرحلي والاستراتيجي؛ بهدف الوصول الى الحكم الرشيد وبناء الدولة على أسس متينة في ضوء الفهم الحكيم لمعطيات الواقع واملاءات المرحلة، فالبعد المرحلي تضمن مواجهة مخططات الاحتلال والتأسيس للبعد الاستراتيجي الساعي إلى كسر الأنساق الثقافية السياسية وهيمنتها الفكرية التي حاولت إبقاء تلك الثقافة في منظومة المجتمع العراقي على سابق عهدها لبناء نسق سياسي يتماشى مع أهدافهم، اعتماداً على نمط الديكتاتورية وتراكماتها السلبية في ثقافة المجتمع^(٤٢).

وقد أسهم السيد السيستاني بالترويج لترسيخ ثقافة الإرادة الشعبية والديمقراطية السياسية منذ عام ٢٠٠٣ بعد انهيار النظام البعثي، إذ دافع بثبات

عن المؤسسات الانتخابية، وأطلق دعوات مستمرة تشجع على الإسهام النشط في بناء الوطن^(٤٣). وكان موقفه منذ بداية تغيير النظام الديكتاتوري واضحا في السعي لتحكيم الإرادة الشعبية الواسعة، عبر اعتماد خيار الانتخابات الدورية، بوصفها أنسب الطرق وأفضلها للتعبير الأمثل عن تلك الإرادة في تلك المرحلة الحساسة من التاريخ العراقي. فهو يؤكد على إجراء الانتخابات العامة لكي يختار كل عراقي مؤهل للانتخاب من يمثله^(٤٤). لذلك نجد أن تدخله يقتصر على القضايا المهمة والمصيرية، مثل قضية الانتخابات التي اولها أهمية كبيرة وعدّها الوسيلة الوحيدة لكي يحصل العراق على استقلاله ويستعيد أراضيهِ ويعيد بناء مؤسساته كافة^(٤٥).

وقد نجحت مساعي المرجعية في تحقيق الكثير من تلك الأهداف على الرغم من التحديات المحلية والإقليمية والدولية، بالإضافة إلى مخططات الاحتلال الموضوعة سلفا، ومارست دورها في بناء وتوجيه الثقافة السياسية عبر وسائل متعددة في التأثير على الرأي العام، وتمكنت من قلب معادلات الصراع مع الاحتلال وتغيير اتجاهات الاحداث بما ينسجم مع رؤيتها ومتطلبات المرحلة، بعد ان كان مسار الاحتلال يسعى حثيثا الى الفوضى الخلاقة. وكانت توجهاته بمثابة الاساس الأول للنظام الجديد القائم على اساس الدستور ودولة المؤسسات، وستظهر نتائجها الاستراتيجية بعد عقود من الزمن؛ بوصفها الثقافة المؤسسة للمسار الديمقراطي واحترام الإرادة الشعبية والهوية الثقافية^(٤٦)

وتمثل الثقافة السياسية منطلقا من المنطلقات التي تؤسس لبناء الدولة على أسس قوية وراسخة، وقد أنتج دور المرجعية الدينية توجهها جماهيريا فاعلا مع الواقع السياسي الجديد، ولم يكن دورها السياسي محدودا بالأطر الضيقة أو المحكومة بالانتماء المذهبي، كما كان يتوقعه محدودي الفهم بالأبعاد الاستراتيجية

التي تحكم رؤية المرجعية، الامر الذي شكل مفاجأة لصانعي السياسة، كون المرجعية في طليعة السياسات التقدمية في البلاد التي كان دأها ينصب على هدف محوري يكمن في إبقاء مشروع بناء الدولة على المسار الصحيح إلى أقصى حد ممكن. وقد أصبحت المرجعية الدينية في طليعة المثقفين الجماهيريين والجهات الفاعلة غير الرسمية الحاسمة. وبما تمتلكه من دراية تامة بالبيئة السياسية التي بموجبها تمت صياغة التوصيات والتوجيهات السياسية^(٤٧).

إن عملية التحول الديمقراطي والسعي لبناء نظام سياسي قائم على أساس التعددية الحزبية يتطلب العمل الجاد من اجل تعزيز مبادئ الحكم الرشيد القائمة على المشاركة السياسية الفاعلة التي تتطلب بيئة سياسية واجتماعية وثقافية لنجاحها، وقد أدت المرجعية دوراً رئيساً في العملية السياسية، فأستمرت المرتكزات وواكبت تحولاتها، وكان لمواقفها الحكيمة في مختلف المراحل السياسية الأثر البالغ في بناء الدولة ومؤسساتها على أساس القانون والعدالة والمساواة وتفعيل المشاركة الشعبية الواسعة، ودعت الكفاءات المجتمعية إلى اخذ الأدوار السياسية، ودعت إلى تحقيق الإصلاح السياسي تبني القوانين الانتخابية العادلة التي من شأنها ان تفرز حركات سياسية جديدة^(٤٨).

شكلت الانتخابات في رؤية المرجعية أهمية قصوى بعد إسقاط النظام القمعي، ويمكن عدها أوسع الأنشطة الجماهيرية، وأكثرها ارتباطاً بأفراد المجتمع، لذلك كانت المرجعية تؤكد عليها في أغلب بياناتها وخطب الجمع واجوبة الاستفتاءات، وقد برز دور المرجعية عن طريق تنظيم أسس النظام الديمقراطي ووضع اسسه الجديدة في العراق، إذ تدخل السيد السيستاني لوضع الخطوات الكفيلة لإنجاح المشروع السياسي وكان دوره واضحاً في تفعيل المشاركة الواسعة في الانتخابات، ودعم التصويت لمثلي الشعب عن طريق صناديق الاقتراع عبر التعبئة الجماهيرية والتحرك الشعبي.

لذا فهو أبرز الفواعل التي أدت إلى إنجاح المسار السياسي والدورات الانتخابية المختلفة، إذ إنه أسس لنظام ديمقراطي يركز على الإرادة الشعبية والمشاركة الفاعلة، بالإضافة إلى إشراك الأمم المتحدة، وقد استعملت المرجعية وسائل متعددة للتأثير في الجمهور والرأي العام عبر الفتاوى والخطب والبيانات والمواقف، وكانت تركز على مسألة الانتخابات واحترام رأي الشعب في اختيار ممثليه، لذلك نجد أن نسب المشاركة في الانتخابات وصلت إلى ٧٦٪ في انتخابات عام ٢٠٠٥ وتجاوزت نسبة الموافقة في التصويت للدستور ٧٨٪ بفعل الحث على المشاركة وإدلاء المواطنين بأصواتهم في الانتخابات^(٤٩).

ومن الأمور التي أكد عليها السيد السيستاني مسألة شكل نظام الحكم في العراق، الذي ينبغي أن يحدده الشعب العراقي عبر انتخابات عامة تنبثق عن إرادة أغلبية الشعب، وأن يحترم دين الأغلبية، ويأخذ بقيمه ولا يخالف في قراراته شيئاً من أحكامه، ولكي يختار كل عراقي من يمثله في مجلس تأسيسي لكتابة الدستور، ثم يطرح الدستور الذي يقره هذا المجلس على الشعب للتصويت عليه، لذلك نجد أن مسألة التأكيد على الإرادة الشعبية ودورها في تحديد وتقرير مصير البلد يؤكد عليها كثيراً، وهو يؤكد رفضه أن يخطط الأجنبي لمستقبلهم السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي (٥٠).

إن تتبع بيانات ووصايا المرجعية تؤكد الحرص الشديد على المشاركة الشعبية الواسعة التي تضمنها المشروعية على أي حكومة، والتي يمكن وضعها ضمن المستوى الثاني والمستوى الثالث من مستويات المشاركة السياسية التي حددها كارل دوتش من حيث تحقيقها المشاركة الشعبية ضمن نطاق الأشخاص الذين يدلون بأصواتهم في الانتخابات، ويتابعون بشكل عام ما يحدث في الساحة السياسية، أو أولئك الذين يشاركون بشكل موسمي في العمل السياسي، أو يشاركون اضطرارياً في أوقات الازمات، بالإضافة إلى تحقيقها نسبة مقبولة من

الأشخاص ممن ينتمون الى المستوى الأول في بعض خصائصه، ولو ان المسار السياسي لم يخرج عن النمط الذي دعا إليه بما يحقق طموحات المجتمع المشروعة، فإنه سوف يحقق نجاحا أكبر في جميع تلك المستويات.

الخاتمة

تبين عن طريق الدراسة الأهمية الكبيرة التي تحتلها مسألة المشاركة السياسية عبر مستوياتها المختلفة؛ ولا سيما المستويات التي حددها كارل دوتش، لما تحققة من نتائج إيجابية في التنمية العامة للبلد بمختلف مجالاتها، بالإضافة الى كونها تعكس مستوى الثقافة السياسية لدى أفراد المجتمع بشكل عام، ودورها في تحقيق الاستقرار السياسي، وتمتع من ظهور الاستبداد والحكم الشمولي.

وقد واجه العراق بعد إسقاط الديكتاتورية تحديا خطيرا في مسألة المشاركة السياسية بشكل عام، والمشاركة الانتخابية بشكل خاص، كونه حديث عهد بالحرية والحقوق السياسية؛ بسبب نمط الحكم الشمولي السائد في الحقبة السابقة، الامر الذي تطلب تدخلا فوريا لأخذ زمام المبادرة وتوجيه المجتمع لإيصاله إلى بر الأمان، وكان للعامل الديني أثره الفاعل في مسار النسق الثقافي للمجتمع عن طريق الدور الكبير الذي مارسته المرجعية الدينية في سد تلك الفجوة الكبيرة في منظومة الوعي الاجتماعي، والعمل على التنشئة الثقافية السياسية لدى أفراد المجتمع العراقي.

وكانت التوجيهات الحكيمة للسيد علي الحسيني السيستاني في الجانب السياسي، والدعوات المستمرة إلى ضرورة المشاركة في الانتخابات الدورية المختلفة، والعمل الجاد على اشراك المجتمع في تحديد بوصلة المسار السياسي، وتحمله مسؤولية خياراته السياسية، قد أحدثت تحولا نوعيا في مجال المشاركة السياسية الفاعلة، وفي توسيع نطاق الحراك السياسي من قبل أفراد المجتمع العراقي، وهو مؤشر إيجابي حقق الكثير من النتائج على المستوى المرحلي

في ترسيخ الخيار الديمقراطي عن طريق انتخاب ممثلي الشعب، وجعل الانتخابات افضل الخيارات المطروحة في تحقيق آمال الشعب العراقي وطموحاته، بالإضافة إلى أبعاده الاستراتيجية المستقبلية في توسيع نطاق قاعدة الثقافة السياسية ووضع قواعدها الأساسية.

الأمر الذي يتطلب العمل الجاد على تنمية الثقافة السياسية النابعة من هوية المجتمع الدينية، وكذلك ضرورة تفعيل المشاركة السياسية بوصفها عاملاً مهماً ومؤثراً في توجيه المسارات السياسية وصناعة مستقبل البلد ونهضته في مختلف الاتجاهات. ويمكن تحقيق تلك الأهداف بالاعتماد على توجيهات ووصايا السيد السيستاني التي لها الأثر الكبير في مسار المشاركة السياسية الفاعلة للمجتمع العراقي.

الهوامش

- ١- ينظر: عوامل نجاح المشاركة السياسية، احمد صادق جعفر، مجلة العلوم القانونية والسياسية، المجلد الثامن، العدد الأول، ٢٠١٩: ٣٦٥.
- ٢- ينظر: الثقافة السياسية في المجتمع العراقي (دراسة انثروبولوجية)، نصير فكري ذياب الربيعي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٤: ٣١٥.
- ٣- المشاركة السياسية، مقارنة مفاهيمية وتاريخية، نجوى فلكاوي، المشاركة السياسية للمرأة الجزائرية دراسات وابحث، اشغال الندوة العلمية الوطنية، منشورات مؤسسة حسين رأس الجبل للنشر والتوزيع، ٢٠١٦، ط ١، ٣٤٥.
- ٤- ينظر: عبد العظيم جبر حافظ، الثقافة السياسية وبناء الوحدة الوطنية (حالة العراق)، ٢٠١٩: ٣٧٥.
- ٥- ينظر: مقومات بناء المجتمع العراقي في ظل التحول الديمقراطي بعد عام ٢٠٠٣، دور السيد علي السيستاني انموذجا، حسين عبد الحسن مويح، مؤتمر الفرادة التداوئية للسيد السيستاني المنهج العلمي والسلوك القيمي، اكااديمية الوارث للتنمية البشرية والدراسات الاستراتيجية، ٢٠٢٣: ٤٨-٤٩.
- ٦- ينظر: مجموعة باحثين، آية الله السيد علي السيستاني، الواقعية الإسلامية.. السلام والامن في العراق، ترجمة وتحرير: مركز البيدر للدراسات والتخطيط، ٢٠٢٢: ٢ و ٧.
- ٧- التنشئة السياسية وأثرها على واقع المشاركة السياسية في الجزائر، مسعودي عبد الرؤوف، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، المجلد ٢، العدد ٢، ٢٠٢٣: ٣٢٠.
- ٨- ينظر: آية الله السيد علي السيستاني، الواقعية الإسلامية.. السلام والامن في العراق، مصدر سابق: ١٥-١٦.
- ٩- دور الاعلام التفاعلي في تدعيم الثقافة السياسية لدى الطالب الجزائري - دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة حسية بن بو علي بالشلف، مريم يوسف عشيرة: مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاتصالية، العدد ١٧، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٩: ١٢٧. نقلا عن: Sadro Michael, Comparative Politics, Boston: McGraw-Hill, ٢٠٠١.
- ١٠- ينظر: عوامل نجاح المشاركة السياسية، احمد صادق جعفر، مصدر سابق: ٣٦٥.
- ١١- الأحزاب السياسية في الجزائر ورهان الثقافة السياسية في الجزائر، مبارك فريطاس، لغويل سميرة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد ١٤، العدد ٢، الجزائر، ٢٠٢١: ٣٣٠.
- ١٢- أثر القيم الرأسمالية في الثقافة السياسية في البلدان النامية، ياسر علي إبراهيم، مجلة

- السياسة والدولية، العدد ٢٠، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٢: ٢٤٦.
- ١٣- ينظر: مصادر الديمقراطية: ثقافة المجموع ام دور النخبة، دايمون لاري، ترجمة: سمية فلو عبود: ١٦.
- ١٤- علم اجتماع السياسة - مبادئ علم السياسة، موريس دوفرليه، ترجمة: سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط١، ١٩٩: ٩٩.
- ١٥- ينظر: الثقافة السياسية والبحث في آليات إعادة صياغة العلاقة بين الدولة والمجتمع المدني في الجزائر، علي بن طاهر، مجلة الفكر المتوسطي، مجلد ١٠، العدد ٢، الجزائر، ٢٠٢١: ١٩٩.
- ١٦- الثقافة السياسية لدى الشباب المثقف واهم العوامل المؤثرة والمتحكمة فيها - دراسة ميدانية لمدينة مستغانم، كرايبة امينة، مجلة التدوين، عدد ١١، ٢٠١٨: ١٩٩.
- ١٧- ينظر: مفهوم الثقافة السياسية: دراسة نظرية تأصيلية، مفاهيم الأسس العلمية للمعرفة، كمال المنوفي، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، ٢٠٠٨: ١٤.
- ١٨- ينظر: دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية الثقافة السياسية لدى الشباب الجزائري، بوطالب حمزة، وغانم عبد الوهاب، مجلة الرسالة للدراسات الإعلامية، الجزائر، المجلد ٥، العدد ٢، ٢٠٢١: ٤٤٤ - ٤٤٥.
- ١٩- ينظر: دراسات في علم الاجتماع السياسي، عبد الهادي أحمد الجوهري، سلسلة علم الاجتماع المعاصر، الكتاب الستون، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٥: ٢٣-٢٥.
- ٢٠- الثقافة السياسية المتغيرة، كمال المنوفي، مصر، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٩: ٢١.
- ٢١- سيكولوجية المشاركة السياسية مع دراسة في علم النفس السياسي، طارق محمد عبد الوهاب، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٠: ١٠٨.
- ٢٢- ينظر: العوامل السياسية والقانونية وأثرها على المشاركة السياسية، جعفرورة مصعب، مجلة الدراسات القانونية والسياسية، مجلد ٥، العدد ٢، ٢٠١٩: ١٧٨.
- ٢٣- المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية «مستوياتها ومعوقاتهما»، رفيق محمود المصري: مجلة الشارقة للعلوم الانسانية. العدد ١٠١: ٢٠١٠: ٢١٠.
- ٢٤- ينظر: المشاركة السياسية والديموقراطية - اتجاهات نظرية ومنهجية، مصدر سابق: ١٧.
- ٢٥- ينظر: المشاركة السياسية والديموقراطية - اتجاهات نظرية ومنهجية حديثة تساهم في فهم العالم من حولنا، سامية خضر صالح، ٢٠٠٥: ٢٦-٢٧.
- ٢٦- السيطرة على الاعلام، نعوم تشومسكي، ترجمة: اميمة علد اللطيف، القاهرة، مكتبة

- الشروق الدولية، ٢٠٠٣: ٧.
- ٢٧- الاعلام والسياسة - وسائل الاتصال الجماهيري والمشاركة السياسية، ثروت مكّي، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٥: ٦٧.
- ٢٨- التنمية المحلية، رشاد احمد عبد اللطيف، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية- مصر، ط١، ٢٠١١: ٨٦.
- ٢٩- التنمية الاجتماعية، عبد الهادي محمد والي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨: ١١٤.
- ٣٠- ينظر: المؤسسات السياسية والقانون الدستوري والأنظمة السياسية الكبرى، موريس دوفرجيه، ترجمة: جورج سعد، لبنان، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٢: ٣٤٦.
- ٣١- المشاركة السياسية لطلبة جامعة الموصل (دراسة ميدانية)، حمدان رمضان محمد خليل الخالدي، مجلة دراسات موصلية، العدد ١١، كانون الثاني، ٢٠٠٦: ١١٨.
- ٣٢- ينظر: العوامل السياسية والقانونية وأثرها على المشاركة السياسية، جعفرورة مصعب، مصدر سابق: ١٧٦-١٧٧.
- ٣٣- ينظر: Karl Deutch, social mobilization and political Development: American political science Review ، Iv ، Sept ١٩٦١. عن: المشاركة السياسية لطلبة جامعة الموصل، مصدر سابق: ١٢٣.
- ٣٤- ينظر: العوامل السياسية والقانونية وأثرها على المشاركة السياسية، جعفرورة مصعب، مصدر سابق: ١٧٧.
- ٣٥- ينظر: المشاركة السياسية والديموقراطية - اتجاهات نظرية ومنهجية حديثة تساهم في فهم العالم من حولنا، سامية خضر صالح، ٢٠٠٥: ٢٣-٢٥.
- ٣٦- المشاركة السياسية لطلبة الجامعات الأردنية، بارعة النقشبندى، ذياب مخادمة، مجلة الدراسات، المجلد ٢٩، العدد ١، ٢٠٠٠: ٥٠.
- ٣٧- ينظر: علم الاجتماع السياسي، إبراهيم ابراش، دار القرون، عمان، ١٩٩٨: ٢٤٨-٢٤٩.
- ٣٨- ينظر: تاريخ علم الاجتماع - الرواد والاتجاهات المعاصرة، محمد علي محمد، ط٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩: ٢٣٠-٢٨٠.
- ٣٩- ابعاد المشاركة السياسية في دول العالم الثالث، ناجي صادق شريف، مجلة الوحدة، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، السنة الرابعة، ١٩٨٨: ٦٩.
- ٤٠- Parcto and Mosca ، Englewood cliffs New Jersey ، Prentice Hall ، ١٩٠٥ ،

٤٦-٣٢٦. . نقلا عن: المشاركة السياسية لطلبة جامعة الموصل، مجلة دراسات موصلية، مصدر سابق: ١٢٤-١٢٥.

٤١- ينظر: التنشئة الاجتماعية السياسية والتحول الديمقراطي في العراق، ياسين البكري، هالة كريم تركي، مركز حضارة العراق، بغداد، ط١، ٢٠١٣: ٦٨.

٤٢- ينظر: دور السيد السيستاني وفاعليته في بناء الثقافة السياسية بعد عام ٢٠٠٣، عبد الخالق كاظم ابراهيم، مؤتمر: الفرادة التداؤبية للسيد السيستاني المنهج العلمي والسلوك القيمي، مصدر سابق: ٦٢-٦٣.

٤٣- ينظر: موقف السيد علي السيستاني (دام ظلّه) من الانتخابات التشريعية بعد العام ٢٠٠٣، منى حسين عبيد، مؤتمر: الفرادة التداؤبية للسيد السيستاني المنهج العلمي والسلوك القيمي، مصدر سابق: ٢٦-٢٧.

٤٤- ينظر: النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، حامد الخفاف، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط٦، ٢٠١٥: ٣٥-٣٦.

٤٥- ينظر: دليل فعاليات وبحوث مهرجان فتوى الدفاع المقدسة الثقافي الرابع، ج٢، العتبة العباسية المقدسة، ٢٠٢١: ٤٠.

٤٦- ينظر: دور السيد السيستاني وفاعليته في بناء الثقافة السياسية بعد عام ٢٠٠٣، عبد الخالق كاظم ابراهيم، مؤتمر: الفرادة التداؤبية للسيد السيستاني المنهج العلمي والسلوك القيمي، مصدر سابق: ٦٣.

٤٧- ينظر: المرجعية الدينية- الموقف الوطني في العراق بعد ٢٠٠٣، كارولين مرجي صايغ، ترجمة نصر محمد علي، مراجعة حسن ناظم، مركز الرافدين للحوار، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٢٠: ٢٢-٢٣.

٤٨- ينظر: الحكم الرشيد في العراق: دراسة في إشكالية الديمقراطية التوافقية بعد عام ٢٠٠٣ ومستلزمات الإصلاح وفق رؤية السيد علي السيستاني، سيف حيدر الحسيني، مؤتمر: الفرادة التداؤبية للسيد السيستاني المنهج العلمي والسلوك القيمي، مصدر سابق: ١٢٤-١٢٥.

٤٩- ينظر: دور المرجعية الدينية في تفعيل المشاركة في الانتخابات البرلمانية العراقية (دراسة في جغرافية الانتخابات)، احمد حميد رسام البركات، مؤتمر: الفرادة التداؤبية للسيد السيستاني المنهج العلمي والسلوك القيمي، مصدر سابق: ٢١٨-٢٢٠.

٥٠- ينظر: النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، حامد الخفاف، مصدر سابق: ٢٢-٢٣ و ٣٢.

المصادر والمراجع

- * المشاركة السياسية لطلبة جامعة الموصل (دراسة ميدانية)، حمدان رمضان محمد خليل الخالدي، مجلة دراسات موصلية، العدد ١١، كانون الثاني، ٢٠٠٦.
- * ملخصات البحوث المشاركة في مؤتمر: الفرادة التداؤبية للسيد السيستاني المنهج العلمي والسلوك القيمي، مجموعة من الباحثين، أكاديمية الوارث للتنمية البشرية والدراسات الاستراتيجية، ٢٠٢٣.
- * ابعاد المشاركة السياسية في دول العالم الثالث، ناجي صادق شريف، مجلة الوحدة، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، السنة الرابعة، ١٩٨٨.
- * العوامل السياسية والقانونية وأثرها على المشاركة السياسية، جعفرورة مصعب، مجلة الدراسات القانونية والسياسية، مجلد ٥، العدد ٢، ٢٠١٩.
- * المشاركة السياسية والديموقراطية - اتجاهات نظرية ومنهجية حديثة تساهم في فهم العالم من حولنا، سامية خضر صالح، ٢٠٠٥.
- * المؤسسات السياسية والقانون الدستوري والأنظمة السياسية الكبرى، موريس دوفرجييه، ترجمة: جورج سعد، لبنان، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٢.
- * دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية الثقافة السياسية لدى الشباب الجزائري، بوطالب حمزة وغانم عبد الوهاب، مجلة الرسالة للدراسات الإعلامية، الجزائر، المجلد ٥، العدد ٢، ٢٠٢١.
- * تاريخ علم الاجتماع - الرواد والاتجاهات المعاصرة، محمد علي محمد، ط ٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩.
- * النصوص الصادرة عن ساحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، حامد الخفاف، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط ٦، ٢٠١٥.
- * مصادر الديمقراطية: ثقافة المجموع ام دور النخبة، دايمون لاري، ترجمة: سمية فلو عبود.
- * دراسات في علم الاجتماع السياسي، عبد الهادي احمد الجوهري، سلسلة علم الاجتماع المعاصر، الكتاب الستون، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٥.
- * دليل فعاليات وبحوث مهرجان فتوى الدفاع المقدسة الثقافي الرابع، ج ٢، العتبة العباسية المقدسة، ٢٠٢١.
- * المشاركة السياسية لطلبة الجامعات الأردنية، بارعة النقشبندي، ذياب مخادمة، مجلة الدراسات، المجلد ٢٩، العدد ١، ٢٠٠٠.
- * الثقافة السياسية وبناء الوحدة الوطنية (حالة العراق)، عبد العظيم جبر حافظ، ٢٠١٩.
- * علم الاجتماع السياسي، إبراهيم ابراش، دار القرون، عمان، ١٩٩٨.
- * أثر القيم الرأسمالية في الثقافة السياسية في البلدان النامية، ياسر علي إبراهيم، مجلة

«مستوياتها ومعوقاتهما»، رفيق محمود المصري: مجلة الشارقة للعلوم الانسانية. العدد ١. ٢٠١٠.

* الاعلام والسياسة - وسائل الاتصال الجماهيري والمشاركة السياسية، ثروت مكى، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٥.

* التنشئة السياسية وأثرها على واقع المشاركة السياسية في الجزائر، مسعودي عبد الرؤوف، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، المجلد ٢، العدد ٢، ٢٠٢٣.

* التنشئة الاجتماعية السياسية والتحول الديمقراطي في العراق، ياسين البكري، هالة كريم تركي، مركز حضارة العراق، بغداد، ط ١، ٢٠١٣.

* التنمية الاجتماعية، عبد الهادي محمد والي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨.

* التنمية المحلية، رشاد احمد عبد اللطيف، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية- مصر، ط ١، ٢٠١١.

* الثقافة السياسية المتغيرة، كمال المنوفي، مصر، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٩.

* السيطرة على الاعلام، نعمون تشومسكي، ترجمة: اميمة عدل اللطيف، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٣.

* المشاركة السياسية، مقارنة مفاهيمية وتاريخية، نجوى فلكاوي، المشاركة السياسية للمرأة الجزائرية دراسات

السياسة والدولية، العدد ٢٠، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٢.

* الثقافة السياسية والبحث في آليات إعادة صياغة العلاقة بين الدولة والمجتمع المدني في الجزائر، علي بن طاهر، مجلة الفكر المتوسطي، مجلد ١٠، العدد ٢، الجزائر، ٢٠٢١.

* عوامل نجاح المشاركة السياسية، احمد صادق جعفر، مجلة العلوم القانونية والسياسية، المجلد الثامن، العدد الأول، ٢٠١٩.

* المرجعية الدينية - الموقف الوطني في العراق بعد ٢٠٠٣، كارولين مرجي صابغ، ترجمة نصر محمد علي، مراجعة حسن ناظم، مركز الرافدين للحوار، ط ١، بيروت، لبنان، ٢٠٢٠.

* مفهوم الثقافة السياسية: دراسة نظرية تأصيلية، مفاهيم الأسس العلمية للمعرفة، كمال المنوفي، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، ٢٠٠٨.

* آية الله السيد علي السيستاني، الواقعية الإسلامية.. السلام والامن في العراق، مجموعة باحثين، ترجمة وتحرير: مركز البيدر للدراسات والتخطيط، ٢٠٢٢.

* الأحزاب السياسية في الجزائر ورهان الثقافة السياسية في الجزائر، مبارك فريطاس، لغويل سميرة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد ١٤، العدد ٢، الجزائر، ٢٠٢١.

* المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية

- وابحاث، اشغال الندوة العلمية الوطنية، منشورات مؤسسة حسين رأس الجبل للنشر والتوزيع، ط ١٦، ٢٠١٦.
- * سيكولوجية المشاركة السياسية مع دراسة في علم النفس السياسي، طارق محمد عبد الوهاب، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٠.
- * الثقافة السياسية لدى الشباب المثقف واهم العوامل المؤثرة والمتحكمة فيها - دراسة ميدانية لمدينة مستغانم، كراية امينة، مجلة التدوين، عدد ١١، ٢٠١٨.
- * دور الاعلام التفاعلي في تدعيم الثقافة السياسية لدى الطالب الجزائري - دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة حسبية بن بو علي بالشلف، مريم يوسف عشيرة، مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاتصالية، العدد ١٧، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٩.
- * علم اجتماع السياسة - مبادئ علم السياسة، موريس دوفرجيه، ترجمة: سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط ١، ١٩٩١.
- * الثقافة السياسية في المجتمع العراقي (دراسة انثروبولوجية)، نصير فكري ذياب الربيعي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٤.

فتوى الجهاد الكفائي وقبول الآخر في فكر المرجعية الدينية قراءة في الأبعاد والأهمية

الشيخ أحمد نجر طلاب الجابري / رئيس قسم الشؤون الدينية وعلوم القرآن في الأمانة العامة للمزارات الشيعية الشريفة

ملخص البحث

عُرف منهج المرجعية الدينية في النجف الأشرف بالإبتعاد طيلة عقود طويلة عن السلطة وعن العمل السياسي المباشر، لحفظ استقلالية الحوزات العلمية وعدم البقاء تحت هيمنة الحكام خاصة، إن تدخل المرجعية في السياسة مسألة معقدة أثرت حولها إشكالات كثيرة، وهذا لا يعني مطلقاً أن المرجعية لم يكن لها رأي في الأمور السياسية، بل إن بعض العلماء لهم دور واضح في رسم الخطط والمناهج السياسية.

تناول البحث أثر فتوى الجهاد الكفائي في بناء السلم المجتمعي وقبول الآخر، إذ بين أهم المواقف الوطنية التاريخية التي كان لها دور كبير في إبراز قبول الآخر، لاسيما دور المرجع الأعلى سماحة السيد علي السيستاني (دام ظله الشريف) في تعزيز الوحدة الوطنية عن طريق فتوى الجهاد الكفائي ثم إنني قسمت بحثي المتواضع هذا على مبحثين وهما:

المبحث الأول: ثقافة قبول الآخر وأهميتها في فكر أهل البيت (عليهم السلام).

المبحث الثاني: أثر فتوى الجهاد الكفائي في قبول الآخر في فكر المرجعية الدينية.

الكلمات المفتاحية: (فتوى الجهاد - المرجعية الدينية - قبول الآخر -

الأبعاد - الأهمية)

Abstract

The religious authority in Najaf has long been characterized with its distance from political power and direct political engagement for decades. This approach preserves the independence of the Hawzah institutions and ensures they remain free from the dominance of rulers. The involvement of the religious authority in political affairs has been a complex matter, sparking considerable debate. However, this does not mean that the religious authority has remained entirely silent on political issues. On the contrary, certain scholars have played a significant role in shaping political plans and frameworks.

This study explores the impact of the Fatwa of Sufficient Jihad on fostering societal peace and acceptance of others. It highlights key historical national stances that significantly contributed to promoting the principle of acceptance of others, particularly the pivotal role of Grand Ayatollah Seid. Ali al-Sistani (may Allah prolong his life) in strengthening national unity through the Fatwa of Sufficient Jihad.

This modest research is divided into two sections:

First Section: The culture of accepting others and its importance in the thought of Ahl al-Bayt (peace be upon them).

Second Section: The impact of the Fatwa of Sufficient Jihad the Acceptance of Others in the thought of the religious authority.

Keywords: Fatwa of Jihad, Religious Authority, Acceptance of Others, Dimensions, Significance.

المقدمة

إن من القضايا التي أكد عليها الشرع الحنيف، حتى عُدت مبدأً من مبادئه، فأولها عناية ورعاية هو مفهوم قبول الآخر، الذي كان من الآليات التي اعتمدها الإسلام في معالجة التنوع العقدي والإختلاف الديني الذي عرفته البلاد الإسلامية، كنتيجة حتمية لاحتضانها مختلف الرسالات، وذلك بعد أن صرَّح القرآن بخاتمية الإسلام لسائر الشرائع السماوية، واختتام الرسل ﷺ بسيد الكائنات محمد المصطفى ﷺ، وأن الدين المرضي عند الله إنما هو الإسلام، دون غيره من الأديان السماوية الأخرى.

وقد عُرف منهج المرجعية الدينية في النجف الأشرف بالإبتعاد طيلة عقود طويلة عن السلطة وعن العمل السياسي المباشر، وذلك لاختلاف مفهوم السياسة في المباني الفقهية، ولحفظ استقلالية الحوزات العلمية وعدم البقاء تحت هيمنة الحكام خاصة، إن تدخل المرجعية في السياسة مسألة معقدة أثرت حولها إشكالات كثيرة، وهذا لا يعني مطلقاً أن المرجعية لم يكن لها رأيٌ في الأمور السياسية، بل إن بعض العلماء لهم دور واضح في رسم الخطط والمناهج السياسية وكان لها تأثير على الساحة.

وإن المرجعية الدينية مؤسسة حقيقية عريقة كانت وما تزال ذات دور مباشر في حياة الناس الاجتماعية والسياسية، وقد تميزت مرجعية السيد علي السيستاني (دام ظلّه الشريف) في زمننا هذا باشتهاها ليس على الصعيد الأقليمي فحسب بل على الصعيد العالمي أيضاً وصار ذكره على كل لسان. وأبرز ما تميزت به المرجعية الدينية هو العمق العلمي، والزهد في الدنيا والحكمة، وهذا جعل المجتمع يرتبط بها ارتباطاً قوياً، ويستجيب سريعاً لما يصدر عنها، ويؤكد تاريخ المرجعية الدينية على أنها ومع الظروف القاسية التي مرت بها بقيت صامدة تواصل نشاطها وارتباطها، فقد لعبت دوراً مهماً

لا على مستوى الشيعة فقط، بل على مستوى المسلمين وفي مدن مختلفة. إذ كان لجهود المرجعية الدينية في موضوع الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب والسلم المجتمعي وقبول الآخر دوراً كبيراً، إذ إن التضخيم في الخلاف بين المذاهب منشأ المصالح الذاتية للسياسيين والحكام الذين يريدون تحقيق أهدافٍ معينة عبر إيقاع الفتنة وتوسيع الفجوة بين المسلمين.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية البحث من الدور المهم والمميز للمرجعية الدينية في الحياة الاجتماعية وفروعها كافة سواءً الدينية أم السياسية أم الثقافية، إذ كان لها الأثر الكبير في بلورة وصياغة الفكر الإسلامي وصياغته في مختلف المراحل، وخصوصاً وخاصة الفكر الذي يتعلق بالجانب الجهادي الذي هو مدار البحث.

فرضية الدراسة:

تنتقل الدراسة من فرضية مفادها ان دور المرجعية الدينية كان كبيراً ومؤثراً في الفكر السياسي، فقد تصدى المراجع للأحداث السياسية عبر منظومة فكرية إسلامية، وكان للمرجعية الدينية دور في معالجة القضايا السياسية خصوصاً تلك التي ترتبط بالسيادة وحفظ دماء الناس ومقدساتهم، وأن معالجتهم تنطلق من رؤية إسلامية قائمة على أساس العقائد والمبادئ الإسلامية، ومستمدةً أصولها من الدين.

منهجية الدراسة:

ولغرض الاحاطة بالدور الكبير للمرجعية الدينية فقد تناول البحث دور المرجعية الدينية في تحقيق قبول الآخر عبر فتوى الجهاد الكفائي، إذ بينت المواقف الوطنية التاريخية وأبرز الشخصيات التي كان لها دور كبير في إظهار الوحدة الوطنية والحفاظ على وحدة الشعب من التدخلات الخارجية، ثم إنني قسمت بحثي المتواضع هذا على مبحثين وهما:

المبحث الأول: ثقافة قبول الآخر واهميتها في فكر أهل البيت عليهم السلام.

المبحث الثاني: أثر فتوى الجهاد الكفائي في قبول الآخر في فكر المرجعية الدينية.

ثم خاتمة البحث التي يعرض فيها الباحث ما توصل إليه من نتائج، ثم قائمة المصادر المعتمدة لديه.

المبحث الأول: ثقافة قبول الآخر واهميتها في فكر أهل البيت عليهم السلام.

أولاً: إنسانية الدين:

يعدُّ دين الله (الإسلام)، ديناً إنسانياً جماهيرياً، وقد نوه أرباب هذا الدين على الدوام بشأن الإنسان وكرامته وقفوا بجانب الجماهير وجالسوا الفقراء والمحتاجين، وجملوا الزاد والخطب والورق إلى أبواب بيوت المساكين في الليل على كاهلهم، على خلاف المتكاثرين والملاّ والمترفين، وكان هذا الخلاف من أهم بواعث التضاد والتقاطع بين الدين وبين هؤلاء.

إن الإسلام لا يسوّغ أي بخسٍ لحق إنسان، أو أي إزراء بشخص أو طائفة، فالناس في نظر الإسلام إما أخوان في الدين، وإما نظراء في الخلق، كما جاء في كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في العهد الأشتر المعروف^(١).

فالإسلام له ميزانان لمعاملة الناس والدفاع عنهم وعن حقوقهم إما ميزان الإسلام والتدين به، وإما ميزان الإنسانية العامة، والناس في المجتمع الإسلامي سواء، إذ قال الإمام الصادق عليه السلام: «الناس سواء كأسنان المشط»^(٢). وهم أبناء الإسلام، قال الصادق عليه السلام أيضاً: «أهل الإسلام هم أبناء الإسلام، أسويّ بينهم في العطاء وفضائلهم بينهم وبين الله أحملهم كبنّي رجلٍ واحد»^(٣).

فعلى هذا الأساس يتبلور مدى إنسانية الدين وتعاليمه، ومع إمعان النظر في قول الإمام الصادق عليه السلام: «أحملهم كبنّي رجل واحد» نفهم بوضوح أن الإسلام دين إنساني جماهيري يؤكد على تحكيم الصلات الإنسانية الأخوية،

ويدعو إنسان المجتمع الإسلامي إلى أن يتكافل أبناء نوعه كأبناء أب واحد وبناته، أي كإخوانه وأخواته، ويتعاون على البر والتقوى والعدل والإحسان ولا يتعاون على الظلم والعدوان، في حين نجد المجتمع التكاثري كالغابة، يتنازع فيه المتنازعون للإكثار من المال والتهالك على الإتراف.^(٤)

ثانياً: الاختلاف من سنن الحياة:

إن من طبيعة الناس أن يختلفوا، لأن الاختلاف أصل من أصول خلقهم، وإن الحياة التي نعيشها قائمة على التناقض والأضداد في أحيان كثيرة، وهذا الذي أودعه الله تعالى في الإنسان، كان وراءه حكمة بالغة، من بعد أن جعل هذا الكائن أكرم مخلوقاته وخليفته في الأرض، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾^(٥).

وهذا الاختلاف هو للتعارف والتعاون، من أجل التعايش السلمي القائم على المحبة والمودة والتسامح، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾^(٦). والرسول محمد ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، بين في حديث عن الذين يؤمنون بالله، ويتعاونون ويتواصلون فيما بينهم، واصفا إياهم بأنهم كالجسد الواحد بقوله: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))^(٧).

إن من طبيعة الناس اختلاف النظر إلى مجمل الأشياء في الحياة والتباين في الآراء، لأن الاختلاف أصل من أصول خلقهم وهذا الاختلاف فيه حكمة عليا من استخلاف هذا الكائن في الأرض^(٨)، فخلافة الإنسان في هذه الأرض تحتاج إلى وظائف متنوعة، واستعدادات شتى للقيام بالأعمال الكثيرة، والإسلام ينظر إلى هذا الاختلاف على أنه الحافز للتنافس بين المختلفين في عمل الخير والصالح.

وبعد هذا، فقد خلق الله تعالى الناس مختلفين في صورهم وألوانهم وحتى في تصوراتهم وأفكارهم عن الحياة حتى أصبح لكل إنسان بصمة لا يتشابه فيها اثنان من الخلق، وفي ذلك حكمة بالغة، والإسلام ينظر إلى هذا الاختلاف بروح إيجابية؛ لأنه سبب وحافز للعمل والتنافس بين المختلفين من أجل إعمار الأرض وعمل الخير لصالح البشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٩).

من هذا المنهج القويم فإن الإسلام لم يعد خلق الإنسان عبثاً، إنما خلقه لأداء رسالة في هذه الحياة، فهو خلق من أجل إعمار الأرض وبناء الحياة فيها وخلافتها، يظهر ذلك من سياق الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١٠).

ولما كانت الإنسانية أسرة واحدة على اختلاف ألوانهم وأجناسه وأعراقهم وأديانهم فإن الإسلام ينظر إلى هذا الاختلاف نظرة إيجابية، لأنهم جميعاً يشتركون في صفات ومقومات ((هي وحدة الربوبية لرب واحد، ووحدة النسب من سلالة واحدة، ووحدة الخلقة والتصميم، ووحدة التاموس الذي يحكمهم، ثم وحدة المهام والهدف المقدر لهم))^(١١).

لقد جاءت الديانات السماوية جميعاً بدعوة توحيد الله سبحانه وتعالى ابتداء من آدم عليه السلام، وانتهاء بالرسول محمد ﷺ، كانت دعوتهم جميعاً واحدة هي توحيد الله وعبادته وحدة، يظهر ذلك في القرآن الكريم في عدد من الآيات، قال جل شأنه: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾^(١٢)، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾^(١٣)، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾^(١٤)، وقوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾^(١٥)، وهناك عديد من الآيات التي تبين عقيدة التوحيد الخالص، ووحدة الدين التي جاء بها الرسل.

والدعوة في القرآن الكريم إلى الإيمان بالرسول والكتب التي أنزلت عليهم من صميم الروح الإسلامي، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(١٦).
ومما تقدم نستنتج أن الله سبحانه وتعالى لم ينزل إلى البشرية عن طريق رسوله أديانا عدة، إنما نزل ديناً واحداً هو الإسلام، إنها وحدة الدين السماوي لا تعدد الأديان^(١٧)، والقرآن الكريم يدعو جميع الديانات باسم الإسلام، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(١٨).

ومع أن سائر الديانات نسخت بنزول القرآن، إلا أن الإسلام يقف منها موقف التسامح، ولكن هذا لا يعني أن يعترف الإسلام بأن كل ديانة على حق وعلى قدم المساواة معه، لأن مثل هذا الاعتراف يتعارض مع إعلانه أن الدين عند الله الإسلام^(١٩)، والإيمان بالتعددية في الإسلام يسمح للمسلمين بالالتقاء مع أتباع الديانات الأخرى في كثير من الأمور الدنيوية فيما لا يتصل بالأمر العقدي والتعبدي^(٢٠).

لقد قرر الإسلام حسن العلاقة مع الآخر المختلف في الدين لإبقاء جو السلام وحسن التعامل بين أفراد أو جماعات مختلفة العقائد متبينة الآراء والمبادئ، ونجد تقرير هذا المبدأ في آيات من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢١)، وقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾^(٢٢)، وقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٢٣).

وكما هو معلوم أن المسلمين يؤمنون أن الأديان الساوية على أصلها كلها من عند الله، ويجب على أبنائها أن يتلاقوا جميعاً على كلمة سواء من عند الله، وأن أصول الإسلام الإيمان والتصديق بالأديان الساوية كلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٤)، بل إن الإسلام يدعو إلى عدم التجريح وسب معتقدات الآخرين.

ثالثاً: أهمية قبول الآخر:

الإسلام ليس منهج اعتقاد وإيمان وشعور في القلب فحسب، بل هو منهج حياة إنسانية واقعية يتحول فيها الاعتقاد والإيمان إلى ممارسة سلوكية في جميع جوانب الحياة لتقوم العلاقات على التراحم والتكافل والتناصح، فتكون الأمانة والسماحة والمودة والإحسان والعدل هي القاعدة الأساس التي تنبثق منها العلاقات الاجتماعية، وهذا ما يلزم الأفراد بالكثير من الواجبات تجاه بعضهم كأفراد وتجاه المجتمع ككيان اجتماعي يحتضن جميع أفراد.

وكذلك جعل الإسلام كل مسلم مسؤولاً في بيئته الاجتماعية، يمارس دوره الاجتماعي من موقعه، ودعا النبي ﷺ إلى الاهتمام بأمور المسلمين ومشاركتهم في أمالهم وآلامهم.

فقال ﷺ: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم» (٢٥).

ودعا الإمام الصادق عليه السلام إلى الالتصاق والاندكك بجماعة المسلمين، فقال عليه السلام:

«من فارق جماعة المسلمين قيد شبر، فقد خلع ربة الإسلام من عنقه» (٢٦).

وهكذا حث أهل البيت عليه السلام على استعمال الأساليب المؤدية إلى الألفة

والمحبة وطيب الكلام، ونبد الأساليب المؤدية إلى المقاطعة والتباغض.

وقد وضع الإسلام منهاجاً متكاملماً في العلاقات قائماً على أساس مراعاة

حقوق أفراد المجتمع فرداً فرداً وجماعة جماعة، قال تعالى: «إن الله يأمر

بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون».

فالتقيد بهذا الأمر الإلهي يعصم الإنسان من التقصير في حقوق المجتمع، ويدفعه إلى العمل الدؤوب لتحقيق حقوق الآخرين وأداء مسؤوليته على أحسن وجه أراده الله تعالى منه.

لقد وضع الإسلام أسساً عامة في علاقة الفرد بالمجتمع، ووضع لكل طرف حقوقه وواجباته للنهوض من أجل إتمام مكارم الأخلاق، وإشاعة الحب والوئام في ربوع المجتمع الإنساني وفيما يأتي نستعرض باختصار شديد جملة من حقوق المجتمع على الفرد والأسرة، وأهم تلك الحقوق من غير التي ذكرناها سابقاً:

التعاون على البر والتقوى، لا الإثم والعدوان، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (٢٧).

وعن النبي ﷺ قال: «رأس العقل بعد الإيمان بالله، التودد إلى الناس، واصطناع الخير إلى كل بر وفاجر» (٢٨).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «أيما مؤمن أوصل إلى أخيه المؤمن معروفاً، فقد أوصل ذلك إلى رسول الله ﷺ» (٢٩).

وعن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «ابذل معروفك للناس كافة فإن فضيلة فعل المعروف لا يعدلها عند الله سبحانه شيء» (٣٠).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «ثلاث لم يجعل الله لأحد من الناس فيهن رخصة: بر الوالدين، برين كانا أو فاجرين، ووفاء بالعهد للبر والفاجر، وأداء الأمانة إلى البر والفاجر» (٣١).

وعن الإمام الحسين (عليه السلام) «قال عنده رجل: إن المعروف إذا أسدي إلى غير أهله ضاع، فقال (عليه السلام): ليس كذلك، ولكن تكون الصنعة مثل وابل المطر، تصيب البر والفاجر» (٣٢).

وهناك سؤال يحتاج إلى إجابة وهو لماذا فكر أهل البيت عليهم السلام؟ والجواب بالآتي (٣٣):

١- إن فكر أهل البيت عليهم السلام يسعى لإيجاد تيار الاعتدال في العالم الإسلامي، وبعبارة أخرى باستطاعة فكر أهل البيت عقلنة المشروع الإسلامي ودفعه إلى الوسطية.

٢- إن التمايز الديني لا يؤثر في الاحترام المتبادل، ومكارم الأخلاق وتكافل الحقوق الإنسانية.

٣- إن فكر أهل البيت عليهم السلام يستوعب الشعوب وثقافتها وكذا القوميات لذا نشاهد أتباع أهل البيت ينتشرون في جميع القارات أي إن له ديناميكية خاصة تتفاعل مع المتغيرات المختلفة.

ويلزم التركيز على المفاهيم الحيوية للإسلام كالعدل، والسلام، والمحبة، والتعايش، ومفهوم الحياة، واحترام الحقوق، والقيم الروحية والأخلاقية، واستيعاب معارف الشعوب أي ديناميكية تطور فكر أهل البيت عليهم السلام وتفاعلها مع الشعوب. كما يجب تخصيص مساحة زمنية في المؤسسات الإعلامية (إذاعات، قنوات فضائية، مواقع إنترنت) لحمل هموم هذا الفكر والتبليغ به، ويحتاج ذلك إلى عقد جلسات تنسيقية بين هذه المؤسسات (٣٤).

إن فكر أهل البيت عليهم السلام يمتلك مفتاح تقدم الإنسانية، وسعادتها، ويتعامل مع الحقائق، ويجمع بينها وبين مثالية الأخلاق، ويقود الإنسان إلى الروحانية الحقيقية، عن طريق الأدعية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، ونشر الأحاديث، والروايات، وترجمتها إلى اللغات العالمية ولاسيما تلك الآثار ذات البعد العقائدي، والتربوي، والاجتماعي والعلاقاتي، ودعوة الحقوقيين العالميين لدراسة حقوق الإنسان في فكر أهل البيت عليهم السلام عبر المؤتمرات والندوات، ودراسة انعكاسات الإرهاب على وضع أتباع أهل البيت عليهم السلام والاستفادة من تجارب

الآخرين في جانب نشر الدعوة الإسلامية التي تنسجم مع قيمنا ومبادئنا الإسلامية والإنسانية^(٣٥).

المبحث الثاني: أثر فتوى الجهاد الكفائي في قبول الآخر في فكر المرجعية الدينية.

• فتوى الجهاد الكفائي:

في ١٣ من حزيران ٢٠١٤م وبعد سيطرة داعش على ثلث أراضي العراق، وفي طريقهم إلى بغداد، الأمر الذي دفع القيادات الأمنية في العراق إلى تأسيس مجموعة مسلحة مكونة من عموم الشعب تحت عنوان الحشد الشعبي، وبعد ثلاثة أشهر من انطلاق عمل الحشد الشعبي أفتت المرجعية في النجف الأشرف عبر خطبة الجمعة في ١٣ يونيو/ حزيران بوجوب الجهاد الكفائي، الذي دعت فيه كل من يستطيع حمل السلاح بالمشاركة في القتال إلى جانب الأجهزة الأمنية الحكومية، فاستجاب أبناء الشعب العراقي إلى فتوى المرجعية.

دور السيد السيستاني (دام ظله الشريف) في تعزيز السلم المجتمعي وقبول الآخر من خلال فتوى الجهاد الكفائي:

لقد كان للمرجعية الدينية الشريفة دور فاعل في أحداث العراق والمنطقة قبل سقوط النظام لا يمكن لأحد أن يتجاهله، إذ يعود تاريخ مشاركة علماء الدين العراقيين في صميم السياسة إلى سنوات الحرب العالمية الأولى، إذ دعا علماء الشيعة للجهاد مع العثمانيين ضد الإنجليز، وشارك بعضهم في القتال فعلاً، إلا أن تنامي دورها الأساس والرئيس في الشؤون العامة ظهر بعد الاحتلال الأمريكي للعراق ٢٠٠٣.

وبعد صعود التيارات السياسية الإسلامية والقومية والمدنية إلى السلطة في العراق بعد سقوط النظام البائد، ظهرت بعض الأصوات الشعبية تطالب بإشراف ورعاية المرجعية الدينية في النجف الأشرف وعلى رأسها (السيد

علي السيستاني) للعملية السياسية في العراق وعدم ترك الأمور بيد الاحتلال وتلك التيارات السياسية المختلفة.

وفعلاً دعت المرجعية الدينية الشريفة إلى أخذ رأي الشعب في كل الأمور التي تخص البلد ابتداءً من الدعوة لتشكيل حكومة عراقية وإنهاء سلطة الاحتلال المؤقتة^(٣٦).

ثم الدعوة لكتابة دستور دائم للبلاد من قبل العراقيين، والدعوة أيضاً لإجراء انتخابات حرة ونزيهة لاختيار أعضاء المجالس المختلفة، (مجلس النواب، ومجالس المحافظات والاقضية والنواحي)، لذلك كان - وما يزال - للمرجعية الدينية في النجف الاشراف دور مهم في المرحلة الراهنة لأجل تشخيص نقاط القوة والضعف في الأداء السياسي لتلك التيارات والأحزاب السياسية العراقية.

ثم تصاعد هذا الدور وبشكل لافت للنظر بعد دخول تنظيم داعش الإرهابي للعراق وسيطرته على أجزاء مهمة في الموصل والانبار وكركوك وصلاح الدين، هذا الدور تمثل بفتوى الجهاد الكفائي لصد التنظيمات الإرهابية والدفاع عن الوطن والمقدسات وآخرها الوقوف مع الشعب في مطالبته بالتغيير ومحاسبة المسؤولين المقصرين والفاستدين وتوفير الخدمات للشعب^(٣٧).

إن من أسباب تدخل المرجعية الدينية في الأمور السياسية والعامّة للبلاد ما يأتي:

١- تدخل المرجعية في الحياة السياسية، نابع من حرصها الشديد على أن ينال كل العراقيين حقوقهم، وان لا يكون هنالك تمييز لشريحة معينة على حساب بقية شرائح الأمة، وتأتي أيضاً من تفهم المرجعية الرشيدة لأهمية الدستور في حياة أي أمة وهي ترى أهميته في حياة الأمم المتحضرة، وهذا ما يتماشى مع ما تدعو إليه المرجعية من إحلال السلم والعدالة الاجتماعية لمكونات الشعب العراقي كافة

وأن لا يكون لفئة ما امتياز على بقية الفئات وهذا هو موقف ابوي تجاه شرائح المجتمع العراقي وليس موقفاً سياسياً إلزامياً.

٢- لقد كانت مرجعية (السيد علي السيستاني) ترى بأن الأمور ستتحسن عند إجراء الانتخابات، إذ سيأخذ كل ذي حق حقه، ولكن ظهر تقصير واضح من قبل الذين تصدوا للعمل السياسي في العراق من مختلف المكونات، تمثل ذلك بظهور التقسيم الطائفي - المحاصصة الطائفية - للحكم في العراق وليس على أساس الكفاءة والمؤهلات، كذلك استشرى الفساد المالي والإداري في كل مفاصل الدولة وعلى مختلف المستويات، في وضع لم يشهده العراق عبر تاريخه السياسي. وأخيراً أدى هذا التناحر بين الكتل السياسية والفساد المالي إلى سوء الخدمات وتزايد مستويات الفقر وسرقة المال العام، ودخول مجموعات الإرهاب عن طريق تنظيم داعش الإرهابي والاستيلاء على مساحات واسعة من العراق، وعلى الرغم من التحذير المستمر للمرجعية الدينية للسياسيين من خطورة هذه الأمور على مستقبل العراق، ودعواتها المستمرة إلى الالتزام بحرية الشعب وتوفير العيش السليم له والحفاظ على المال العام، ومطالبتها المواطنين في بداية إي انتخابات على مستوى النواب أو المحافظات، بالاختيار على أساس الكفاءة والنزاهة لتولي المناصب العليا في البلاد، وذلك في محاولة لتغيير الوضع القائم وإنهاء حالة الانقسام والفساد المستشري بالطرق الديمقراطية عن طريق الانتخابات.

٣- بعد وصول التنظيمات الإرهابية إلى المناطق المقدسة والأهلة بالسكان، وقتلها الآلاف من العراقيين في الموصل وصلاح الدين على أساس طائفي، وعدم وجود قوات عسكرية نظامية من الجيش والشرطة قادرة على وقف تقدم الإرهاب، أدركت المرجعية الدينية خطورة الوضع الأمني، واحتمال انجرار البلاد للحرب الأهلية الشاملة، لذا جاءت دعوة المرجعية الدينية

لكل العراقيين إلى الجهاد الكفائي للدفاع عن الوطن والمقدسات.

٤- تمتع المرجعية الدينية في العراق بالتأييد الشعبي الواسع ومن مختلف شرائح ومكونات المجتمع، وذلك لمواقفها الوطنية التي لم تفرق بين مكون وآخر، وتصديها لدعم القيادات السياسية في العراق تحقيقاً لتوازن سياسي، وتحقيقاً لسلم اجتماعي لتلافي وقوع حرب طائفية أو اهلية وصولاً إلى استقرار المجتمع العراقي داخلياً، فقد دعت للتهدئة في العديد من الاحداث ومنها تفجير الإمامين العسكريين (عليه السلام).

لقد كانت المرجعية الدينية واعية للمخططات الامريكية التي تحاك ضد العراق ومحاوله إثارة الحرب الطائفية فيه، فكان هذا التأييد الشعبي الواسع لها بمثابة دعوة شعبية لتدخل المرجعية الدينية في الشؤون العامة للبلاد، فعُدَّت الملجأ الأول والأخير للعراقيين للوقوف بوجه السياسة الإدارية غير الفعالة في العراق.

المرجعية الدينية لم تتحرك لطائفة معينة فحسب بل تحركت من اجل العراق بكل طوائفه وقومياته، بل كانت وما زالت اللسان الناطق والمعبر عن جميع اطراف الشعب العراقي، ولا يجادل أحد في أن المرجعية الدينية لعبت دوراً كبيراً في إعادة الحياة إلى الدولة وبناء مؤسساتها الدستورية على وفق القانون ومبادئ العدل والمساواة واحترام الآخرين وتفعيل دور المشاركة الشعبية في صنع القرار السياسي.

المرجعية الدينية أكدت على أن العراقيين يجب أن يكون لهم دورٌ مهمٌ في نوع النظام الذي يريدونه من دون التأثير على قراراته أو اختياره من القوى الخارجية، كما أنها أكدت في الكثير من البيانات التي صدرت أو التي أقيمت من على منبر الجمعة في الصحن الحسيني المطهر أن السُنَّة والشريعة إخوة، ومهما حدثت من أحداث مؤسفة أثارها الأغرَاب التي تحاول التأثير على

النسيج الاجتماعي للشعب العراقي، إلا أن التعايش السلمي هي القدر الذي على شعبنا أن يعيشه بمختلف انتعائه.

المرجعية الدينية وعلى امتداد تاريخها الطويل كان لها الأثر في تحويل مسار العراق عبر الحقب التي مرت به، إذ كانت وما زالت تمثل مركز الثقل والبوصلة الحقيقية التي تسيّر إلى الوجهة الصحيحة، وعندما نقرأ التاريخ جيداً نجد أن المرجعية الدينية ومنذ مئة عام كان لها فتوى بالجهاد ضد المحتل الغاشم.

لقد استشعر أصحاب القرار الوضع الأمني الخطير الذي يمر به العراق من جرّاء احتلال داعش الإرهابية لمحافظة الموصل وصلاح الدين أو أجزاء منهما، هذا العدوان الذي لن تكتفي به بل إن هدفهم الاستراتيجي هو السيطرة على كل العراق وباقي أهدافهم المقبلة هي بغداد وكربلاء المقدسة والنجف الأشرف^(٣٨).

وهذه المدن تحظى بقديسية عظيمة لما تتضمنه من عتبات مقدسة.

ويوضح السيد السيستاني (دام ظلّه الشريف) هذا الأمر كمقدمة ليطلب من العراقيين^(٣٩):

١- أن (مسؤولية التصدي لهم ومقاتلتهم هي مسؤولية الجميع، ولا يختص بطائفة دون أخرى أو مكون دون آخر).

وهنا يشير إلى مسؤولية جميع العراقيين، شيعة وسنة، مسلمين وغير مسلمين، ومن كل القوميات.

٢- التأكيد على وحدة العراق وتحمل المسؤولية الوطنية والشرعية في هذه الظروف الصعبة.

وأن العراقيين أكبر من هذه التحديات والمخاطر لما عرف عنهم من الشجاعة والإقدام.

ثم يحدد مساحته (المسؤولية في الوقت الحاضر وهي حفظ بلدنا العراق

ومقدساته من هذه المخاطر، وتوفير المزيد من العطاء والتضحيات في سبيل الحفاظ على وحدة بلدنا وكرامته، وصيانة مقدساته).

٣- التأكيد على أهمية التحلي بالصبر والشجاعة والثبات في مثل هذه الظروف. ويحذر سماحته من أن يدب اليأس والإحباط في نفس أي عراقي، بل لا بد أن يكون ما أكد عليه حافزاً لهم للعطاء في سبيل حفظ الدين والمقدسات.

وأورد سماحته آيات قرآنية متعددة تؤكد على الصبر والمرابطة، وعدم التنازع، وتحمل الصعاب والبأساء والضراء.

٤- يخاطب سماحته القيادات السياسية ويضعهم أمام مسؤولياتهم التاريخية والوطنية والشرعية الكبيرة، ويطلب من السياسيين العراقيين أن يتركوا الاختلاف والتناحر في هذه الفترة العصيبة، ويوحدوا مواقفهم باتجاه مواجهة العدو المشترك، وأن يدعموا القوات المسلحة لأن اتحادهم اليوم بمثابة (قوة إضافية لأبناء الجيش العراقي في الصمود والثبات).

٥- يخاطب السيد السيستاني (دام ظلّه الشريف) العسكريين العراقيين ويضفي على عملهم وأدائهم وتنفيذهم لواجباتهم صفة القدسية، وهي أعلى مرتبة في العمل الشرعي بقوله (إن دفاع أبنائنا في القوات المسلحة والأجهزة الأمنية هو دفاع مقدس).

ثم يخاطبهم بقوله (يا أبناءنا في القوات المسلحة: إنكم أمام مسؤولية تاريخية ووطنية وشرعية، اجعلوا قصدكم ودافعكم هو الدفاع عن حرمة العراق ووحدته، وحفظ الأمن للمواطنين، وصيانة المقدسات من الهتك، ودفع الشر عن هذا البلد المظلوم وشعبه الجريح).

ثم يؤكد سماحته موقفه المساند كلياً للقوات الأمنية، وأن من يقتل في سبيل الدفاع عن العراق فهو شهيد بإذن الله قال: (وفي الوقت الذي تؤكد

المرجعية الدينية العليا دعمها وإسنادها لكم، تحثكم على التحلي بالبروة والبرسالة والثبات والصبر، وأن من يضحي منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأهله وأعراضهم، فإنه يكون شهيداً إن شاء الله تعالى.

٦- ولكيلا لا يصطبغ المشهد السياسي والعسكري بحالة الانهزام والهرب والخبانة لدى بعض العسكريين، نرى سماحتة يسلط الضوء على الجانب المشرق للأداء العسكري والأمني ويزرع الأمل والثقة حين يقدم شكره (للكتير من الضباط والجنود الذين أبلوا بلاء حسناً في الدفاع والصمود وتقديم التضحيات، فالمللوب من الجهات المعنية تكريم هؤلاء تكريماً خاصاً، لينالوا استحقاقهم والثناء والشكر (من قياداتهم) وليكون حافظاً لهم على أداء الواجب الوطني الملقى على عاتقهم).

٧- كما يصف سماحتة توجهات الإرهابيين ومنهجهم بقوله: (هو منهج ظلامي بعيد عن روح الإسلام، يرفض التعايش مع الآخر بسلام، ويتخذ من العنف وسفك الدماء، وإثارة الاحتراب الطائفي وسيلة لبسط نفوذه وهيمته على مختلف المناطق في العراق والدول الأخرى).

وبذلك يكشف السيد السيستاني (دام ظلله الشريف) عن كل صور الزيف والخداع التي يمارسها بعض السياسيين.

٨- وبعد توضيح هذه الأمور يعلن السيد السيستاني (دام ظلله الشريف) فتواه بالجهاد الكفائي بقوله إن طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق تقتضي:
أ- الدفاع عن هذا الوطن وأهله ومقدساته ومواطنيه.

ب- هذا الدفاع واجب على المواطنين بالوجوب الكفائي (بمعنى أن من يتصدى له وكان فيه الكفاية بحيث يتحقق الغرض وهو حفظ العراق وشعبه ومقدساته يسقط عن الباقيين). وتوضيح ذلك بمثال لو تصدى عشرة آلاف وتحقق الغرض منهم، سقط عن الباقيين، فإن لم يتحقق وجب على البقية وهكذا.

ت- ومن هنا على المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح ومقاتلة الارهابيين دفاعاً عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم، عليهم التطوع للانخراط في القوات الأمنية.

ثم صدرت من وكلاء السيد السيستاني (دام ظلّه الشريف) توضيحات منها أن الجهاد الكفائي يشمل العراقيين داخل العراق فقط ولا يشمل المقيمين في الخارج، وأن يكون انخراط المتطوعين عن طريق القوات الحكومية وليس تنظيمات مستقلة عن إشراف الحكومة، وبذلك أحدثت فتوى المرجعية حماسة منقطعة النظر، فتدفق مئات الآلاف من المتطوعين من الشيعة والسنة نحو المعسكرات الحكومية.

كما هدأت التصريحات السياسية الموجهة ضد هذا الطرف السياسي وذاك، إذ وضعت الفتوى حداً لأية فتنة طائفية عن طريق تحشيد جميع مكونات الشعب العراقي وقياداته السياسية تجاه هدف واحد وعدو واحد. كما صدرت فتوى الشيرازي بالجهاد في منتصف شعبان لتكون شرارة ثورة العشرين عام ١٩٢٠.

كان وما زال للمرجعية الدينية دوراً مهمّاً في مستقبل العراق القديم والحديث، ومواقف تاريخية بطولية لمراجع الشيعة الكبار بدءاً من الشيخ الطوسي وانتهاءً بعلماء عصرنا من السيد محسن الحكيم إلى السيد أبي القاسم الخوئي (قدس)، وحتى يومنا الحاضر^(٤٠).

المرجعية الدينية أدلت بموقفها في الكثير من الأزمات التي عصفت بالبلاد بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣، وبيّنت موقفها الواضح من الاحتلال وحرمة التعامل مع المحتل، وكيف ان رجالات البيت الأبيض حاولوا عبر وسطاء من سياسي العراق اللقاء بالمرجعية ولكن جوّهت جميع المطالبات بالرفض، كما أنها استطاعت من تغيير المعادلة السياسية التي حيكت خيوطها في الليل

الدامس عبر عقد اتفاقات لغرض دستور كُتب في لندن، فهناك من يعتقد أن المرجعية الدينية لا تهتم لمصالح الشعب العراقي أو أنها أدارت ظهرها لما حصل في الشأن العراقي الداخلي، أو أنها تهتم فقط بالمسائل العبادية من حلال وحرام وغيره، ولكن حكمة المرجعية الدينية استطاعت أن تقلب الطاولة على أصحابها الذين رسموا مستقبل العراق ودستوره من دون النظر إلى موقف شعبه وإرادته.

المرجعية الدينية لم تتحرك لطائفة معينة فحسب بل تحركت من أجل العراق بكل طوائفه وقومياته، بل كانت وما زالت اللسان الناطق والمعبر عن جميع اطراف الشعب العراقي، ولا يجادل أحد في أن المرجعية الدينية لعبت دوراً كبيراً في إعادة الحياة إلى الدولة وبناء مؤسساتها الدستورية على وفق القانون ومبادئ العدل والمساواة واحترام الآخرين وتفعيل دور المشاركة الشعبية في صنع القرار السياسي.

ما يمر به بلدنا اليوم دليل واضح على أهمية دور المرجعية الدينية في الوقوف بوجه التحديات التي تريد الشر بالعراق وشعبه، والانزلاق إلى حافة الحرب الأهلية، فقد كان موقفها الواضح من فتوى (الجهاد الكفائي) بعد ان حددت وشخصت العدو الحقيقي على الرغم من وجود الكثير من الايادي الخبيثة التي تحاول التغطية على العدو الحقيقي للعراق وشعبه.

هذه الفتوى التي أعادت الحياة لشعب عانى الويلات والاضطهاد والظلم على يد حكام الجور، واليوم تعود قوى الظلام الإرهابية (داعش) لتكمل دورها في الظلم عبر عمليات القتل والذبح والتهجير والسبي، هذه الفتوى التي غيرت موازين القوى، تمثلت في رجال الحشد الشعبي الذين هبوا تلبية لنداء المرجعية الدينية في الدفاع عن عموم العراق وشعبه، والوقوف بوجه القوى الظلامية من داعش والتحالف الارهابي.

المرجعية الدينية اليوم امتداد طبيعي لتاريخ العراق وهي البوصلة في بناء مستقبله، لأنها مارست الدور الأساسي في الوقوف وتشخيص الخلل والدفاع عن حقوق الشعب العراقي، إذ وقفت موقفاً كبيراً في معالجة الأزمات التي عصفت بالعراق^(٤١).

لا شك أن بعض الكتل السياسية اليوم تحترم رؤى وتوجيهات المرجعية الدينية، لأنها تمثل صوت جميع العراقيين بمختلف طوائفهم وقومياتهم، لهذا على الجميع أن يعي أهمية وجود المرجعية الدينية، وضرورة الالتزام بوصاياها لأنها تمثل السند الحقيقي وهي الحل الوحيد الذي جنّب العراق الوقوع في منزلق الحرب الأهلية^(٤٢).

الهوامش

- ١- ينظر، نهج البلاغة، عبده: ج ٣، ص ٩٢.
- ٢- تحف العقول: ص ٢٧١.
- ٣- الوافي: ج ٢، ص ٢٩.
- ٤- ينظر، الحياة: ج ٤، ص ٩٧.
- ٥- سورة الجاثية، آية: ١٤.
- ٦- سورة هود، الآية: ١١٨ - ١١٩.
- ٧- البخاري: صحيح البخاري، ص ٦٥٥٦.
- ٨- صالح خليل همودي: إسلامية الأسرة، مطبعة الزهراء الحديثة، (الموصل / ٢٠٠٠م)، ص ١٦.
- ٩- سورة المائدة، آية: ٤٨.
- ١٠- سورة البقرة، آية: ٣٠.
- ١١- محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، ط ٦، (القاهرة / ١٩٧٢م)، ص ٢٧٢.
- ١٢- سورة هود، آية: ٥٠.
- ١٣- م.ن. ٦١.
- ١٤- م.ن. ٨٤.
- ١٥- سورة العنكبوت، آية: ١٦.
- ١٦- سورة النساء، آية: ١٣٦.
- ١٧- سورحن هدايات: التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم، ص ٥١.
- ١٨- سورة آل عمران، آية: ٦٤.
- ١٩- سورحن هدايات: التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم، ص ٦٥.
- ٢٠- م.ن.
- ٢١- سورة الانعام، آية: ١٠٨.
- ٢٢- سورة القصص، آية: ٥٥.
- ٢٣- سورة الكافرون، آية: ٦.
- ٢٤- سورة النساء، آية: ٦٢.
- ٢٥- الكافي: ج ٢، ص ١٦٣.
- ٢٦- م.ن. ج ١، ص ٤٠٥.
- ٢٧- المائدة: ٢.

- ٢٨- عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٣٥.
- ٢٩- البحار: ج ٧٤، ص ٤١٢.
- ٣٠- غرر الحكم: ص ٤٥.
- ٣١- تحف العقول: ص ٢٧١.
- ٣٢- م.ن. ص ١٧٦.
- ٣٣- صاحب مهدي، نهج أهل البيت عليهم السلام وثقافة التعايش، ص ٦٦.
- ٣٤- م.ن.، موقع الشيرازي نت: <http://www.alshirazi.net/maqalat>
- ٣٥- المصدر نفسه.
- ٣٦- السيد الشهيد محمد باقر الحكيم: موقع انترنت، info@kitabab.info.
- ٣٧- م.ن.
- ٣٨- مقالة المرجعية وفتاوى الجهاد (الدور التاريخي)، د. صبا حسين ود. غصون المحمداوي.
- ٣٩- موقع انترنت، <http://www.sistani.org/local.php?modules=main>.
- ٤٠- محمد حسن الساعدي، المرجعية الدينية والدور الريادي في مستقبل العراق الجديد، <http://www.kitabat.com>.
- ٤١- المرجعية الدينية والدور الريادي في مستقبل العراق الجديد، <http://www.kitabat.com>.
- ٤٢- المصدر نفسه.

المصادر والمراجع:

- القران الكريم.
- * من أعلام الفكر والقيادة والمرجعية، آل نجف، عبد الكريم.
- * موسوعة العتبات المقدسة، الخليلي، جعفر.
- * ثورة النجف، الأسدي، حسن.
- * تاريخ العراق السياسي المعاصر، شبر، حسن.
- * النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، الخفاف، حامد.
- * لمحات اجتماعية عن تاريخ العراق الحديث، الوردى، علي.
- * دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، النفيسي، د. عبد الله فهد.
- * الحقائق الناصعة، آل فرعون، فريق المزهري.
- * الفردوس الأعلى، كاشف الغطاء، محمد حسين.
- * حياة الإمام شرف الدين، القبيسي، أحمد.
- * الإمام شرف الدين، علي، عباس.
- * مع علماء النجف الأشرف، مغنيه، محمد جواد.
- * مجلة حوزة، العدد ٤٣ - ٤٤.
- * مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية، الأصفى، محمد مهدي.
- * الامام الحكيم، الحسيني، الإشكوري.
- * موسوعة الحوزة العلمية والمرجعية، الحكيم، محمد باقر.
- * الامام المجاهد السيد محسن الحكيم، فياض الحسيني، هاشم.
- * نهضة روحانيون ايران (حركة علماء الدين في إيران)، دواني، علي.
- * دور الحوزة العلمية في وحدة الأمة الإسلامية، النوري، محمد جعفر.
- * مقالة المرجعية وفتاوى الجهاد (الدور التاريخي)، د. صبا حسين ود. غصون المحمداوي.
- * موقع انترنت، مكتب السيد السيستاني .
- * وكالة أية الله العظمى المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني - موقع الشيخ حسن الصفار نسخة محفوظة ٢٠١٧-٠٣-٢٣ على موقع واي باك مشين.
- * محمد حسن الساعدي ، المرجعية الدينية والدور الريادي في مستقبل العراق الجديد.
- * السيد الشهيد محمد باقر الحكيم : موقع انترنت، info@kitabab.info.
- * أمالي الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الناشر: منشورات مؤسسة الأعلمي، ط ١، ٢٠٠٩م.
- * بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، ط ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م.
- * تحف العقول عن آل الرسول، ابن

- شعبة الحراني، ط ٢، مؤسسه النشر الإسلامي، قم.
- * ثواب الأعمال وعقابها، علي محمد علي دخيل، دار المرتضى - بيروت.
- * رياض الصالحين، أبوزكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تح: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثالثة، ١٩٩١ هـ.
- * سفينة البحار، عباس القمي، دار الأسوة، ط ٢، ١٤١٦ هـ.
- * سورحن هدايات: التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم.
- * صاحب مهدي، نهج أهل البيت عليه السلام وثقافة التعايش، موقع الشيرازي نت: <http://www.alshirazi.net/maqalat>.
- * صالح خليل حمودي : إسلامية الأسرة ، مطبعة الزهراء الحديثة ، (الموصل / ٢٠٠٠م)
- * عيون أخبار الرضا، الصدوق، تح: حسين الأعلمي، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤ هـ .
- * غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد الأمدي التميمي، مؤسسة الأعلمي، ط ١، ٢٠٠٢ م.
- * في ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط ١٠ ، (القاهرة / ١٩٨٢م)
- * الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ط: الآخوندي، النجف، ١٣٧٥ هـ.
- * مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تح: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة.
- * محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ، دار الشروق ، ط ٦ ، (القاهرة / ١٩٧٢م)
- * مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الطبرسي، ط وتح: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث _ قم، ط: الأولى، ١٤٠٧ هـ .
- * مستدرك سفينة البحار، علي النمازي الشاهرودي، تح: حسن بن علي النمازي، ط: مؤسسة النشر الإسلامي.
- * مسند أحمد، أحمد بن حنبل، شرح وفهرست: أحمد محمد شاكر، ط: الرابعة، دار المعارف_ القاهرة، ١٩٥٤ م.
- * موسوعة الحياة، محمد رضا الحكيمي، ومحمد الحكيمي، وعلي الحكيمي، دائرة الطباعة والنشر، طهران، ١٤٠١ هـ .
- * نزهة الناظر وتنبية الخاطر، الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني، تح ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ط: الأولى، ١٤٠٨ هـ .
- * نهج البلاغة، محمد عبده، دار المعرفة، بيروت.
- * السوافي، المولى محمد محسن الفيض الكاشاني، الناشر: مكتبة الامام امير المؤمنين علي عليه السلام
- * وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي،

php?modules=main.

تحقيق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي،
دار إحياء التراث العربي بيروت.

* موقع انترنت،

<http://www.sistani.org/local>.

وصايا السيّد السيستاني (دامَ ظلُّه الوارف) في مرحلة الجهادِ
الدفاعيِّ -دراسة تحليلية في المنهج الإسلامي الحنيف-
الشيخ نبيل سرحان كاظم الحساوي / العتبة العباسية المقدسة / قسم
الشؤون الفكرية والثقافية

ملخص البحث

حين تتأمل مضامين خطب الجمعة والبيانات والفتاوى المتعلقة بالجهاد الدفاعي الصادرة من مكتب المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف المتمثلة بسماحة السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه) في الزمن المظلم الذي رافق الإرهاب الداعشي، فإننا نلمس جلياً أنّ لهذه الوصايا تأثيراً بالغاً في القضاء على المخططات الخبيثة لتقسيم العراق الحبيب، وإنهاء أزمة الخطر الداعشي الذي هدّد الأرض والعرض والمقدسات، كما أنها وحدت الشعب العراقي بأطيافه كافة ومذاهبه وأديانه المختلفة، وأسهمت في تحرير الأراضي المغتصبة منهم، ووجهت القوات الأمنية بمسك الأرض، وزرعت الشجاعة والصبر وحب الوطن في قلوب المقاتلين وجميع المواطنين.

ومن هنا تظهر أهمية بحثنا هذا الموسوم بـ (وصايا السيّد السيستاني) (دامَ ظلُّه الوارف) في مرحلة الجهادِ الدفاعيِّ -دراسة تحليلية في المنهج الإسلامي الحنيف-).

وكان الهدف من كتابته إثبات مطابقة وصايا السيد السيستاني (دامت بركاته) للمنهج الإسلامي الحنيف.

وقد استعان الباحث بالمنهج التحليلي لمضامين وصايا سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف) في زمن الجهاد الدفاعي، فتم تجزئة فقرات هذه الوصايا وإثبات مطابقتها لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف المذكورة في

القرآن الكريم وروايات أهل البيت (عليهم السلام) وموافقتها أيضاً للعقل والعرف العام .

وأما النتائج التي أظهرها البحث فهي :

١ - إثبات موافقة وصايا المرجعية الرشيدة للمنهج الإسلامي الحنيف ومطابقتها .

٢ - ان وصايا المرجعية الدينية العليا وصايا حكيمة أثمرت في المجتمع العراقي الهدوء والاستقرار بعدما كان الوضع هو الفوضى والعبث والاضطراب في المستويين السياسي والأمني .

٣ - بعد إثبات موافقة وصايا المرجعية الرشيدة للمنهج الإسلامي الحنيف ، يتبين قطعاً بأن المنهج المخالف له هو منهج بعيد عن روح وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف ، كالمنهج الداعشي الزائف .

Abstract:

When we reflect on the contents of Friday sermons, statements, and fatwas related to Recommendations for jihad issued by the office of the Supreme Religious Authority in Najaf, represented by His Eminence Seid. Ali al-Husseini al-Sistani (May Allah prolong his life) during the dark era of SISI terrorism, we can perceive the profound impact of these Recommendations. These Recommendations played a critical role in aborting the malicious plans to divide the beloved Iraq and in ending the SISI threat that endangered the land, honor, and sacred sites. Furthermore, they united the Iraqi people across all their sects, denominations, and religions, contributed to liberating the usurped territories, guided security forces in maintaining control over the land, and instilled courage, patience, and patriotism in the hearts of fighters and citizens alike. Hence, the significance of our research « Recommendations of Seid. al-Sistani (May Allah prolong his life) During the Era of Defensive Jihad and Their Alignment with the Noble Islamic Methodology – An Analytical Study» becomes evident.

The purpose of this study is to demonstrate the alignment of Seid. al-Sistani's Recommendations (may his blessings last) with the noble Islamic methodology. The researcher employed an analytical approach to examine the contents of these Recommendations issued during the era of defensive jihad. This involved deconstructing the sections of Seid. al-Sistani's directives and proving their consistency with the teachings of Islam as found in the Holy Qur'an, the narrations of Ahl al-Bayt (peace be upon them), and their agreement with reason and general societal norms.

The findings of the study are as follows:

1. The research established that the Recommendations of the wise religious authority are fully aligned with and consistent with

the noble Islamic methodology.

2. The Recommendations of the supreme religious authority are prudent and contribute to bringing calm and stability to Iraqi society, transforming a chaotic and turbulent situation—both politically and in terms of security—into one of order and peace.

3. By proving the conformity of the wise religious authority's Recommendations with the noble Islamic methodology, it becomes unequivocally clear that any opposing approach, such as the deviant SISI methodology, is far removed from the spirit and teachings of true Islam.

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على المبعوث رحمة
للخلق أجمعين الصادق الأمين محمد وآله الطيبين الطاهرين (اللهم صل على
محمد وآل محمد) واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين .
وبعد : لقد حرص الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم على فريضة الجهاد،
فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ
جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴾ .^(١)

وحدث أهل البيت المعصومين عليهم السلام على الجهاد أيضاً ، فروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله
أنه قال : إن الله عز وجل يباهي بالمتقلد سيفه في سبيل الله ملائكته ، وهم يصلون
عليه ما دام متقلده .^(٢)

وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (للجنة
باب يقال له : باب المجاهدين ، يمشون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلدون
بسيوفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم ، ...) .^(٣)
فالجهاد هو أهم فرع من فروع الدين ، فبه يحفظ الدين الإسلامي الحنيف ،
وتظهر كرامة الأمة الإسلامية وعزّها ، وبه تبقى الحقوق لأصحابها ، وبه تصان
المقدسات من الهتك والاعتداء ، وتحمى الأعراض من الإنتهاك ، وبه تسلم
دماء الأبرياء من الإراقة ، وتحفظ الهوية الثقافية للأمة الإسلامية .

ومما تقدم يتبين أهمية بحثنا هذا الموسوم بـ (وصايا السيد السيستاني (دام
ظله الوارف) في مرحلة الجهاد الدفاعي ومطابقتها للمنهج الإسلامي الحنيف
- دراسة تحليلية) .

ولا أدعي بأنني أول من كتب في هذا الموضوع ، ولكنني أرى بأن لي الأسلوب
الخاص في كتابته كما سيتضح ذلك للقارئ الكريم في طيات هذا البحث .

وقد استعنتُ بالمنهج التحليلي للوصايا المباركة لساحة آية الله العظمى

السيد علي الحسيني السيستاني (دامت بركاته) لإثبات ارتباطها الوثيق بالمنهج الإسلامي الحنيف الذي يحمل في طياته القيم الأخلاقية والتربوية للناس .

علماً أن هيكلية البحث تتكون من مبحثين :

المبحث الأول : الكلمات الافتتاحية أو التعاريف اللغوية والإجرائية الواردة في عنوان البحث . والمبحث الثاني: تحليل مضامين وصايا السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف) في مرحلة الجهاد الدفاعي وإثبات مطابقتها للمنهج الإسلامي الحنيف الذي يحمل في طياته القيم الأخلاقية والتربوية للناس .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن أوفق في ورقات هذا البحث لبيان هذا الأمر ، ومن الله العون والتأييد .

المبحث الأول :

الكلمات الافتتاحية أو التعاريف اللغوية والإجرائية الواردة في عنوان البحث .

أولاً - الوصايا : الوصية لغةً: قال ابن فارس: (وصى) الواو والصاد والحرف المعتل : أصل يدل على وصل شيء بشيء ، ووصيت الشيء : وصلته ، ويقال : وطئنا أرضاً واصية ، أي : إن نبتها متصل قد امتلأت منه ، ووصيت الليلة باليوم : وصلتها ، وذلك في عمل تعلمه ، والوصية من هذا القياس ، كأنه كلام يوصى أي : يوصل ، يقال : وصيته توصية ، وأوصيته إيضاء .^(٤) والوصية اصطلاحاً لها معنيان :

الأول : عهد خاص مضاف إلى ما بعد الموت ، وقد يصحبه التبرع .

والثاني : ما يقع به الزجر عن المنهيات والحث على الأمور ، وهو ما يعهد إلى الإنسان أن يعمل من خير أو ترك شر بما يرجى تأثيره .

قال الراغب : الوصية : التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظ^(٥) .^(٦)

والمتدبر في المعنيين يجد اتصالاً بينهما ، حيث إن المعنى الاصطلاحي يعني

: التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظ ، وهذا مرتبط بمعنى الوصية في اللغة ، فيعطي معنى قوة الارتباط والاتصال لخير الدنيا بالآخرة .
ثانياً - التعريف بأية الله العظمى المرجع الديني الأعلى سماحة السيد علي السيستاني (دام ظلّه الوارف) :

ولد سماحته في التاسع من شهر ربيع الأول عام ١٣٤٩ للهجرة في المشهد الرضوي الشريف في أسرة علمية معروفة ، فوالده هو العالم المقدّس (السيد محمد باقر) ووالدته هي العلوية الجليلة كريمة العلامة (المرحوم السيد رضا المهرباني السراي) وجدّه الأدنى هو العالم الجليل (السيد علي) الذي ترجم له العلامة الشيخ آغا بزرك في طبقات أعلام الشيعة قائلاً: (انه كان في النجف الأشرف من تلامذة الحجة المؤسس المولى علي النهاوندي وفي سامراء من تلامذة المجدد الشيرازي، ثم اختص بالحجة السيد اسماعيل الصدر، وفي حدود سنة ١٣١٨ هـ، عاد إلى مشهد الرضا عليه السلام واستقر فيه وحاز مكانة سامية مع ما كان له من حظ وافر من العلم مقروناً بالتقى والصلاح ومن تلامذته المعروفين الفقيه الكبير الشيخ محمد رضا آل ياسين (قدس سرّه) .

وأسرة سيدنا الأستاذ (دام ظلّه) - التي هي من الاسر العلوية الحسينية - كانت تقطن مدينة (اصفهان) في القرن الحادي عشر الهجري ، ومن أبرز أعلامها يومذاك الفيلسوف الشهير (محمد باقر الداماد) صاحب كتاب القبسات ، ومن أحفاده العلم الكبير (السيد محمد) الذي عين في منصب (شيخ الاسلام) في بلاد (سيستان) في زمن السلطان حسين الصفوي فانتقل إليها وسكنها هو وذريته من بعده، وأول من هاجر منهم إلى مشهد الرضا عليه السلام هو (السيد علي) المار ذكره ، حيث استقرّ فيه برهة من الزمن في مدرسة (المرحوم الملا محمد باقر السبزواري) ومن ثمّ هاجر الى النجف الأشرف لإكمال دراسته ثم الى سامراء المقدسة للغرض نفسه (...).^(٧)

ثالثاً - مرحلة : لغةً : مَرَّاحِلٌ : اسم جمع : مَرَّحَلَةٌ ، مَرَّاحِلُ العُمَرِ : أي مُدَّةُ حَيَاةِ الإنسانِ ، أَنَجَزَ عَمَلَهُ عَلَى مَرَّاحِلٍ : أي تَدْرِيحِيًّا ، فَتْرَةٌ بَعْدَ فَتْرَةٍ .^(٨)

رابعاً - الجهاد الدفاعي : الجهاد فعال، وهو في اللغة : إما من الجهد بالفتح وهو : التعب والمشقة، أو من الجهد بالضم وهو : الطاقة، وفي الشرع كذلك، لكن في قتال الكفار ومن جرى مجراهم لإعلاء كلمة الإسلام .^(٩)

وبما أنني تعرضت لتعريف الجهاد الدفاعي ، فلا بأس أن أتكلم عن أسباب الجهاد بصورة عامة ، ثم أبين أقسامه ، ثم أتعرض لتوضيح الفرق بين الجهاد الابتدائي والدفاعي ، وهذه الأمور كلها تدخل في مباحث التعريف أيضاً .

أولاً : أسباب الجهاد الابتدائي أو الدفاعي : قال بعض الفقهاء بأن أسباب الجهاد هي :

- ١ - الجهاد من هجوم الكفار على أراضي المسلمين لحفظ بيضة الإسلام .
 - ٢ - الجهاد من هجوم الفساق على أراضي المسلمين .
 - ٣ - الجهاد من هجوم الكفار على إحدى البلدان الإسلامية إذا خيف عليها منهم من الغلبة والاستيلاء عليها .
 - ٤ - الجهاد من هجوم الكفار ولكن بعد سيطرتهم على البلدان الإسلامية ، فيجب جهادهم لإخراجهم منها .
 - ٥ - الجهاد بالمهجوم على بلاد الكفار لإجبارهم على الدخول في الإسلام^(١٠) .
- وقال البعض الآخر منهم بأن أسباب الجهاد بصورة عامة ثلاث هي :
- ١ - الجهاد على الكفار ممن ليسوا من أهل الكتاب الذين يتآمرون ويهجمون على بلاد المسلمين .
 - ٢ - الجهاد على الكفار من أهل الذمة وهم أهل الكتاب أعني اليهود والنصارى والمجوس إذا أخلوا بشروط الذمة .
 - ٣ - الجهاد على البغاة على الإمام من المسلمين ، كالناكثين والقاسطين

والمارقين الذين بغوا على الإمام علي (عليه السلام). (١١)

قال الشيخ علي أصغر: (... وجهاد البغاة ثوابه كثواب جهاد الكفار ووجوبه كوجوبه). (١٢)

وقام بعض الفقهاء بتقسيم الجهاد الدفاعي على عدة أقسام، ولعل تقسيمة التالي يستند إلى أسباب الجهاد التي ذكرناها وهذه التقسيمات هي:

((١ - الجهاد الدفاعي الوقائي الرادع عَنْ عدوان المعتدي ، وهو مضمون

قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ . (١٣)

٢ - الجهاد الدفاعي العلاجي بعد وقوع الاعتداء لرفع العدوان .

٣ - الجهاد الدفاعي الاقتصاصي ، وغايته الردع عن تكرار العدوان .

٤ - الجهاد الدفاعي الاستباقي ، ويختص بحال العلم بأن العدو قد تحين

الفرصة لشن عدوان قريب وقد أخذ استعداداه لذلك ، ويشير إليه قوله تعالى :

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ . (١٤)

٥ - الجهاد الاقتصاصي في الدفاع عَنْ المقدسات .

٦ - الجهاد الدفاعي الاستباقي عَنْ المقدسات .

٧ - الجهاد الاقتصاصي تعصباً لأهل البيت (عليهم السلام) .

٨ - الجهاد المواساتي)) . (١٥)

ثانياً : الفرق بين الجهاد الدفاعي والجهاد الابتدائي : لاشك أن الجهاد

بكلا قسميه الدفاعي والابتدائي له أهمية كبرى بالنظر إلى الإسلام والمسلمين ،

ولكن هناك عدة فروقات بين شروط الجهاد الدفاعي والجهاد الابتدائي ،

ولكل واحد منهما شروطه الخاصة به ونوضحها إجمالاً بالنقاط التالية :

١ - يظهر من مقارنة أحكام الجهاد الابتدائي والدفاعي أن الأخير

أرجح من الأوّل وأكثر أهميّة ، ووجه ذلك واضح إلى حدّ معين ، فالجهاد

الابتدائي يهدف لدعوة الكفار إلى الإسلام ونشر الدين ، أما الدفاعي فيهدف إلى الحيلولة دون محو الإسلام وزوال المجتمع الإسلامي ، وحراسة استقلال المسلمين وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم .
ونستعرض على عجلةٍ بعض الأحكام التي تدلُّ على أهمية الجهاد الدفاعي :

٢ - الجهاد واجب مشروط أم مطلق؟ صرح أغلب فقهاء الإمامية على اشتراط الجهاد الابتدائي بعدة شروط منها : حضور الإمام المعصوم (عليه السلام) وإذنه ، الرجولة ، والبلوغ ، والسلامة البدنية ، والحرية ، والتمتع بالإمكانات الكافية لدخول الحرب ، فيكون الجهاد الابتدائي واجب مشروطاً .
أما الجهاد الدفاعي فهو واجب مطلق غير مشروط بأيٍّ من الشروط المتقدمة ، نعم شرط القدرة على الدفاع ومقاومة العدو هو الشرط الوحيد وفي هذا النوع من الجهاد .

٣ - أيشترط الإذن فيه أم لا؟ يجب في الجهاد الابتدائي بالإضافة إلى أخذ إذن الإمام المعصوم (عليه السلام) - أخذ إذن الوالدين ، وإذن المولى بالنسبة للعبد ، وإذن الدائن ممن استدان منه إذا حلَّ أجل الدين . أما في الجهاد الدفاعي فلا تعتبر هذه الشروط فيجب الجهاد

على الولد من دون إذن الأبوين ، وعلى العبيد والرقيق من دون إذن أسيادهم ، وعلى الدائن من دون إذن المدين .

وذهب فقهاء أبناء العامة من المخالفين إلى ما ذهب إليه فقهاء الشيعة الإمامية من عدم اشتراط الإذن من الأبوين ، أو المولى ، أو الدائن .

٤ - جواز أو حرمة التعاون مع الجائر في الجهاد :
يحرّم الفقهاء مطلق أشكال التعاون مع السلطان الجائر في الجهاد الابتدائي ، إلا أنّهم يميزونه في خصوص الجهاد الدفاعي ولكن بشرط الدفاع عن أساس

الإسلام والمجتمع الإسلامي وبلاد المسلمين وأموالهم وأنفسهم لا بهدف الدفاع عن السلطان ، وقد استندوا في ذلك إلى رواية عن الإمام الكاظم عليه السلام يقول فيها : (فإن خاف على بيضة الإسلام والمسلمين قاتل فيكون قتاله لنفسه لا للسلطان ، لأن في دروس الإسلام دروس ذكر محمد صلى الله عليه وآله .

٥ - الجهاد وظيفة عامة على جميع المكلفين أم على بعضهم؟ لا يختص وجوب الجهاد الدفاعي بمن تعرضوا للهجوم والاعتداء ، بل يجب على جميع المسلمين الدفاع عنهم عندما يحصل اعتداء عليهم .

ودليل هذا الحكم هو الاجماع عند الشيعة والسنة ، لعموم الأدلة التي لا تختص بفئة دون فئة من المسلمين ، وللأحاديث النبوية الشريفة ومنها قوله صلى الله عليه وآله : (من سمع مسلماً ينادي يا للمسلمين ولم يجبه فليس بمسلم) . وقوله صلى الله عليه وآله : (من أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس بمسلم) ، وقوله صلى الله عليه وآله : (المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم) .

٦ - شرط عدد الكفار في الجهادين الابتدائي والدفاعي :

يشترط في الجهاد الابتدائي أن لا يكون عدد الكفار أكثر من ضعفي عدد المسلمين ، أمّا في الجهاد الدفاعي فيجب على المسلمين الدفاع مهما بلغ عدد الكفار ، والشرط الوحيد هو وجود المكنة على المقاومة والصمود .

٧ - اشتراط أو عدم اشتراط الزمان والمكان في الجهادين الابتدائي والدفاعي :

يشترط في الجهاد الابتدائي أن لا يقع في الأشهر الحرم ، ولا في البلد الحرام ، أما الجهاد الدفاعي فيصح في أي زمان وفي أي بلاد حتى وان صادف هجوم العدو في الأشهر الحرم أو في البلد الحرام (مكة المكرمة والمدينة المنورة) .

٨ - اشتراط أو عدم اشتراط دعوة الكفار للإسلام في الجهادين الابتدائي

والدفاعي :

يجب على المسلمين في الجهاد الابتدائي دعوة الكافرين إلى الإسلام قبل

الشروع في مقاتلتهم ، وإتمام الحجّة عليهم بذلك ، فإن لم يقبلوا دخل المسلمون القتال معهم ، أمّا الجهاد الدفاعي فدعوتهم إلى ذلك ليست شرطاً فيه أبداً .

٩ - الإجماع أو عدم الإجماع في الجهادين الابتدائي والدفاعي :

يجب على الحاكم الشرعي استخدام نفوذه لإجبار المسلمين على المشاركة في الجهاد الدفاعي ومعاقبة من تخلف عن المشاركة فيه ، بخلاف الجهاد الابتدائي .

١٠ - دعم الحرب بالأموال في الجهادين الابتدائي والدفاعي :

في الجهاد الابتدائي لا يجبر الناس من قبل الفقيه الجامع للشرائط على التبرع وجمع الأموال لدعم الحرب ، بل ينحصر صرف الأموال على الحرب عن طريق الأموال العامة المودعة عند الدولة ، أمّا الجهاد الدفاعي للفقيه الجامع للشرائط إجبار الناس على التبرع لدعم الجيش الإسلامي .

١١ - المراقبة في الجهادين الابتدائي والدفاعي :

يشترط في الجندي المرابط على ثغور المسلمين أن يأخذ الإذن من الإمام المعصوم أو من نائبه الخاص حصراً للهجوم على العدو وهو في داره هذا في الجهاد الابتدائي ، أما في الجهاد الدفاعي فلا يشترط ذلك بل يكفي أخذ الإذن الرسمي من القائد العسكري المباشر وغير المباشر للسماح بالاشتراك بالقتال .

١٢ - نوع العدو في الجهادين الابتدائي والدفاعي :

يختص الجهاد الابتدائي بمقاتلة نوع واحد من الأعداء وهم الكفار ، أمّا الجهاد الدفاعي فهو واجب مع أي عدو يهدد أمن البلاد الإسلامية واستقرارها سواء كان العدو كافراً أم مسلماً .

١٣ - جواز نقض الأمان والعهد أو عدم جوازه في الجهادين الابتدائي والدفاعي : في الجهاد الابتدائي لا يجوز نقض الأمان والعهد بين المسلمين و بين الكفار من أهل الذمة ، أما في

الجهاد الدفاعي فيجوز للمسلمين في بعض الحالات الثانوية والطارئة

نقض الأمان والعهد. (١٦)

سادساً - المنهج الإسلامي : المنهج في اللغة العربية : الطريق الواضح. وأضاف إليه المعجم اللغوي العربي الحديث معنى آخر، هو: (الخطئة المرسومة). (١٧)

وأشهر تعريف للمنهج هو التعريف القائل : بأنه (الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة). (١٨)

سابعاً - الحنيف : اللغة : الحنيف : المائل عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق. قال ابن دريد: الحنيف العادل عن دين إلى دين، وبه سميت الحنيفية، لأنها مالت عن اليهودية والنصرانية. وقيل : الحنيف الثابت على الدين المستقيم. والحنيفية : الاستقامة على دين إبراهيم. (١٩)

ولا يختلف المعنى الاصطلاحي كثيراً عن المعنى اللغوي، بل يعدان كمعنى متشابه واحد .

ثامناً - الدراسة تحليلية : الدراسة : هي تركيز ذهنيٍّ موجّه إلى مراقبة أشياء أو وقائع وإدراكها.

أوهي الجهد الذي يبذله الناس لتطوير المهارات والقدرات الفكرية التي تشمل المعرفة وتحليلها وتطويرها من خلال تقنيات الدراسة المختلفة. (٢٠) والتحليل : هو فحوص غايته عزّل عناصر تتركب منها مادّة، وتعيين طبيعة تلك العناصر أو فصل مختلف أجزائها، ويطلق على الدرس والبحث والاستقصاء. (٢١)

المبحث الثاني :

وصايا السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف) دراسة تحليلية في المنهج الإسلامي الحنيف .

أستعرض في هذا المبحث بعض الوصايا التي نطقت بها المرجعية الرشيدة في الزمان الذي قبل زمان فتوى الجهاد الدفاعي بقليل ، وفيه ، وبعده مع تحليل لمضامين هذه الوصايا وإثبات مطابقتها للمنهج الإسلامي الحنيف الذي يحمل في طياته القيم الأخلاقية والتربوية للناس .
علماً أنني اخترت خمساً من هذه الوصايا المباركة ، ومن الله التوفيق والسداد .

الوصية الأولى : نص البيان الصادر من مكتب المرجعية العليا بتاريخ اليوم الثلاثاء ١١ شعبان المعظم ١٤٣٥ هـ الموافق ١٠ حزيران ٢٠١٤ م :
إن المرجعية العليا تتابع بقلق بالغ التطورات الأمنية الأخيرة في محافظة نينوى والمناطق المجاورة لها .

وأضاف البيان : إن المرجعية تشدد على الحكومة العراقية وسائر القيادات السياسية في البلد ضرورة توحيد كلمتها وتعزيز جهودها في سبيل الوقوف بوجه الإرهابيين وتوفير الأمن للمواطنين من شرورهم .
وتابع البيان : إن المرجعية تؤكد على دعمها وإسنادها لأبنائها في القوات المسلحة وتحثهم على الصبر والثبات في مواجهة المعتدين ، رحم الله شهدائهم الأبرار ومن على جرحاهم بالشفاء العاجل انه سميع مجيب .

وبعد التمعّن بفقرات البيان وجمّله المتقدم نستنتج منه التحليل الآتٍ :

١ - ان جميع من هو مهتم بأخبار المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف قد عرف عنها تتبّعها واطلاعها الدقيق على مجريات الأمور في كل شأن حساس من شؤون الأمة الإسلامية بصورة عامة والعراق الحبيب على وجه الخصوص ، فنظرة المرجعية الدينية نظرة ثابتة شاملة وافية تحسب للأمر حساباً بعيداً دقيقاً ، فلا تكون نظرتها محدودة ، لذلك نشاهد بالوجدان نظرات المرجعية صائبة دائماً ولم نلمس الخطأ في خطواتها ولو كان يسيراً؛ وسبب ذلك لأن

دراستها للأحداث نابعة من الواقع الخارجي وليس من الظن والتخمين ،
وخير دليل على ذلك هو تتبع المرجعية للأحداث الأمنية في العراق .

٢ - ذكرت المرجعية الرشيدة أن على الحكومة العراقية والقيادات السياسية ترك النزاع على المناصب الرئاسية والوزارية ، وعليهم توحيد الصفوف والجهود والكلمة ، وأشارت المرجعية العليا إلى القاعدة العقلية أو العرفية البديهة التي تقول : (الوحدة قوة ، والتفرق ضعف) ، وقد دل النقل عليها أيضاً كما في قوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ . (٢٢)
كما شددت المرجعية المباركة على توفير الأمن والأمان للمواطنين وهي بذلك تشير إلى أهم وظيفة ومهمة قررها علمي الاجتماع والسياسة على الحكومة بحق مواطنيها وهي حفظ وتوفير السلم الاجتماعي داخل الدولة بتوفير الأمن والأمان للمواطنين كافة والدفاع عن البلاد ضد العدوان الخارجي ،
علماً أن المواطن ركن أساسي من أركان أي دولة كانت .

٣ - توفير الأمن والأمان وطرد العدو لا يتم ولا يتحقق في أي دولة كانت إلا بالقوات الأمنية التي تمسك الأرض وتفرض الاستقرار والهدوء في البلاد ، ولذلك نشاهد أن المرجعية الرشيدة تدعم وتساند أبناءها من القوات المسلحة، فقد أعطت الجرعة المعنوية لهم بحثهم على الصبر والثبات في مواجهة العدوان ، وأكملت جرعتها المعنوية ببيان أن من يقتل في مواجهة هذا العدوان فهو من الشهداء الأبرار ، كما دعت المرجعية بالشفاء العاجل للجرحي والمصابين منهم .

الوصية الثانية : ما ورد في خطبة الجمعة لممثل المرجعية الدينية العليا في كربلاء المقدسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في (١٤ / شعبان / ١٤٣٥ هـ) الموافق (١٣ / ٦ / ٢٠١٤ م) .

قال الشيخ الكربلائي في خطبة صلاة الجمعة الثانية من الصحن الحسيني

الشريف ما يأتي :

إن العراق وشعبه يواجه تحدياً كبيراً وخطراً عظيماً وإن الإرهابيين لا يهدفون إلى السيطرة على بعض المحافظات كنينوى وصلاح الدين فقط بل صرحوا بأنهم يستهدفون جميع المحافظات ولا سيما بغداد و كربلاء المقدسة والنجف الأشرف ، فهم يستهدفون كل العراقيين وفي جميع مناطقهم ، ومن هنا فإن مسؤولية التصدي لهم ومقاتلتهم هي مسؤولية الجميع ولا تختص بطائفةٍ دون أخرى أو بطرفٍ دون آخر.

وأكد الكربلائي : أن التحدي وإن كان كبيراً إلا أن الشعب العراقي الذي عرف عنه الشجاعة والإقدام وتحمل المسؤولية الوطنية والشرعية في الظروف الصعبة أكبر من هذه التحديات والمخاطر .

وأضاف الكربلائي : أنه لا يجوز للمواطنين الذين عهدنا منهم الصبر والشجاعة والثبات في مثل هذه الظروف أن يدب الخوف والاحباط في نفس أيٍّ واحدٍ منهم ، بل لا بد أن يكون ذلك حافزاً لنا للمزيد من العطاء في سبيل حفظ بلدنا ومقدساتنا. ودعا الكربلائي القيادات السياسية الى ترك الاختلاف والتناحر ولاسيما في هذه الفترة العصيبة وحثهم على توحيد مواقفهم، ودعمهم واسنادهم للقوات المسلحة ليكون ذلك قوة إضافية لأبناء الجيش العراقي في الصمود والثبات ، موضحاً انهم - أي القيادات السياسية - أمام مسؤولية تاريخية ووطنية وشرعية كبيرة.

وأضاف الكربلائي : أن دفاع أبنائنا في القوات المسلحة وسائر الأجهزة الامنية هو دفاع مقدس ، ويتأكد ذلك حينما يتضح أن منهج هؤلاء الإرهابيين المعتدين هو منهج ظلامي بعيد عن روح الاسلام ، يرفض التعايش مع الآخر بسلام ويعتمد العنف وسفك الدماء وإثارة الاحتراب الطائفي وسيلة لسيط نفوذه وهيمنته على مختلف المناطق في العراق والدول الأخرى .

وخاطب الكربلائي أبناء القوات المسلحة قائلاً: اجعلوا قصدكم ونيتكم ودافعكم هو الدفاع عن حرمت العراق ووحدته وحفظ الأمن للمواطنين وصيانة المقدسات من اهتك ودفع الشر عن هذا البلد المظلوم وشعبه الجريح. ثم قال الكربلائي: وفي الوقت الذي تؤكد فيه المرجعية الدينية العليا دعمها واسنادها لكم فإنها تحثكم على التحلي بالشجاعة والبراعة والثبات والصبر وتؤكد على إن من يضحي بنفسه منكم

في سبيل الدفاع عن بلده وأهله وأعراضهم فإنه يكون شهيداً إن شاء الله تعالى. وأضاف: المطلوب أن يحث الأب ابنه والأم ابنتها والزوجة زوجها على الصمود والثبات دفاعاً عن حرمت هذا البلد ومواطنيه. وتابع قائلاً: إن طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق وشعبه في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن هذا الوطن وأهله وأعراض مواطنيه وهذا الدفاع واجب على المواطنين بالوجوب الكفائي، بمعنى أنه إذا تصدى له من بهم الكفاية بحيث يتحقق الغرض وهو حفظ العراق وشعبه ومقدساته يسقط عن الباقين.

ثم قال: ومن هنا فإن المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح ومقاتلة الإرهابيين دفاعاً عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم عليهم التطوع للانخراط في القوات الأمنية. واختتم ممثل المرجع السيستاني كلامه بقوله: إن الكثير من الضباط والجنود قد أبلوا بلاءً حسناً في الدفاع والصمود وتقديم التضحيات بالمطلوب من الجهات المعنية تكريم هؤلاء تكريماً خاصاً لينالوا استحقاتهم من الثناء والشكر وليكون حافزاً لهم ولغيرهم على أداء الواجب الوطني الملقى على عاتقهم.

وبعد التمعن في فقرات البيان أعلاه نستنتج منه التحليل الآتي:

١- لم تفصل بعد البيان الأول المؤرخ في يوم الثلاثاء ١١ شعبان المعظم ١٤٣٥ هـ الموافق ١٠ حزيران ٢٠١٤ م، وهذا البيان الثاني إلا ثلاثة أيام.

٢- قالت المرجعية: ان التصدي لداعش مسؤولية الجميع ولا يختص

بطائفة دون أخرى ، وهنا بدأت المرجعية الرشيدة بتوجيه الناس من الناحية الحركية للدفاع عن أرض العراق .

٣ - قالت المرجعية : بأن شعب العراق معروف بشجاعته وهو يستطيع أن ينتصر على داعش الإرهابي ، وهنا قامت المرجعية الرشيدة بتفعيل الجانب الحماسي لدى الناس ، والشجاعة هي إحدى القيم الأخلاقية للإسلام يتحلى بها الفرد والمجتمع المسلم .

٤ - حثت المرجعية على الجانب النفسي الإيجابي في الجهاد المتمثل بالصبر والشجاعة والثبات ، أما الصبر فقد أشارت المرجعية إليه لأهميته في الجهاد وتظهر هذه الأهمية في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٢٣) فالصبر مقدمة أساسية ومهمة من مقدمات النصر .

وركزت المرجعية على العامل الثاني في مواجهة الأعداء وهو الشجاعة ، روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال : (زكاة الشجاعة الجهاد في سبيل الله) . (٢٤)

٥ - حرمت المرجعية من الجانب النفسي السلبي الذي يضر بالجهاد المتمثل بالخوف والإحباط في مثل هذه الظروف ، وهذا ما نصت الآيات القرآنية الكريمة على تركه ، كما في قوله تعالى : ﴿ ... اتَّخَشَوْهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٥) .

والآية السابقة تتكلم عن الخوف أما هذه الآيات ففيها إشارة إلى الإحباط ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ * رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٢٦) .

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾. (٢٧)

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَاكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾. (٢٨)

قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسير الأمل: (هذه الآية تعقيب على الآيات التي نزلت حول غزوة « حمراء الأسد »، ولفظة « ذلكم » إشارة إلى الذين كانوا يخوفون المسلمين من قوة قريش، وبأس جيشهم لإضعاف معنويات المسلمين). (٢٩) فعبرت الآية الكريمة عن كل من يخوف المؤمن من الجهاد بالشیطان لقبح ما يقوم به من فعل .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال في ذم الخوف وترك الجهاد: (من ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً في نفسه، وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه، إن الله تبارك وتعالى أعز أمتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها). (٣٠)

٦ - إن المرجعية الرشيدة كررت في هذا البيان الثاني التأكيد والتذكير بما مرَّ في البيان الأول من أن على الحكومة العراقية والقيادات السياسية ترك النزاعات والخلافات على المناصب الرئاسية والوزارية، وعليهم توحيد الصفوف والجهود والكلمة .

٧ - عبر تحليل كلمات بيانات المرجعية وتوجهاتها ووصاياها للحكومة العراقية والقوات الأمنية والمواطنين يتبين أن منهج المرجعية الدينية في النجف الأشرف هو منهج محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين (سلام الله عليهم أجمعين) الذي يستمد تعاليمه من الدين الإسلامي الحنيف، بينما منهج داعش هو القتل وإرهاب الناس والإفساد في الأرض وهو بعيد كل البعد عن روح الإسلام وتعاليمه السمحاء، والفرق بين المنهجين واضح وجلي لدى العالم بأسره،

ولأجل ذلك قال رئيس الوزراء الايطالي (ماتيو رينتزي) : إن الغرب استطاع أن يتعرف على الصورة الحقيقة للإسلام من خلال فتاوى المرجع الديني الاعلى السيد علي السيستاني). (٣١)

٨ - أكدت المرجعية الرشيدة على صفاء النية وخلوصها في هذا الجهاد الدفاعي ، بأن تكون غاية كل مجاهد ونيته هي الدفاع عن الدين والأرض والعرض والمقدسات ، وللنية أهمية كبيرة في روايات أهل البيت عليهم السلام.
فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله) . (٣٢)

وروي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : (إن العبد المؤمن الفقير ليقول : يا رب ارزقني حتى أفعل كذا وكذا من البر ووجوه الخير ، فإذا علم الله ذلك منه بصدق نية كتب الله له من الاجر مثل ما يكتب له لو عمله ، إن الله واسع كريم) . (٣٣)

٩ - حثت المرجعية الدينية العليا وللمرة الثانية في هذا البيان على التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر ، وأفتت بأن من يقتل وهو يقاتل العدو فإنه يكون شهيداً إن شاء الله تعالى .

١٠ - طلبت المرجعية من المجتمع العراقي أن يحث الأب ابنه والأم ابنتها والزوجة زوجها على الصمود والثبات ، وهي بذلك تشجع العائلة المؤمنة على التضحية بأغلى ما عندها وهم الأولاد في سبيل الانتصار على عدو الإسلام والإنسانية داعش الإرهابي ، فالدفاع عن الدين والأرض والعرض والمقدسات والحفاظ عليها من الهتك والذنس يحتاج إلى بذل الدماء ، ولقد ضحى المسلمون في صدر الإسلام بأرواحهم وبفلذات أكبادهم في سبيل الله تعالى ومن أجل الحفاظ

على دينهم القويم ، كتضحية عائلة عمار بن ياسر (رضوان الله عليهم)

بأنفسهم لأجل هذا الدين ، وتضحية حجر بن عدي وابنه همام ومن معه (رضوان الله عليهم) ^{٣٤} في سبيل العقيدة والدين الحق ، وتضحية سيد الشهداء الإمام الحسين بنفسه وبأولاده (عليه الصلاة والسلام أجمعين).

١١ - وأوضحت المرجعية أن قتال العدو ليس جهاداً ابتدائياً هجومياً، بل هو جهاد دفاعي كفايي ناتج عن اعتداء مسبق من العدو نفسه .

فإذا قام فيه من به الكفاية مع تحقق الغاية سقط عن الباقيين ، وقد بينا سابقا الفرق بين الجهاد الابتدائي الهجومي والجهاد الدفاعي .

١٢- ثم نصت المرجعية على أن حمل السلاح والتطوع في صفوف القوات الأمنية يتأكد بالدرجة الأولى على القادرين على حمل السلاح ومقاتلة الإرهابيين للغاية المذكورة .

فحمل السلاح واجبٌ لتحقيق الغاية من الأمر بالجهاد (فلو كان حمل السلاح واجبا على الأصحاء ، فهو في الإسلام موضوع عن المرضى بنص القرآن ، لكن ليس حراماً عليهم ذلك ، إذا وجدوا همّة تمكنهم من أداء دور فيه) . (٣٥)

١٣- وأكدت المرجعية الرشيدة ان على الحكومة تكريم الضباط والجنود من القوات الأمنية الذين دافعوا عن تراب هذا الوطن ومقدساته وأعراضه ، والتكريم نوع من الشكر والثناء عليهم ، ليكون حافزاً لهم ولغيرهم على أداء الواجب الوطني الملقى على عاتقهم ، فكما أن الغنيمة في الحرب

في الشريعة الإسلامية هي نوع من التكريم للمقاتل ، وكذلك عطاء الدولة للمقاتلين الأبطال هو نوع من التكريم لهم . قال الشيخ جعفر السبحاني :

(اتفق فقهاء الإسلام على أن غنائم الحرب تقسم بين المجاهدين) . (٣٦)

وأشار الشيخ الجواهري إلى ذلك بقوله : (ويكره تأخير قسمة الغنيمة في دار الحرب إلا لعذر) . (٣٧)

الوصية الثالثة: نصّ ما ورد بشأن الأوضاع الراهنة في العراق في خطبة الجمعة التي ألقاها فضيلة العلامة السيد أحمد الصافي ممثّل المرجعية الدينية العليا في يوم (٢١ / شعبان / ١٤٣٥ هـ) الموافق (٢٠ / حزيران / ٢٠١٤ م).
بسم الله الرحمن الرحيم .

في الجمعة الماضية دعت المرجعية الدينية العليا إلى التطوُّع للانخراط في القوات الأمنية للدفاع عن العراق في ظلّ أوضاع صعبة يمرّ بها البلد وهنا عدّة نقاط ينبغي بيانها :

النقطة الأولى: إنّ هذه الدعوة كانت موجهة إلى جميع المواطنين من غير اختصاصٍ بطائفةٍ دون أخرى، إذ كان الهدف منها هو الاستعداد والتهيؤ لمواجهة الجماعة التكفيرية المسماة بداعش التي أصبح لها اليد العليا والحضور الأقوى فيما يجري في عدّة محافظات، وقد أعلنت بكل صراحة ووضوح أنها تستهدف بقيّة المحافظات العراقية حتّى مثل النجف الأشرف و كربلاء المقدسة كما أعلنت بكلّ صراحة أنّها تستهدف كل ما تصل إليه يدها من مرآقد الأنبياء والأئمة والصحابه والصالحين فضلاً عن معابد غير المسلمين من الكنائس وغيرها، فهي إذاً تستهدف مقدّسات جميع العراقيين بلا اختلاف بين أديانهم ومذاهبهم كما تستهدف بالقتل والتكيل كل من لا يوافقها في الرأي ولا يخضع لسلطتها حتّى من يشترك معها في الدين والمذهب .

هذه الجماعة التكفيرية بلاءً عظيمٌ ابتليت به منطقتنا والدعوة إلى التطوُّع كانت بهدف حثّ الشعب العراقي بجميع مكوّناته وطوائفه على مقابلة هذه الجماعة التي ان لم تتم اليوم مواجهتها وطردها من العراق فسيندم الجميع على ترك ذلك غداً ولا ينفع الندم عندئذٍ.

ولم يكن للدعوة إلى التطوُّع أي منطلق طائفي ولا يُمكن أن تكون كذلك، فإنّ المرجعية الدينية قد برهنت خلال السنوات الماضية وفي أشد الظروف

قساوةً أنها بعيدة كل البعد عن أيِّ ممارسةٍ

طائفيةٍ وهي صاحبة المقولة الشهيرة عن أهل السنّة (لا تقولوا اخواننا بل قولوا أنفسنا) مؤكدةً مراراً وتكراراً على جميع السياسيين ومن بيدهم الأمر ضرورة أن تُراعى حقوق كافة العراقيين من جميع الطوائف والمكونات على قدم المساواة ، ولا يُمكن في حالٍ من الأحوال أن تحرّض المرجعية على الإحتراب بين أبناء الشعب الواحد بل هي تحثّ الجميع على العمل لشدّ أواصر الألفة والمحبة بينهم وتوحيد كلمتهم في مواجهة التكفيريين الغرباء .
النقطة الثانية : إنّ دعوة المرجعية الدينية إنّما كانت للانخراط في القوّات الأمنية الرسمية وليس لتشكيل مليشيات مسلّحة خارج إطار القانون ، فإنّ موقفها المبدي من ضرورة حصر السلاح بيد الحكومة واضحٌ ومنذ سقوط النظام السابق فلا يتوّهم أحدٌ أنّها تؤيّد أي تنظيم مسلّح غير مرخص فيه بموجب القانون .

وعلى الجهات ذات العلاقة أن تمنع المظاهر المسلّحة غير القانونية وأن تُبادر إلى تنظيم عمليّة التطوّع وتعلن عن ضوابط محدّدة لمن تحتاج إليهم القوّات المسلّحة والأجهزة الأمنية الأخرى حتّى تتضح الصورة للمواطنين الراغبين في التطوّع فلا يزدحم على مراكز التطوّع إلّا من تتوفّر فيه الشروط .

والمرجعية الدينية إذ توجّهه بالغ شكرها وتقديرها لمئات الآلاف من المواطنين الأعزاء الذين استجابوا لدعوته وراجعوا مراكز التطوّع في مختلف أنحاء العراق خلال الإِسبوع المنصرم فإنها تأسف عما حصل للكثير منهم من الأذى نتيجة عدم توفر الاستعدادات الكافية لقبول تطوّعهم وهي تأمل أن تتحسّن الأمور في المستقبل القريب .

النقطة الثالثة : إنّ المحكمة الاتحاديّة قد صادقت على نتائج الانتخابات النيابية وهناك توقيات دستورية لانعقاد مجلس النواب الجديد واختيار رئيسه

ورئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء وتشكيل الحكومة الجديدة ، ومن المهم جداً الالتزام بهذه التوقيتات وعدم تجاوزها ، كما أن من الضروري أن تتحاور الكتل الفائزة ليتمخض عن ذلك تشكيل حكومة فاعلة تحظى بقبولٍ وطني واسع تدارك الأخطاء السابقة وتفتح آفاقاً جديدةً أمام جميع العراقيين لمستقبلٍ أفضل.

النقطة الرابعة : إن الأوضاع الراهنة تحتم على العراقيين مزيداً من التكاتف والتلاحم فيما بينهم ، ومن هذا المنطلق يتعين التعاون في التخفيف من معاناة النازحين والمهجرين وإيصال المساعدات الضرورية إليهم كما يتعين على تجار المواد الغذائية وغيرها مما يحتاج إليها عامة الشعب أن يراعوا الإنصاف ولا يعمدوا إلى رفع الأسعار ولا يحتكروا الأطعمة التي تشكل قوت الناس فإن الاحتكار بالإضافة إلى كونه غير جائز شرعاً مما لا ينسجم مع مكارم أخلاق العراقيين.

نسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدي الجميع إلى ما فيه الخير والصلاح إنه أرحم الراحمين.

وبعد التمعّن في فقرات البيان أعلاه نستنتج منه التحليل الآتي :

١ - بدأت المرجعية الدينية بوصاياها في هذا البيان على التأكيد بما ذكرته في البيانات السابقة من أن دفع خطر داعش الإرهابي واجب على جميع الطوائف، وقد ثبت عند العقلاء بأن في الاجتماع قوة ومنعة ، كما أوضحت المرجعية خطر داعش ، وخطرهم - بحسب التحليل - لكونهم حاملين - في فكرهم الضال - شعار : (إن لم تكن معي فأنت ضدي) حتّى لمن يشترك معهم في الدين والمذهب . قال البعض في نقد هذا الشعار - وقد أجاد فيما قال - معبراً عن ذلك بما نصه : (.. إن لم تكن معي فأنت ضدي .. ، مبدأ أحمق يحمل كل معاني الذات المنغلقة والأنانية المفرطة ، مثل هذا المبدأ يصدر ثقافة الكراهية ، ويعزز لنظرية المؤامرة داخل الشعوب و المجتمعات).^(٣٨)

٢- دعت المرجعية الرشيدة في هذا البيان - وكعادتها - إلى نبذ التعصب الطائفي والعرقي وغيرهما ، وأكدت على لم شمل العراق بألوانه وأطيافه الدينية والمذهبية المختلفة من شيعة وسنة ومسيح وأكراد وغيرهم ، هذه هي روح الإسلام الحقيقي التي دعا إليها أهل البيت عليهم السلام ، فروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال : (وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم . ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتتم أكلهم ، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق ...) . (٣٩) من هذا المعنى نبعت المقولة الشهيرة للمرجعية الرشيدة في وصف أهل السنة بقوله : (لا تقولوا إخواننا بل قولوا أنفسنا) ، وهذا المنهج بخلاف المنهج الذي جاء به العدو الإرهابي الداعشي الذي يدعو إلى الفرقة والتشتت والقتل .

٣- ان دعوة المرجعية الدينية العليا للتطوع مع القوات الأمنية لقتال العدو لا تعني العشوائية في حمل السلاح في الشوارع وعند كل أحد ، بل أكدت المرجعية على تقنين هذه المسألة وتأطيرها بحصر السلاح بيد الدولة فقط ، للحفاظ على النفس والأمن الفردي والمجتمعي ، ولكي لا تصبح المسألة عبثية وفردية وخارجة عن إطار الدولة؛ لأن هذا الأمر - لو لم يقنن - من شأنه أن يضعف الدولة وله مشاكل كثيرة على مستقبل البلاد .

ورفضت المرجعية التشكيلات والمليشيات المسلحة الخارجة عن راية الدولة وقواتها الأمنية .

وشكرت المرجعية أبناءها الذين تقدموا لتسجيل أسمائهم للتطوع مع القوات الأمنية .

٤- قد عرف عن المرجعية الرشيدة حكمتها بإدارة الأزمات بمختلف أنواعها ، ومن هذه الأزمات الأزمة السياسية في البلاد ، فأخذت المرجعية على عاتقها توجيه السياسيين إلى احترام القانون والتوقيات الدستورية ، كما

دعتهم إلى المحاوره والنقاش الجدي لتشكيل الحكومة العراقية من الكتل الفائزة ، ووجهت الحكومة بتدارك الأخطاء السابقة وفتح آفاق جديدة للشعب العراقي الكريم .

٥ - في المرات السابقة كانت وصايا المرجعية الدينية الرشيدة بالتكاتف والتلاحم للسلامة والقادة والقوات الأمنية ، وهذه الوصايا الحكيمة نفسها وجهتها إلى المواطنين العراقيين فدعتهم أيضا إلى التكاتف والتلاحم والتراحم فيما بينهم ومعاونة أحدهم الآخر ، فالمرجعية المباركة كما دعت أبناء العراق للتعایش السلمي ، دعتهم أيضا للتكافل الاجتماعي فيما بينهم ببذل الطعام وتقديمه لكل محتاج ومتضرر بسبب أزمة داعش الإرهابي وخصوصاً الدعم اللوجستي لأهالي المناطق المحررة ولقطعات الحشد الشعبي ، كما خاطبت المرجعية تجار المواد الغذائية بعدم إحتكار السلع الغذائية ورفع أسعارها؛ لأن ذلك لا يتناسب مع الحكم الشرعي وما عرف عن كرم وأخلاق الشعب العراقي وأخلاقه .

وما أوصت به المرجعية المباركة نابع من صلب الشريعة الإسلامية السمحاء ، أما بالنسبة لثواب بذل الطعام وإطعامه ، فقال الشيخ المفيد : (... وروي ما من شيء يتقرب به إلى الله عز وجل أحب إليه من إطعام الطعام وإراقة الدماء - أي ذبح هدي الحج بمنى -) . (٤٠)

وقال السيد البروجردي : (فيستفاد من هذه - الآية - وأمثالها مما وردت في الكفارات ان الإطعام يعدل الصوم والعتق ويمحو الذنب) . (٤١)

وبالنسبة للإحتكار فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : (المحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله) . (٤٢)

الوصية الرابعة : نصّ ما ورد بشأن الوضع الراهن في العراق في خطبة الجمعة التي ألقاها فضيلة العلامة السيد أحمد الصافي في يوم (٥/ رمضان

١٤٣٥هـ) الموافق (٤/ تموز/ ٢٠١٤م)

بسم الله الرحمن الرحيم

فيا يتعلّق بالوضع الراهن هناك عدّة نقاط :

١ - انعقدت في يوم الثلاثاء الماضي أولى جلسات مجلس النواب الجديد وفقاً لما نصّ عليه الدستور، وتفاءل المواطنون أن يكون ذلك بداية جيدة لهذا المجلس في الالتزام بالنصوص الدستورية والقانونية، ولكن ما حصل لاحقاً من عدم انتخاب رئيس المجلس ونائبه قبل رفع الجلسة كان إخفاقاً يؤسف له. والمؤمل من الكتل السياسية أن تكثف جهودها وحواراتها للخروج من الأزمة الراهنة في أقرب فرصة ممكنة.

إنّ على الجميع أن يكونوا في مستوى المسؤولية العظيمة الملقاة على عواتقهم في هذه الظروف الاستثنائية.

إنّ الإسراع في تشكيل الحكومة الجديدة وفقاً للأطر الدستورية مع رعاية أن تحظى بقبولٍ وطني واسع في غاية الأهمية، كما أنّ من المهم أن يكون الرؤساء الثلاثة منسجمين فيما بينهم في وضع السياسات العامة لإدارة البلد، وقادرين على العمل سوية في حلّ المشاكل التي تعصف به وفي تدارك الأخطاء الماضية التي أصبحت لها تداعيات خطيرة على مستقبل العراقيين جميعاً.

٢ - إنّ عشرات الآلاف من المواطنين من التركمان والشبك والمسيحيين والأقليات الأخرى يعيشون في هذه الأيام ظروفاً قاسية بسبب التهجير والنزوح عن مناطق سكناتهم بعد سيطرة الارهابيين على مدنهم وقراهم في محافظة نينوى وغيرها.

إنّ الجهود المبذولة في رعايتهم والتخفيف من معاناتهم لا تزال دون المستوى المطلوب. إنّ الحكومة الاتحاديّة تتحمّل مسؤولية كبيرة تجاه هؤلاء المهجّرين والنازحين، كما أنّ حكومة إقليم كردستان والمنظّمات الدولية مدعوّة إلى بذل المزيد من الاهتمام بهم.

إنَّ هؤلاء المواطنين يجب أن تتوفَّر لهم فرصة العود إلى مناطق سكنهم بعد استتباب الأمن والسلام فيها، ولا يجوز أن يكون تهجيرهم ونزوحهم عنها مدخلاً لأيِّ تغييرات ديموغرافية في تلك المناطق.

٣ - إنَّ الظروف الحسَّاسة التي يعيشها العراق تحتَّم على جميع الأطراف، ولاسيَّما القيادات السياسية، الابتعاد عن أيِّ خطابٍ متشدِّدٍ يؤدِّي إلى مزيد من التآزم والتشنُّج.

إنَّ احترام الدستور والالتزام ببنوده من دون انتقائية يجب أن يكون هو الأساس الذي تبنى عليه جميع المواقف ولا يمكن القبول بأيَّة خطوة خارج هذا الإطار.

٤ - نوَّكد مرَّةً أخرى على ضرورة تنظيم عملية التطوُّع وإدراج المتطوِّعين ضمن تشكيلات الجيش والقوات الأمنية الرسمية وعدم السماح بحمل السلاح بصورة غير قانونية، وفي هذه المناسبة نجدد الشكر والتقدير للقوَّات الأمنية ومن التحق بهم من المتطوِّعين الذين يخوضون معارك ضارية ضدَّ الإرهابيين الغرباء من أجل الحفاظ على بلدنا وشعبنا بجميع مكوَّناته وطوائفه سائلين المولى العليَّ القدير أن يحميهم وينصرهم إنَّه سميع مجيب .
وبعد التأمل في فقرات البيان أعلاه نستنتج منه التحليل الآتي :

١ - إنَّ المرجعية الحكيمة كررت بعض النقاط المهمة التي أوصت بها في البيانات السابقة، ولكن لا نتعرض لها لأننا ذكرناها أنفأ، ولنركز على الوصايا الجديدة في هذا البيان .

٢ - إنَّ من أهمِّ الأمور التي ركزت عليها المرجعية هي قضية ترك الناس لأرضهم والهجرة والانتقال بسبب الوضع الأمني إلى أراضي أخرى لا يعني أخذ الأرض منهم، بل يجب إرجاع الأرض لأصحابها بعد تحريرها وطرده داعش الإرهابي منها، وان لا تستغل هجرتهم من أراضيهم لأخذ الأرض منهم لأسباب وغايات طائفية أو عرقية أو حزبية أو غيرها .

٣- إنَّ المرجعية الرشيدة دعت القادة السياسيين إلى ترك الخطابات المتشددة التي تزيد الوضع سوءاً واضطراباً، فالعقل يحكم بترك الخلاف الداخلي فيما لو تعرض البلد إلى نزاع وخلاف مع عدو أجنبي .

٤- شددت المرجعية على جعل القانون والدستور هو الأساس الذي تبنى عليه جميع المواقف، وأوجبت عدم تجاوز أي شيء منه. قال آية الله العظمى الشيخ محمد إسحاق الفياض: (كما أن من وظيفة الرعايا الالتزام بالقوانين المجعولة في الحكومات، فلو أن أحداً خالف قانوناً من تلك القوانين اعتذاراً بأنه لا مصلحة في جعله أو أن فيه مفسدة فلا يسمع هذا الاعتذار منه ويعاقب على مخالفة ذلك) .^(٤٣)

الوصية الخامسة: نص ما ورد بشأن الأوضاع الراهنة في العراق في خطبة الجمعة لممثل المرجعية الدينية العليا في كربلاء المقدسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في (١٢ / رمضان / ١٤٣٥ هـ) الموافق (١١ / تموز / ٢٠١٤ م)

بسم الله الرحمن الرحيم

فيما يتعلق بالأوضاع الراهنة هناك عدة أمور نتعرض لها :

الامر الاول: في الظروف الصعبة والحساسة التي يعيشها العراقيون جميعاً وهم يواجهون الارهابيين الغرباء فإن أهم ما تمس الحاجة اليه هو وحدة الصف ونبذ الفرقة والاختلاف، ومن هنا طالما طلبنا من السياسيين والذين يظهرون في وسائل الاعلام أن يكفوا عن المواقف الخطابية المتشددة والمهاترات الاعلامية التي لا تزيد الوضع إلا تعقيداً وإرباكاً، ولكن مع الأسف الشديد نجد أن البعض لا يزال يمارس ذلك، وحتى وصل الأمر الى بعض المواطنين فنسمع منهم أحياناً نماذج مؤسفة من الكلام الطائفي أو العنصري، أو نجد ذلك في مواقع التواصل الاجتماعي وهذا لا يليق بالعراقيين بكل تأكيد. إننا جميعاً أبناء شعب واحد وقدردنا ان يعيش بعضنا مع بعض فلا بد من العمل

على شد أو اصر المحبة والألفة بيننا وترك كل ما يؤدي إلى مزيد من التشنج والاختلاف بين مكونات هذا الشعب العريق .

الأمر الثاني : إنّ التحديات والمخاطر الكبيرة الحالية والمستقبلية التي تحقّق بالعراق والتي تهدد السلم الأهلي ووحدة النسيج الاجتماعي للشعب العراقي وتندّر بواقع مقسم ومتناحر لعراق المستقبل تتطلب وقفة شجاعة وجريئة ووطنية صادقة من الكتل السياسية والقادة السياسيين تتجاوز فيها البحث عن المصالح الضيقة الشخصية والفئوية والطائفية والقومية واستغلال هذه الظروف لتحقيق مكاسب سياسية او مناطقية او الاصرار على بعض المطالب التي تعقد الوضع السياسي وتمنع من حل الأزمة الراهنة لترتقي هذه الكتل والقادة الى مواقف تتجاوز (الأنا) بأي عنوان كان لتعبر عن التضحية والايثار والغيرة على مصالح هذا البلد وشعبه المهّدد بالتمزق والتناحر، وذلك يقتضي من مجلس النواب المحترم عدم تجاوز التوقيتات الدستورية بأزيد مما حصل والاسراع في انتخاب الرئاسات الثلاث وتشكيل حكومة جديدة تحظى بقبول وطني واسع لتضع الحلول الجذرية لمشاكل البلد وأزماته المتراكمة .

الأمر الثالث : لقد أوضحنا أكثر من مرة أن الدعوة للتطوع في صفوف القوات العسكرية والأمنية العراقية إنما كانت لغرض حماية العراقيين من مختلف الطوائف والأعراق وحماية أعراضهم ومقدساتهم من الارهابيين الغرباء، ومن هنا نؤكد على جميع المقاتلين في القوات المسلحة ومن التحق بهم من المتطوعين الذين نشيد بشجاعتهم وبسالتهم في الدفاع عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم... نؤكد عليهم جميعاً ضرورة الالتزام التام والصارم برعاية حقوق المواطنين جميعاً وعدم التجاوز على أي مواطن بريء مهّم كان انتماءه المذهبي أو العرقي وأياً كان موقفه السياسي، ونذكّر الجميع بما قاله النبي المصطفى ﷺ في حجة الوداع عندما خاطب الناس بقوله: ((ألا وان

دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا ليلغ الشاهد الغائب)) ويقوله ﷺ: ((من أعان على قتل مسلم بشرط كلمة لقى الله عز وجل يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله)) فالحذر الحذر من التسبب في إراقة قطرة دم إنسان بريء أو التعدي على شيء من أمواله وممتلكاته.

ونؤكد أيضاً مرة أخرى على ضرورة تنظيم عملية التطوع وإدراج المتطوعين في ضمن القوات العسكرية والأمنية العراقية الرسمية وعدم السماح بوجود مجموعات مسلحة خارج الأطر القانونية تحت أي صفة وعنوان، إن هذا مسؤولية الحكومة وليس لها ان تتسامح في القيام بها.

الامر الرابع: يفترض بالمسؤولين من مختلف الدرجات والأصناف الحضور الميداني في تجمعات النازحين ومعسكرات المقاتلين لمعايشة الواقع والاطلاع المباشر على احتياجاتهم والسعي لتلبيتها والاسراع في صرف التخصيصات المالية لهم ولاسيما توفير الأدوية والكوادر الطبية للنازحين ودعم القوات المسلحة بالمؤن الغذائية والمستلزمات العسكرية الضرورية وشحن الهمم ورفع المعنويات لمزيد من الصبر والثبات في مكافحة الارهابيين الغرباء.

الأمر الخامس: يواجه الشعب الفلسطيني في غزة عدواناً إسرائيلياً متواصلاً منذ عدة أيام، إننا في الوقت الذي نؤكد فيه إدانتنا للعدوان وتضامننا مع أخوتنا وأخواتنا في فلسطين المحتلة ندعو بدورنا المجتمع الدولي الى وضع حد للاعتداءات الاسرائيلية والوقوف الى جانب الفلسطينيين في محنتهم.

وبعد التمعن في فقرات البيان المتقدم نستنتج منه التحليل الآتي:

١ - كررت المرجعية الرشيدة الكثير من الأمور المهمة التي ذكرتها في الوصايا السابقة، فلا داعي لذكرها ولندكر الأمور الجديدة التي لم نتكلم عنها سابقاً.

٢- دعت المرجعية الحليفة إلى التعايش السلمي بين أبناء الشعب العراقي ، ونبذ كل ما يعكر صفو هذا التعايش من قول أو فعل مع التأكيد على شد وأصر المحبة والألفة بين أبناء العراق الحبيب .

٣- إن المرجعية المباركة حذرت المقاتلين وهم في الأراضي المحررة من الاعتداء على أي مواطن أو مال أو ملك شخصي ، فروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ، ثم يقول : سيروا بسم الله وبالله ، وفي سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله ﷺ ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا صبيا ولا امرأة ، ولا تقطعوا شجرا إلا أن تضطروا إليها...^(٤٤) وهذه الرواية والروايات النبوية التي ذكرتها المرجعية تدل على أن هذه الوصايا نابعة من الفكر الإسلامي وخلق السامي .

٤- أدانت المرجعية اللببية العدوان الإسرائيلي على فلسطين المحتلة ، ودعت المجتمع الدولي إلى وضع حد للاعتداءات الإسرائيلية .

الخاتمة

وأما النتائج التي ظهرت عن طريق البحث فهي:

- ١ - إثبات موافقة ومطابقة وصايا المرجعية الرشيدة للمنهج الإسلامي الحنيف الذي يحمل في طياته القيم الأخلاقية والتربوية للناس .
- ٢ - إنّ وصايا المرجعية الدينية العليا وصايا حكيمة أثمرت في المجتمع العراقي الهدوء والاستقرار بعدما كان الوضع هو الفوضى والعبث والاضطراب في المستويين السياسي والأمني .
- ٣ - بعد إثبات موافقة ومطابقة وصايا المرجعية الرشيدة للمنهج الإسلامي الحنيف الذي يحمل في طياته القيم الأخلاقية والتربوية للناس ، يتبين قطعاً بأن المنهج المخالف له هو منهج بعيد عن روح وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف ، كالمناهج الداعشي الزائغ .

التوصيات والمقترحات:

- ١- تعديل النقص وتصحيح الخطأ إن وجد في بحثي هذا ، لأنني معرض للسهو والنسيان والخطأ وأحدنا يكمل الآخر ، ف (المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضاً) .^(٤٥)
- ٢- تسليط الضوء على جمع كل ما صدر عن المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى سماحة السيد علي الحسيني السيستاني (دامت ظلّه الوارف) من وصايا وخطب وبيانات وتوجيهات وتحليلها فإن فيها سعادة الفرد والمجتمع بأسره لو التزم وأخذ بها .
- ٣- جمع ما سلط عليه الضوء في النقطة الثانية وجعله كموسوعة تاريخية تضاف لسيرة علماء الحوزة العلمية وأفذاها الذين بذلوا أوقاتهم في خدمة الناس .

الهوامش

- ١- سورة التحريم ، الآية ٩ .
- ٢- ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ، ج ١ ، ص ٤٤٨ .
- ٣- الكافي ، الشيخ الكليني ، ج ٥ ، ص ٢ .
- ٤- ينظر : مقاييس اللغة ، ج ٦ ، ص ١١٦ .
- ٥- انظر : تفسير الراغب الأصفهاني ، ج ١ ، ص ٣١٩ ... المفردات ، الراغب الأصفهاني ، ص ٨٧٣ .
- ٦- ٣- من الانترنت ، موقع موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، // <https://modoe.com/show-book-scroll/485>
- ٧- موقع مكتب ساحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه الوارف) ، السيرة الذاتية ، <https://www.sistani.org/arabic/data/> /١
- ٨- موقع معجم المعاني الجامع ، <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%84%AD%D9%DA%AV%DA%B1%DA%5>
- ٩- جامع المقاصد ، المحقق الكركي ، ج ٣ ، ص ٣٦٥ .
- ١٠- انظر : فقه اهل البيت (عليه السلام) ، مؤسسة دائرة المعارف فقه اسلامي ، ج ٣٢ ، ص ٩١-٩٣ نقلاً عن قول الشيخ كاشف الغطاء .
- ١١- انظر : رسائل ومقالات ، السبحاني الشيخ جعفر ، ج ٢ ، ص ١٣٤ .
- ١٢- الينابيع الفقهية ، علي أصغر مرواريد ، ج ٣١ ، ص ٢١٥ .
- ١٣- سورة الأنفال ، الآية ٦٠ .
- ١٤- م.ن. الآية ٥٨ .
- ١٥- انظر : كتاب التوحيد في المشهد الحسيني وانعكاسه على خارطة مسؤوليات العصر الراهن ، السند الشيخ محمد ، ج ١ ، ص ٣٤٨-٣٥٢ .
- ١٦- انظر : فقه أهل بيت (عليه السلام) ، مؤسسة دائرة المعارف فقه اسلامي ، ج ٣٢ ، ص ١٣٩ - ١٤٩ .
- ١٧- أصول البحث ، الدكتور عبد الهادي الفضلي ، ص ٤٩ .
- ١٨- أصول البحث ، الدكتور عبد الهادي الفضلي ، الصفحة ٥٠ .
- ١٩- تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي - ج ١ - الصفحة ٤٠٢ .
- 20- موقع <https://languages.oup.com/google-dictionary-ar> (Oxford Languages)
- 21- موقع <https://languages.oup.com/google-dictionary-ar> (Oxford Languages)
- ٢٢- سورة آل عمران ، الآية ١٠٣ . -
- ٢٣- سورة الأنفال ، الآية ٦٥ . -

- ٢٤- ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ، ج ١ ، ص ٤٤٥ . -
- ٢٥- سورة التوبة ، الآية ١٣ . -
- ٢٦- م.ن.الايقان : (٨٦ و ٨٧) . -
- ٢٧- م.ن. الآية ٣٨ . -
- ٢٨- سورة آل عمران ، الآية ١٧٥ . -
- ٢٩- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، ج ٣ ، ص ٩ . -
- ٣٠- ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ، ج ١ ، ص ٤٤٨ . -
- ٣١- -- ٤ من موقع : (وكالة نون الخيرية ، مقالة بقلم : حسين فرحان) وموقع : (وكالة أنباء براثا ، بقلم أياد الإمارة ، الوقت : ١٩ : ٨ ، التأريخ : ٢٤ / ٨ / ٢٠١٤ م) .
- ٣٢- شرح أصول الكافي ، مولي محمد صالح المازندراني ، ج ٨ ، ص ٢٦٦ . -
- ٣٣- وسائل الشيعة (آل البيت) ، الحر العاملي ، ج ١ ، ص ٤٩ . -
- ٣٤- موسوعة كربلاء ، ج ١ ، ص ٣٦٠ . -
- ٣٥- جهاد الإمام السجاد (عليه السلام) ، السيد محمد رضا الجلالي ، ص ٤٤ . -
- ٣٦- العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، الشيخ جعفر السبحاني ، ص ٣٤٩ .
- ٣٧- جواهر الكلام ، الشيخ الجواهري ، ج ٢١ ، ص ٢١٢ . -
- ٣٨- من الانترنت ، موقع المدينة اون لاين ، مقالة : (إن لم تكن معي ...) ، للكاتب : علي أبو القرون الزهراني ، <https://www.al-madina.com/author/> /١٧١/ -
- ٣٩- نهج البلاغة ، خطب الإمام علي (عليه السلام) ، ج ٣ ، ص ٨٤ . -
- ٤٠- الاختصاص ، الشيخ المفيد ، ص ٢٥٣ . -
- ٤١- جامع أحاديث الشيعة ، السيد البروجدي ، ج ٨ ، ص ٤٨٦ . -
- ٤٢- ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ، ج ١ ، ص ٦٦٦ . -
- ٤٣- محاضرات في أصول الفقه ، آية الله العظمى الشيخ إسحاق الفياض ، ج ٣ ، ص ٢١١ . -
- ٤٤- بحار الأنوار ، العلامة المجلسي ، ج ١٩ ، ص ١٧٧ . -
- ٤٥- حديث نبوي شريف ، راجع : محمد الريشهري ، ميزان الحكمة ، ج ١ ، ص ٢٠٨ . -

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- * ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، مقاييس اللغة ، بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، مطبعة : مكتب الإعلام الإسلامي ، تاريخ النشر : جمادي الآخرة ١٤٠٤ هـ .
- * ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ، لسان العرب ، الناشر : أدب الحوزة قم - إيران ، سنة النشر : ١٤٠٥ هـ - ١٣٦٣ ق .
- * البروجردي المحقق العلامة الإمام آية الله العظمى الحاج آقا حسين الطباطبائي ، جامع أحاديث الشيعة ، طبع في المطبعة العلمية - قم ، سنة الطبع : ١٣٩٩ هـ - ق .
- * الجلالى السيد محمد رضا الحسينى ، جهاد الإمام السجاد (عليه السلام) ، سنة الطبع : ١٤١٨ هـ .
- * الجواهرى الشيخ محمد حسن النجفى ، جواهر الكلام فى شرح شرائع الإسلام ، تحقيق وتعليق : الشيخ عباس القوجانى ، المطبعة : خورشيد دار الكتب الإسلامية - طهران ، بزار سلطاني ، الطبعة : الثالثة ، تاريخ الطبع : خريف ١٣٦٧ ق .
- * نهج البلاغة ، الشريف الرضى ، تحقيق وشرح : الشيخ محمد عبده ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش .
- * الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد ، تفسير الراغب الأصفهاني ، تحقيق ودراسة : د. محمد عبد العزيز بسيوني ، الناشر : كلية الآداب - جامعة طنطا ، الطبعة الأولى : ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
- * الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات ، الطبعة : الثانية ، سنة الطبع : ١٤٠٤ هـ .
- * الري شهري العلامة الشيخ محمد ، ميزان الحكمة ، تحقيق : دار الحديث ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٦ هـ . ق .
- * السبحاني العلامة المحقق الشيخ جعفر ، رسائل ومقالات ، المطبعة : مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام - قم المشرفة .
- * السبحاني العلامة المحقق الشيخ الأستاذ جعفر ، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، تحقيق : نقل إلى العربية : جعفر الهادي ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- * السند العلامة الشيخ محمد ، كتاب التوحيد في المشهد الحسيني وانعكاسه على خارطة مسؤوليات العصر الراهن ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٤ م .
- * الشيرازي الشيخ ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الناشر : قسم الترجمة والنشر لمدرسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، الطبعة : الثانية .
- * العاملي الشيخ محمد بن الحسن الحر ، وسائل الشيعة (آل البيت) ، تحقيق : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، الطبعة : الثانية ، سنة الطبع : ١٤١٤ هـ .
- * الفضلي الدكتور الشيخ عبد الهادي

- ، أصول البحث ، الناشر : مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، تاريخ النشر: ٠١ يناير ١٩٩٠ م .
- * فقه أهل البيت (عليهم السلام) ، مؤسسة دائرة المعارف فقه اسلامي ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .
- * الفياض آية الله العظمى الشيخ محمد إسحاق ، محاضرات في أصول الفقه ، المطبعة: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع : ١٤١٩ هـ .
- * الكركي المحقق الشيخ علي بن الحسين ، جامع المقاصد ، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، الطبعة: الأولى ، سنة الطبع: جمادى الأولى .
- * الكليني الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي ، الكافي ، تحقيق وتصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، الطبعة: الثالثة ، سنة الطبع: ١٣٦٧ ش .
- * ليبب بيضون ، موسوعة كربلاء ، الناشر: مؤسسة الأعلمي .
- * المازندراني المولى محمد صالح ، شرح أصول الكافي ، تحقيق: مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعرائي - ضبط وتصحيح : السيد علي عاشور ، المطبعة: دار احياء التراث العربي بيروت _ لبنان ، الطبعة: الأولى ، سنة الطبع: ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م .
- * المجلسي العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، المطبعة : مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان ، الطبعة : الثانية ، سنة الطبع: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- * مرواريد علي أصغر ، ينباع الفقهية ، الطبعة الأولى ، سنة الطبع: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
- * المفيد فخر الشيعة أبو عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي ، الاختصاص ، تحقيق: علي أكبر الغفاري ، السيد محمود الزرندي ، الطبعة: الثانية ، سنة الطبع: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
- * (شبكة الإنترنت) : www.al-madina.com .
- * ١ . موقع : المدينة اون لاين ، مقالة : (إن لم تكن معي ...) ، للكاتب : علي أبو القرون الزهراني .
- * موقع : معجم المعاني الجامع . <https://www.almaany.com> .
- * ٣ . موقع : مكتب ساحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه الوارف) ، السيرة الذاتية ، <https://www.sistani.org/arabic/data/1/> .
- * موقع : موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، <https://modoee.com> .
- * موقع : وكالة أنباء برانا ، بقلم أياد الإمارة ، الوقت : ١٩ : ٨ ، التأريخ : ٢٤ / ٨ / ٢٠١٤ م ، <https://burathanews.com/arabic> .

* موقع : وكالة نون الخيرية ، مقالة بقلم
(Oxford Languages) ، [https://
languages.oup.com/](https://languages.oup.com/) .
: حسين فرحان ، ٤٤ non / .
net / .
public
: * موقع :

أثرُ القيمِ الأخلاقيةِ في صناعةِ الإنسانِ والحفاظِ على الوطنِ

الباحثة ضياء علي عياد / لبنان

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى الإضاءة على أهمية القيم الأخلاقية انطلاقاً من وصايا سماحة السيد علي السيستاني (دام ظلّه الوارف)، وما قدّمه من تصوّر واضح لمنظومة القيم التي يريد الإسلام للمسلمين أن يحصّلها ويعمل في إطارها، إذ إن تربية الشباب على مفهوم القيم الأخلاقية تسهم في بناء جدار يحميها من الاختراق والتغيير، وتلعب دوراً مهماً على صعيد إعداد جيل من الشباب ذي شخصيات فعّالة. وهنا تكمن أهمية دور المرجع الديني الفعّال الذي لا بدّ من أن يتلاقى مع المؤسسات الدينية والتربوية والاجتماعية وغيرها لنجاح عملية صناعة الإنسان بالصورة الحقيقية التي يريد أن يراه الله عليها.

أما النتائج التي تمّ التوصل إليها يكمن أهمها في أن الالتزام بالقيم الأخلاقية والتعاون من أجل غرس مفهومها في نفوس الشباب من شأنه أن يخلق بيئة صالحة عمادها التعايش والتفاهم والاستقرار بعيداً عن العنف والاقتيال في ظلّ الدور الفعّال الذي تمارسه المرجعية الدينية.

وفي الخاتمة كان لا بدّ من تضمين البحث الأسس التي يجب أن يبنى عليها الإنسان من أجل بناء شخصية وطنية فاعلة وتضمن من ثمّ الحفاظ على النسيج الوطني في مواجهة القيم الدخيلة كافة التي تتعارض مع المفهوم الإسلامي الحقيقي وتحاول تشويه الصورة الحقيقية للدين القائم على المحبة والتعايش السلمي.

إشكالية البحث تمحورت حول ما إذا أسهمت المرجعية الدينية في صنع شخصية وطنية والحفاظ على النسيج الوطني.
أما فرضية البحث فكانت: ما هو أثر التربية على القيم الأخلاقية والتربوية والأدبية في بناء شخصية وطنية فاعلة والحفاظ على النسيج الوطني؟
تمت معالجة الفرضية عن طريق الاستدلال على النص القرآني ونهج البلاغة والصحيفة السجادية ووصايا السيد السيستاني دام ظلّه وفتاواه.

Abstract:

The research aims to shed light on the importance of ethical values based on the Recommendations of His Eminence Seid. Ali al-Sistani (May Allah prolong his life). His clear vision outlines the system of values that Islam encourages Muslims to cultivate and adhere to. Educating young people on the concept of ethical values contributes to building a protective barrier against external influences and transformations. It also plays a pivotal role in preparing a generation of youth with effective and impactful personalities. Here lies the significance of the active role of the religious authority, which should align with religious, educational, social, and other institutions to ensure the success of the process of shaping individuals in the true image that Allah desires for them.

The most significant finding of our research is that adhering to moral values and working together to instill these values in the youth will create a suitable environment characterized by coexistence, understanding, and stability, far from violence and conflict. This is facilitated by the active role played by religious authorities.

Furthermore, it was essential to include in the research the fundamental principles upon which individuals should depend in building their active national identity. This, in turn, ensures the preservation of the national fabric in the face of all foreign values that contradict the true Islamic concept and attempt to distort the authentic image of a religion based on love and peaceful coexistence.

The research problem centered on whether religious authority contributed to the formation of national identity and the preservation of the national fabric. The research hypothesis was: What is the impact of moral, educational, and literary values on building an

effective national identity and preserving the national fabric? The hypothesis was addressed by referencing the Quranic text, the principles of rhetoric, the supplications of Imam Sajjad , peace be upon him, and the statements and fatwas of Grand Ayatollah Sistani , May Allah prolong his life .

المقدمة:

حازت القيم والأخلاق على اهتمام الباحثين والمفكرين والفلاسفة وعلماء الدين، وكانت محوراً أساسياً في دراساتهم وأبحاثهم، لما تشكّله من أهميّة إنسانية بالغة في عمليّة صناعة الفرد والمجتمع.

وعلى مرّ تاريخها، أولت المرجعية الدينية الشيعية اهتماماً بالغاً بحياة الفرد والمجتمع، على الرغم من اعتمادها سياسة عدم التدخل في الأمور السياسية، إلا أنّ دورها كان مؤثراً في اللحظات الحاسمة.

تهتمّ المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف بالظواهر المجتمعية التي تهدد المنظومة الاخلاقية والتعايش الاجتماعي، وتعتبر أنّ جزءاً من وظائفها الأساسية يكمن في تبيان المعارف الإلهية والأحكام الشرعية ومناهج الإسلام، وتعريف المجتمع عليها وتحسينه منها.^(١) وتعتبرها ضرورة في حياة الفرد والمجتمعات بغض النظر عن انتمائها الديني من عدمه، فازدهار المجتمعات وتطورها على وفق تصوّرها محكوم بالاعتناء بالمنظومة القيمية الأخلاقية كثقافة منتشرة بين أفراد المجتمع ومؤسسات الدولة، وتحويلها إلى ممارسات يومية.^(٢)

ويتمحور دور المرجعية الدينية حول تزويد المؤمنين بالفتاوى الشرعية في مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، وتقوم بحكم مكانتها الاجتماعية والدينية بإعانة الفقراء ورعاية المؤسسات والمراكز الدينية وغيرها، انطلاقاً من استقلاليتها الشخصية التي تعكس قوّة تحركاتها باتخاذ المواقف على وفق فهمها بالظروف المحيطة.

وفي الوقت الذي بقيت فيه المرجعية الدينية العليا في النجف اليوم، المتمثلة بسماحة آية الله العظمى سماحة السيد علي السيستاني (دام ظلّه الوارف) على موقفها السابق في عدم التدخل في الشأن السياسي، إلا أنّ الظروف والأزمات التي مرّ بها العراق فرضت عليه التدخل الذي بقي محصوراً في جوانب محدّدة.

وفي الوقت الذي يعيش فيه كل مجتمع ظروفه الاجتماعية الخاصة التي تحدّد تقاليده وأعرافه وقيمه وعاداته، تعتبر المرجعية أن العيش في مجتمعات ذات قيم غربية تفرض على المهاجرين إليها من أبناء المجتمعات الإسلامية مقاومة الإنصهار في بوتقة القيم الطارئة وحماية أنفسهم وأبنائهم من الذوبان التدريجي فيها، مما يجتّم عليهم بذل جهود إضافية لتحسين أنفسهم وعوائلهم وأبنائهم من أثارها المدمرة^(٣).

وانطلاقاً من المسؤولية التي تلقى على عاتق الجميع كل من موقعه، كانت هذه الدراسة التي تهدف إلى تبيان الأثر الذي تلعبه القيم الأخلاقية والتربوية في حياة الفرد والمجتمع عن طريق وصايا المرجعية الدينية العليا وقدرتها على بناء شخصية وطنية فاعلة، لذلك فقد تم تقسيم البحث على قسمين وكل قسم إلى مبحثين .
ستتحدث في القسم الأول منه عن القيم الأخلاقية والتربوية بين الأعراف والدين، بينما سنتناول في القسم الثاني أثر المرجعية الدينية في بناء شخصية وطنية فاعلة ومجتمع موحد ومتناسك.

* القسم الأول: القيم الأخلاقية والتربوية بين الأعراف والدين

تعدّ العادات والأعراف المحرك الأساس لتحديد خصوصية المجتمع الوطنية وترتيب أولوياته، إلا أنها لا تحمل صفة الثبات بسبب تأثرها بمستويات المعرفة الإنتاجية والثقافية، وهي بذلك تختلف عن القيم الأخلاقية التي تتسم بالشمولية والثبات وعدم خضوعها لعملية التطوير.

* المبحث الأول: ماهية القيم الأخلاقية والتربوية

تكتسب القيم أهمية كبيرة في حياة الفرد والجماعة وتسهم في تمكين المجتمع من مواجهة التحديات التي قد تواجهه، وتعمل من ثمّ على ربط أسس المجتمع ومكوّناته الثقافية بعضها البعض الآخر بشكل متناسق على وفق قواعد علمية متكاملة.

* أولاً: مفهوم القيم (أهميتها في حياة الإنسان)

يصرّ الفلاسفة على أن القيمة مبدأ الوجود، فجلول لانو مثلاً، يرى أن الحقيقة التي نبحث عنها هي القيمة وليس الوجود، أما لوي لافيل، فيرى أن الوجود بدون قيمة ناقص، وقد ينحو نحو الكمال عندما تكون القيمة مبدأ له، إذ إن هناك تبريراً للأنتولوجيا

أما نواحي القيم فهي:

١. الناحية اللغوية: هي جمع كلمة «قيمة» وتشير إلى المكانة التي يتبوّؤها الإنسان بين الناس وسمو شأنه في المجتمع.

٢. الناحية الذاتية: هي الصفة التي تجعله مطلوباً ومرغوباً فيه عند شخص واحد أو عند طائفة معينة من الأشخاص.

٣. الناحية الموضوعية: هي مجموع ما يتميز به الشيء من صفات تجعله يستحق التقدير كثيراً أو قليلاً.^(٤)

وتعدّ القيمة حاضرة في سلوك الإنسان، إذ إنّها تحدد اتجاه هذا السلوك وترسم مقوماته وتعيّن بنيانه، ويمكن تقسيم النظريات القيمية التي أخذت بالاتساع في العصر الحديث على ثلاثة أنواع:

١. النظريات المادية الحسيّة: نظرت إلى القيم باعتبارها أشياء، أو ظواهر طبيعية أو اجتماعية.

٢. النظريات المثاليّة: نظرت إلى القيم من ناحية الإنسان أو الفاعل الذي يقيّمها بما يصدره عليها من أحكام عقلية، أو الذي يخلقها من أفعال سلوكية.

٣. النظريات الواقعيّة: ترى أن القيم لها نوع خاص من الوجود، وتختلف به عن وجود الظواهر من ناحية، فيما تجعلها غير خاضعة لفاعلية الإنسان أيّاً

كانت سواءً الفاعلية الذهنية أو السلوكية من ناحية أخرى.^(٥)

* ثانياً: صراع القيم بين الحضارات

يعيش الفرد اليوم صراعاً بين القيم الدينية كما جاءت في تعاليم الإسلام، وبين المفاهيم الشائعة التي يسعى البعض إلى الترويج لها، ولا سيّما بعد انتشار مواقع التواصل الاجتماعي التي جعلت العالم قرية كونية واحدة، وفتحت المجال أمام غزو القيم ومحاوله هدم المنظومة القيمية التي رسمها الإسلام، إذ تعيش المجتمعات اليوم محاولات للمزاوجة بين الموروثات الثقافية والدينية والمنظومات القيمية التي انتقلت إليها عبر التحولات التاريخية والمجتمعية. وأمام هذا الواقع، تمارس المرجعية الدينية دورها المحوري في حياة الأمة، انطلاقاً من القاعدة الشعبية الكبيرة التي تتمتع بها، والالتزام الجماهيري القوي بمواقفها، إذ يرتبط بها المسلمون الشيعة ارتباطاً روحياً عميقاً تسهم في منحها القوّة في ممارسة دورها الذي يعدّ امتداداً لدور أئمة أهل البيت (عليهم السلام) والنبي محمد ﷺ.

وفي هذا الإطار أوصى سماحة السيّد السيستاني دام ظلّه الوارف الشباب بشماني وصايا، وأكد أنها تمام السعادة في هذه الحياة وما بعدها، وهي خلاصة رسائل الله سبحانه إلى خلقه وعظة الحكماء والصالحين من عباده، وما أفضت إليه تجاربه وانتهى إليه علمه.

١. لزوم الاعتقاد الحق بالله والدار الآخرة وعدم التفريط به، بعد أن دلّت عليه الأدلة الواضحة وقضى به المنهج القويم.

٢. الاتّصاف بحسن الخلق، الذي يعدّ جامعاً للفضائل الكثيرة من الحكمة والترويّي والرفق والتواضع والتدبير والحلم والصبر وغيرها.

٣. السعي في إتقان مهنة واكتساب تخصص، وإجهد النفس فيه، والكدح لأجله.

٤. التزام مكارم الأفعال والأخلاق وتجنّب عيوبها، فما من سعادةٍ وخيرٍ إلا ومبناها فضيلة، وما من شقاءٍ وشرٍّ - عدا ما يختبر الله به عباده - إلا ومنشأه

رذيلة، وقد صدق الله سبحانه إذ قال ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ
أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾. (سورة الشورى الآية: ٣٠)

٥. الاهتمام بتكوين الأسرة بالزواج والإنجاب من دون تأخير، فإن ذلك
أنسّ ومنتعة للإنسان، وباعثٌ على الجدّ في العمل، وموجبٌ للوقار والشعور
بالمسؤولية، واستثمارٌ للطاقات ليوم الحاجة، ووقايةٌ للمرأة عن كثيرٍ من المعاني
المحظورة والوضيعة.

٦. السعي في أعمال البرّ ونفع الناس ومراعاة الصالح العامّ ولا سيّما ما يتعلق
بشؤون الأيتام والأرامل والمحرومين.

٧. اتباع الإحسان لكلّ من وليّ شيئاً من شؤون الآخرين، سواء في الأسرة أم
في المجتمع.

٨. التحليّ بروح التعلّم وهمّ الازدياد من الحكمة والمعرفة في جميع مراحل
الحياة والأحوال.^(٦)

المبحث الثاني: القيم الأخلاقية في وصايا السيد السيستاني دام ظلّه الوارف

دأبت المرجعية الدينية في النجف الأشرف منذ عام ٢٠٠٣ على الاهتمام
بالشؤون السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، وذلك بسبب تزايد المشاكل التي
تنخر جسم الدولة، وكثرة الحديث عن انتشار الفساد والمحسوبيات وانتشار
الظواهر الاجتماعية السلبية. تتناول المرجعيّة تلك الهموم دوماً عبر اللقاءات
أو البيانات الصادرة عن سماحة السيّد أو عبر وكلائه وممثليه في خطب الجمعة
ولقاءاتهم ومشاركاتهم في المؤتمرات.

* أولاً: القيم في وصايا السيد السيستاني

تؤكد المرجعية الدينية أنّ القيم الأخلاقية والتربوية ضرورة حياتية للفرد والمجتمع،
فالمجتمعات البشرية على اختلاف انتماءاتها الدينية والعرقية تمتلك قيماً ترتكز عليها في
عملية البناء تبعاً للموروثات الثقافية والعادات والتقاليد والعامل النفسي.

وتشدّد المرجعيّة على أهمية الالتزام بالقيم الأخلاقية السامية للتغلب على التحديات الكبيرة التي تواجه الإنسانية في العصر الحديث، والحاجة الماسّة إلى التزوّد بالجوانب الروحية والمعنوية السليمة، والحفاظ على كيان الأسرة وقيمها كما فطر الله الإنسان عليها، ورعاية التقوى التي ينال بها الإنسان الكرامة الإلهية كما ورد في القرآن المجيد ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾، فقد ألهم الله سبحانه النفس البشرية جانباً مهماً منها كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾. (٧)

ومن صفات المؤمنين الصالحين حسب سماحة السيد (دام ظلّه): التحلي بمكارم الأخلاق تأسياً بالنبي الكريم محمد ﷺ الذي وصفه الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، إذ قال رسول الله ﷺ ما يوضع في ميزان يوم القيامة أفضل من حسن الخلق، وروي أنه سُئِلَ ﷺ «أي المؤمنين أفضلهم إيماناً؟ قال: أحسنكم خلقاً» (٨).

كما ركزت المرجعيّة على دور المبلّغين والدعاة، فوجّهتهم للتركيز على عناصر الرشد والحكمة والأخلاق في أقوالهم ومسيرتهم (صلوات الله عليهم) وتوضيحها، والدعوة إلى زيادة الوعي بها واتباعها بما يلائم الحاضر (٩).

أ- رؤية المرجعية للوحدة المجتمعية (كنظرة وطنية عامة)

في حزيران من العام ٢٠١٤ استطاع سماحة السيد السيستاني توحيد العراقيين حين أصدر فتوى «الدفاع الكفائي» الشهيرة، (تعني حين يتصدى من يملك الكفاية لتنظيم داعش الإرهابي حتى يتحقق الغرض بحفظ العراق وشعبه ومقدساته، يسقط عن الآخرين)، والتي دعت المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح ومقاتلة الإرهابيين دفاعاً عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم إلى التطوع للانخراط في القوات الأمنية.

جاءت الفتوى في الوقت الذي كان يواجه فيه العراق وشعبه تحدياً كبيراً بسبب استهداف الإرهابيين أطراف الشعب العراقي ومناطقهم كافة، إذ عدت المرجعية قتالهم والتصدي لهم مسؤولية جماعية لا تختص بطائفة دون أخرى أو بطرفٍ دون آخر. ولفتت إلى أن القيادات السياسية أمام مسؤولية تاريخية ووطنية وشرعية كبيرة، عبر التغاضي عن الخلافات في هذه الفترة العصيبة، وتوحيد موقفها وكلمتها، ودعمها وإسنادها للقوات المسلحة.^(١٠)

ورفضت المرجعية عبر أكثر من موقف التدخلات الخارجية في الشأن العراقي، وانفتحت على جميع الأطراف في إطار العلاقات ورأت المبدأ الذي يؤكد عليه سماحته بأن الحكم في العراق يجب أن يكون للعراقيين بلا أي تسلط للأجنبي، وأن العراقيين هم الذين لهم الحق في اختيار نوع النظام في العراق بلا تدخل للأجانب^(١١).

ب - التعايش السلمي (بلحاظ مواجهة المجتمع للغزو الخارجي)

تعدّ فتاوى المرجعية الدينية العليا الأكثر دعماً لخطاب التسامح والتعايش والسلام ووحدة مكونات المجتمع ونبذ الطائفية. إذ لم تقتصر اهتمامات سماحة السيّد (دام ظلّه) على الطائفة الشيعية فحسب، بل امتدّت وصياهاه وبياناته، وخطب وكلائه لتشمل قيم التسامح والتعايش السلمي على مبدأ المواطنة، ورفض المساس بحقوق المسلمين وغيرهم من الطوائف الأخرى.

لقد عملت المرجعية على إرساء مفهوم التعايش السلمي، فطالبت السلطة باتخاذ القرارات التي ترعى حرمة دماء العراقيين أيّاً كانوا، ووقف العنف، والدخول في الحوار البناء لحلّ الأزمات والخلافات العالقة على أساس العدل، وتحقيق المساواة بين جميع أبناء الوطن في الحقوق والواجبات، بعيداً عن النزعات التسلّطية والتحكّم الطائفي والعرقى^(١٢).

وتؤكد المرجعية على وحدة المجتمع، إذ نهت عن التعرّض لغير المسلمين أيّاً كان دينهم أو مذهبه باعتبارهم في أمانة المسلمين وكنفهم، فأكدت أن من تعرّض لحرمتهم كان خائناً غادراً، وأنّ الخيانة والغدر لهي أقبح الأفعال في قضاء الفطرة ودين الله سبحانه، إذ قال عزّ وجلّ في كتابه عن غير المسلمين (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم إنّ الله يحبّ المقسطين)^(١٣).

كما أسهمت فتوى الدفاع الكفائي التي أعلنتها المرجعية في إخماد نار الفتنة الطائفية التي كان يحضر لها خارج الحدود العراقية، إذ خلت من أي دعوة إلى توجهات طائفية أو قومية أو عنصرية، فكانت نداءً إلى جميع العراقيين من دون استثناء للدفاع عن البلد وابتعدت عن ذكر كل ما يتعلق بأي طائفة أو مذهب^(١٤).

* ثانياً: أثر القيم في بناء الإنسان والمجتمع

تلعب القيم أهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع، وتسهم التربية عليها والالتزام بها في نجاح عملية البناء الفردي والجماعي.

١. على صعيد الفرد: ترفع وعيه بذاته وإمكانياته، وتعطيه الإمكانية لأداء ما هو مطلوب منه، وتحقق له الإحساس بالأمان، كما أنها تشكل فرصة له للتعبير عن نفسه، وتمنحه القدرة على اكتشاف مكامن القوّة والضعف لديه. فالقيم هي المسؤولة عن تحديد الأهداف والمثل العليا والمبادئ التي يستطيع عن طريقها الفرد أن يمارس دوره بشكل سليم. كما يعتبر التزام الفرد بالقيم عاملاً من العوامل التي تمكّنه من الانخراط في المجتمع والتكيف مع المتغيرات الحاصلة والمحتملة، ومواجهة التحديات التي تعترضه بكلّ أمان وثقة.

٢. على صعيد المجتمع: تسهم القيم في تحديد الخيارات الصحيحة التي تُسهّل حياة الناس، وتوحد المجتمع وتحفظ استقراره. كما تربط أجزاء

ثقافة المجتمع ببعضها البعض حتى تبدو منسجمة ومتناسقة، بالإضافة إلى أنها تقمي المجتمع من الأنانية المفرطة والنزعات والشهوات الطائشة بسبب قدرتها على السماح للأفراد بالتفكير في أعمالهم على أنها محاولات للوصول إلى أهداف هي غايات في حد ذاتها، بدلاً من اعتبارها مجرد أعمال لإشباع الرغبات والشهوات.^(١٥)

* القسم الثاني: أثر المرجعية الدينية في تطوير الفرد والمجتمع

تعتبر المرجعية أن القيم والأخلاق ركنية أساسية لسلامة التعاملات الاقتصادية من الظلم والاستغلال والاستقرار النفسي للفرد والمجتمع وتقدمه، إذ إن إهمالها أو تدهورها يفقد المجتمع عزته وكرامته وتطوره. وتشدد على ضرورة الوعي المجتمعي لأهمية الأخلاق والقيم كضرورة حياتية للممارسات اليومية على مستوى المجتمع ومؤسسات الدولة، وأن تكون على رأس أولويات الاهتمام في المدرسة، فالمعلم يعتني بغرس الأخلاق والقيم في نفوس الطلبة.^(١٦)

كما سعت المرجعية الدينية إلى أن يتمتع العراق بنظام يعتمد التعددية السياسية والتداول السلمي للسلطة عبر الرجوع إلى صناديق الاقتراع، في انتخابات دورية حرة ونزيهة، وذلك إيماناً منها بأنه لا بديل عن سلوك هذا المسار في حكم البلد إن أريد له مستقبل ينعم فيه الشعب بالحرية والكرامة ويحظى بالتقدم والازدهار، ويحافظ فيه على قيمه الأصيلة ومصالحه العليا.^(١٧)

* المبحث الأول: أثر المرجعية في تأصيل الهوية الوطنية

تشدد المرجعية الدينية العليا على ضرورة ترسيخ الشعور بالانتماء إلى هوية وطنية موحدة، وتغليب المصالح الوطنية العليا على المصالح الشخصية والفتوية الضيقة بغية الحفاظ على الأمن والسلام، من أجل التقدم والازدهار في شتى المجالات، ولا تتوانى المرجعية عن الدعوة الدائمة إلى الالتزام بمبادئ

دولة القانون، التي يكون فيها جميع المواطنين متساوين أمام القانون من دون أي تمييز على أسس طائفية أو عرقية أو قومية أو مذهبية...

* أولاً: مقومات الشخصية الوطنية الفاعلة

تركز المرجعية الدينية على أهمية بناء الفرد، وتعتبر أن المواطن الصالح هو الذي يساهم في بناء المجتمع وتطويره وتقدمه وازدهاره، ويتعايش مع بقية المواطنين بسلام ومحبة، كما وضعت المواطن الصالح مقابل المواطن الذي يتقاعس ويتوانى عن الإسهام في إعمار بلده وتطويره ويكون تعايشه مع الآخرين مصدر تهديد للسلم المجتمعي الأهلي^(١٨).

لقد اعتمدت المرجعية الدينية منهجية متميزة في التعامل مع الشأن العراقي، تقوم بشكل أساس على بناء الهوية الوطنية بعدّها هوية جامعة العراقيين كافة مع احترام جميع الهويات الفرعية.

فمبادئ المواطنة الصالحة حسب المرجعية تقوم على حلّ المشاكل والنزاعات والخلافات بالتفاهم والحوار، فتصف المواطن الصالح بذلك الذي يستبدل أسلوب العنف والتهجم على الآخرين بأساليب التفاهم والحوار أو الحل والرأي والعقل أو القانون.

* ثانياً: انعكاس القيم في حياة الفرد والمجتمع

شدّدت المرجعية على أهمية التمسك بالقيم الأخلاقية لما لها من أثر على حياة المسلمين وتعاطيهم مع الأطراف الأخرى، إذ تبرز الحاجة في أوقات المحن والشدائد إلى التعاون والتكاتف، والذي لا يمكن أن يتحقق إلا بترجيح المصالح العامة على المصالح الذاتية.^(١٩)

كما هيأت المرجعية الظروف التي تمكّن الشعب من ممارسة حقّه في إبداء رأيه في جميع ما يرتبط بالدولة، فدعت إلى تشكيل حكومة عراقية وإنهاء سلطة الاحتلال المؤقتة ثم الدعوة لكتابة دستور دائم للبلاد من قبل العراقيين،

وإجراء انتخابات حرة ونزيهة لانتخاب أعضاء مجلسي النواب والمحافظات. لقد حدد المرجع السيستاني شكل نظام الحكم ومضمونه الذي يجب ان تكون عليه الدولة، وهو النظام الذي يعتمد على الشورى والتعددية واحترام حقوق جميع المواطنين، وأن الدستور القادم يجب ان يتركز على الثوابت الدينية والمبادئ الاخلاقية والقيم الاجتماعية النبيلة للشعب العراقي.^(٢٠)

وربطت المرجعية الدينية تحقيق الدولة العادلة بقيام مجتمع صالح، انطلاقاً من التزامها بإرث الإمام علي (عليه السلام) وما تركه من وصايا وإرشادات في الفكر التربوي والفكري، إذ قالت: نجد عند التأمل لكلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة وفي غير ذلك من كلماته اهتماماً واضحاً بثلاثة أمور: الأمر الأول: بناء الفرد المستقيم في منهجه وفكره وسلوكه.

الامر الثاني: بناء المجتمع الصالح.

الأمر الثالث: بناء الدولة العادلة والقادرة على تأسيس هذا المجتمع الصالح وصنعه، والقادرة على رعاية هذا المجتمع الصالح وقيادته، لينشق منه رجال قادرين على الوصول لهذه الأهداف.^(٢١)

* المبحث الثاني: إصلاح الإنسان والمجتمع طبقاً للمرجعية الدينية

تطالب المرجعية الدينية العليا القوى والجهات التي تمسك بزمام السلطة بتغيير نهج التعامل مع مشاكل البلد، والقيام بخطوات جادة في سبيل الإصلاح ومكافحة الفساد وتجاوز المحاصصة والمحسوبيات في إدارة الدولة، باعتباره ذلك ضرورة لا غنى عنها. ودعت السلطات الثلاث إلى اتخاذ خطوات عملية واضحة في طريق الإصلاح الحقيقي، فيما تعتبر أن مجلس النواب بما له من صلاحيات تشريعية ورقابية يتحمل المسؤولية الأكبر في هذا المجال.^(٢٢)

١. النظرة إلى القيم بين المرجعية الحالية والمرجعية السابق.

تواجه المرجعية الدينية اليوم واقعاً مختلفاً عن الفترات السابقة، وذلك

بسبب التطورات التي أفرزتها الحركة السياسية في البلاد الإسلامية وعلى الساحة الدولية، وما رافق ذلك من تأثيرات على مجمل الأوضاع الإسلامية.

أ. الإصلاح السياسي والاجتماعي والثقافي

دعت المرجعية الدينية العليا منذ سقوط النظام عام ٢٠٠٣ إلى الإصلاح الحقيقي عبر مكافحة الفساد وإصلاح المؤسسات الحكومية وتحسين الخدمات العامّة وتحقيق العدالة الاجتماعية، وحملت السياسيين الذين حكموا البلاد في السنوات الماضية مسؤولية الأوضاع في البلاد.^(٢٣)

وفي معرض ردّه على سؤال حول الرسالة التي يرغب في إيصالها عبر الدعوة المتكررة إلى الإصلاح، وانتقاده عدم تجاوب السياسيين في مراحل سابقة، والتي كانت وكالة رويترز قد وجهتها إلى سماحته، لفت إلى أن المرجعية كانت قد دعت بعد سقوط النظام السابق بشكل مبكر إلى إجراء الانتخابات العامّة لتمكين الشعب من اختيار ممثليه في المجلس النيابي، ومن ثمّ تشكيل حكومة وطنية تقوم بواجباتها في توفير الأمن والخدمات وتنهض بالبلاد نحو الرقي والتقدم. وكانت المرجعية تأمل أن تقوم الطبقة السياسية التي وصلت إلى السلطة عبر صناديق الانتخاب بإدارة البلد بصورة صحيحة ولا تحدث مشاكل كبيرة بحيث تضطر المرجعية إلى التدخل لحلّها أو للتخفيف من تبعاتها، ولكن - للأسف الشديد - جرت الأمور بغير ذلك، وقد تسبّب سوء الإدارة - بالإضافة إلى عوامل داخلية وخارجية أخرى - بوصول البلد إلى هذه الأوضاع التي تنذر بخطر جسيم^(٢٤).

ولم تدهن المرجعية الدينية أحداً في جميع ما يمسّ بالمصالح العامّة للشعب العراقي، إذ أصدرت في نيسان عام ٢٠٠٦ بياناً أكدت فيه أنها ستشير إلى مكامن الخلل في الأداء الحكومي كلّما اقتضت الضرورة ذلك، وأن صوتها سيبقى مع أصوات المظلومين والمحرومين من جميع أبناء الشعب دون أي تمييز.

ب - التفاوت في القيم بين مرحلة ما قبل وما بعد النظام السابق

إنّ المقارنة بين دور المرجعية الدينية في مرحلة ما قبل السقوط وما بعده تطرح موضوع التفاوت في تناول القيم والذي جاء بشكل يتناسب مع الظروف السياسية القائمة في كلّ مرحلة، والذي يمكن إيجازه في النقاط الآتية:

١. مقاومة المرجعية للانتداب البريطاني عام ١٩١٤ كانت مقاومة عسكرية، فيما انتهج سماحة السيد السيستاني عام ٢٠٠٣ سياسة المقاومة السلمية للاحتلال الأميركي^(٢٥)

٢. دعت المرجعية الدينية عام ٢٠٠٤ العراقيين إلى المشاركة الواسعة في الانتخابات النيابية لضمان الحضور القوي والكبير للذين يؤتمنون على ثوابتهم ويحرصون على مصالحهم العليا في مجلس النواب القادم^(٢٦)، أما في العام ١٩٢٢ فكان السيد أبو الحسن الأصفهاني رحمته الله والشيخ النائيني رحمته الله قد حرّموا المشاركة في الانتخابات على الأمة العراقية كافة.

٣. تركت المرجعية الدينية اليوم للعراقيين الحرية في اختيار نوع النظام، فيما كانت قد أفتت إبان الانتداب البريطاني أنه ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلمين للإمارة والسلطنة على المسلمين^(٢٧).

٤. ناشدت المرجعية الدينية إبان أحداث عام ٢٠١٧ جميع الكتل السياسية بالعمل على تقوية اللحمة الوطنية على أسس دستورية، والحفاظ على الممتلكات العامة والخاصة ومنع التعدي عليها، ولجم أي مظاهر توحى بالعنصرية أو الطائفية^(٢٨). وهي بذلك سارت على خطى السيد أبي القاسم الخوئي (رض) الذي أصدر إبان الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١، فتوى دعا فيها الناس إلى أن يكونوا مثلاً صالحاً للقيم الإسلامية الرفيعة برعاية الاحكام الشرعية رعاية دقيقة في كل اعمالهم، والحفاظ على أعراض الناس والممتلكات الخاصة والعامة والمؤسسات^(٢٩).

٥. دعت المرجعية الدينية في فتوى الجهاد الكفائي إلى الدفاع عن حرمت العراق ووحدته وحفظ الأمن للمواطنين وصيانة مقدساته، وأفتت بحرمة الدم العراقي، وهو ما ينسجم مع فكر سماحة المرجع محسن الحكيم الذي كان قد تصدّى بقوة لقرار حكومة عبد السلام عارف بمحاربة الأكراد في شمال العراق والحكم بحرمة الاشتراك في تلك الحرب.^(٣٠)

٦. تطوّر دور المرجعية الدينية بعد عام ٢٠٠٣ بشكل لافت بسبب غياب التضيق وفشل النخب السياسية في إدارة الدولة.

٧. تشارك سماحة السيد السيستاني مع سماحة السيد الخوئي هموم الأمة، ودعم القضية الفلسطينية، ودعوة العالم إلى الوقوف بوجه هذا التوحش الفظيع ومنع تمادي قوات الاحتلال في تنفيذ مخططاتها لإحقاق المزيد من الأذى بالشعب الفلسطيني المظلوم^(٣١).

٨. لعبت المرجعية دوراً مؤثراً في تعزيز التعايش والتسامح بين فئات المجتمع، فكان الشيخ محمد تقي الشيرازي في مقدمة الداعمين إلى التماسك والوحدة الوطنية، وهو الدور الذي ما يزال سماحة السيد السيستاني يمارسه حتى اليوم.

٩. عمل المرجع الديني السيد محسن الحكيم على تبني رؤية إصلاحية تتطلب تجديداً داخل الحوزة عن طريق تطوير الدراسة الدينية والمناهج المتبعة بالتدريس وإصلاحها^(٣٢)، وهو ما يعمل سماحة السيد السيستاني عليه اليوم.

١٠. أكّد السيد السيستاني أنّ رجال الدين يجب أن لا يحكموا، وهو بذلك يتناغم مع رأي سماحة المرجع السيد محسن الحكيم الذي منع أبناءه السيد مهدي الحكيم ومحمد باقر الحكيم، من الاستمرار في العمل الحزبي ضمن نشاط حزب الدعوة وأمرهم بالانسحاب من هذا النشاط.^(٣٣)

٢. ثانياً: ملامح منهج السيد السيستاني

يقول توماس فريدمان إنّ الشيء الذي قام به سماحة السيد السيستاني والأكثر

أهمية يكمن في قوله: يجب أن يؤثر الإسلام على السياسة والدستور، وعلى رجال الدين ألا يحكموا... كيف يمكن لرجل بهذا الحس وبهذه الحكمة أن يظهر من وسط حطام العراق الذي سببه صدام حسين أنا لن أعرف ذلك أبداً.^(٣٤)

منذ سقوط النظام السابق، استخدمت المرجعية الدينية المتمثلة بساحة آية الله السيستاني، لغة العقل والاعتدال في مواجهة لغة القتل والإرهاب. ويؤكد مدير مكتب المرجعية في لبنان، أن الفتوى الدستورية الشهيرة «أسست لبناء الدولة العراقية الحديثة وفق نظام يعتمد التعددية السياسية والتداول السلمي للسلطة عبر الرجوع الى صناديق الاقتراع، وحثت العراقيين على الاشتراك في الانتخابات لتقرير مصيرهم بأيديهم، وعلى احترام القانون والحفاظ على المال العام، وعدم الثأر والانتقام»^(٣٥).

وتشير المرجعية الدينية إلى ضرورة وضع حل للأزمة الحالية بالاستجابة لمتطلبات الإصلاح وفق خارطة التي تكرر الحديث بشأنها، بعد كل التضحيات الجسيمة التي قدمها أبناء هذا البلد في مختلف الجبهات والساحات.^(٣٦)

وقد كان للسيد السيستاني الكثير من الإسهامات التي يمكن اختصارها في الآتي:

١. الحفاظ على آثار كبار العلماء كالمدراس والمكتبات، وتاريخ النجف الأشرف بعيداً عن القضايا الهامشية والخلافية.

٢. الحفاظ على كيان الحوزة العلمية واستقلالية المرجعية الدينية وفصلها عن السياسة على وفق تطبيق نظرية الولاية الحسينية.

٣. تأسيس النظام العراقي السياسي الجديد وفقاً لإرادة الشعب ورفض التدخلات والإملاءات الخارجية.

٤. كتابة دستور الجمهورية العراقية عام ٢٠٠٥ والذي ضمن الحفاظ على الهوية الاسلامية لغالبية الشعب العراقي، ويضمن كامل الحقوق الدينية

لجميع الافراد في حرية العقيدة والممارسة الدينية كالمسيحيين والأيزيديين
والصابئة المندائيين^(٣٧).

٥. إجبار قوات الاحتلال الأميركي على الانسحاب من العراق.

٦. القضاء على تنظيم داعش الإرهابي عبر صورة التلاحم الوطني التي
رسمتها فتوى الدفاع المقدسة.

٧. تخفيف الاحتقان الطائفي عن طريق الوصايا التي منع فيها التعرّض
لغير المسلمين بالقتل أو الأذى.

٨. الدعوة الدائمة إلى التعايش السلمي والتحلي بالقيم الأخلاقية والتربوية
التي يدعو إليها الإسلام.

الخاتمة:

وصلاً بها سبق يمكن استنتاج ما يلي:

١. إن دور المرجعية الدينية العليا هو دور محوري ومؤثر في حياة الناس، وإن سماحة السيد السيستاني يستكمل ما بدأه المراجع الكبار، ولكن بروحية معاصرة تحاكي الأوضاع والظروف الراهنة.
٢. وجود المرجعية أمر ضروري لحفظ أمن العراق ووحدته واستقراره ومراقبة الأداء السياسي للسلطة.
٣. اهتمام المرجعية هو اهتمام عام ينبع من حسها الإنساني-الإسلامي بمعالجة القضايا التي تسهم في عملية بناء الوطن والمواطن.
٤. اهتمام المرجعية بالظواهر المجتمعية التي تهدد المنظومة الأخلاقية والتعايش الاجتماعي، وتبيان المعارف الإلهية والأحكام الشرعية ومناهج الإسلام.
٥. تشكل وصايا المرجعية رؤى عامة تسهم في عملية بناء إنسان ومجتمع صالح.
٦. فتوى «الدفاع الكفائي» حمت العراق والعراقيين، وجنبتهم إراقة الدماء ووحدتهم بجمع طوائفهم وقومياتهم ومذاهبهم من أجل العراق.
٧. المرجعية هي الضمانة الحقيقية لبناء الهوية الوطنية كهوية جامعة للعراقيين كافة، واحترام جميع الهويات الفرعية.
٨. المرجعية لا تريد عراقاً طائفيّاً، بل تريد تعايشاً سلمياً وأفراداً صالحين ووحدة مجتمعية متماسكة.
٩. المرجعية تريد إصلاحاً حقيقياً يطال حياة الأفراد والمؤسسات ويحافظ على مقدرات الدولة ضمن دولة المواطنة التي يتساوى فيها جميع المواطنين أمام القانون بلا استثناء.
١٠. المرجعية تريد مجتمعاً صالحاً ضمن منظومة قيمية وأخلاقية متماسكة عمادها القانون والعدل والمساواة، تسهم في إرسائه الأسرة والمعلم والمبلىغ ورجل الدين وغيرهم، والالتزام بكتاب الله وأخلاق النبي وأهل بيته عليهم السلام.

- ١- الشيخ عبد المهدي الكربلائي، منبر الجمعة، ١-٢-٢٠١٩،
<https://imamhussain.org/arabic/24070>
- ٢- الشيخ مهدي الكربلائي، خطبة الجمعة، الموافق ١٤-٢-٢٠٢٠،
<https://imamhussain.org/arabic/28114>
- ٣- العلاقات الاجتماعية، موقع الكتروني،
<https://www.sistani.org/arabic/book> / ١٧ / ٩٦٢ / هـ:~:text=مكارم.٢٠٪
الأخلاق.٢٠٪، و٢٠٪ فضيلة.٢٠٪ التحلي.٢٠٪ بها.٢٠٪ قال.٢٠٪.٣٨٪.٢٠٪ أحسنكم.٢٠٪
خلقا».أوباليوم.٢٠٪ الاخر.٢٠٪.٩٠٪.D٩٪.٢٠٪ إذا.٢٠٪ واعد».
- ٤- د. فائزة أنور شكري، القيم الأخلاقية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠١١، ص ٢٢
- ٥- د. يوسف الحسن، قلق القيم دار التنوير، الطبعة الأولى، ٢٠١٤، ٣٧.
- ٦- نصائح ساحة السيد (دام ظلّه) للشباب المؤمن، ٢٨ / ربيع الأول / ١٤٣٧، موقع الكتروني،
<https://www.sistani.org/arabic/archive/25237/>
- ٧- رسالة ساحة السيد (دام ظلّه) إلى الحبر الأعظم البابا فرنسيس جواباً على رسالته إليه، موقع إلكتروني،
<https://www.sistani.org/arabic/archive/26802/>
- ٨- ساحة آية الله السيد علي السيستاني (دام ظلّه)، مكارم الأخلاق، استفاءات،
<https://www.sistani.org/arabic/qa/02223/>
- ٩- وصايا المرجعية الدينية العليا للخطباء والمبشرين بمناسبة قرب حلول شهر المحرم الحرام عام
١٤٤١ هـ، موقع الكتروني،
<https://www.sistani.org/arabic/archive/26341/>
- ١٠- الشيخ عبد المهدي الكربلائي، فتوى الجهاد الكفائي، منبر الجمعة، ١٣-٦-٢٠١٤،
<https://www.sistani.org/arabic/archive/24918/>
- ١١- أسئلة وكالة رويترز حول شؤون ساحة السيد (دام ظلّه) الخاصة، موقع السيد السيستاني،
<https://www.sistani.org/arabic/archive/249/>
- ١٢- بيان ساحة السيد (دام ظلّه)، ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٢٧ هـ
- ١٣- ساحة السيد علي السيستاني، نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد،
٢٠١٥/٢/١٢
<https://www.sistani.org/arabic/archive/25034/>
- ١٤- د. وليد عبد الغفار محمد رضا الشهب الحلي، دور فتوى الدفاع الكفائي بدحر الإرهاب
وصيانة حقوق الانسان، مركز الكوفة للدراسات، ٢٠٢٣، ص ١٢.

- ١٥- مقال، القيم تعريفها وأهميتها في التعليم، موقع الكتروني، ٤-٤-٢٠٢٢
 text:~:https://innovoledu.com/?p=٣٢٧٠ هـ:~:text:~:٢٠%أهمية.٢٠% القيم
 ٢٠%في.٢٠%قدرتها أو تساعده.٢٠%على.٢٠%تقوية.٢٠%عقيدته.٢٠%وسلوكة
- ١٦- الشيخ مهدي الكربلائي، خطبة الجمعة، ١٤ جمادى الآخرة ١٤٤١ الموافق ٢٠٢٠-٢-١٤
<https://imamhussain.org/arabic/28114>
- ١٧- بيان مكتب ساحة السيد (دام ظلّه) حول الانتخابات النيابية في العراق عام ٢٠١٨م، موقع
 الكتروني،
<https://www.sistani.org/arabic/statement/26025/>
- ١٨- الشيخ عبد المهدي الكربلائي، منبر الجمعة، ١٧/١١/٢٠١٧،
<http://www.non14.net/public/94960>
- ١٩- السيد أحمد الصافي، نص مكتب ساحة السيد (دام ظلّه) في النجف الأشرف، خطبة الجمعة،
 ٢٠٢٠-١-١٠
- ٢٠- أ.م.د. فراس عبد الكريم محمد علي، دور المرجعية في حفظ وترشيد العملية السياسية في
 العراق بعد عام ٢٠٠٣، مجلّة قضايا سياسية، العدد ٦٢، ص ١٤٢، ٢٠٢٠.
- ٢١- الشيخ عبد المهدي الكربلائي، خطبة الجمعة، ٢٠/شهر رمضان/١٤٣٨ هـ الموافق
 ٢٠١٧/٦/١٦ م
- ٢٢- السيد أحمد الصافي، خطب الجمعة، ٤/١٠/٢٠١٩،
<https://imamhussain.org/arabic/27318>
- ٢٣- وكالة رويترز حول شؤون ساحة السيد (دام ظلّه) الخاصة، ومرجع سابق، ص ٥
- ٢٤- المرجع نفسه
- ٢٥- مركز فجر عاشوراء الثقافي، مقال، مواقف المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف في
 مواجهة احتلالين، <https://fajrashura.com/abb> /٦٢٥٥/ مواقف-المرجعية-الدينية-
 العليا-في-النجف/
- ٢٦- إستفتاء حول الإنتخابات العراقية، موقع الكتروني،
<https://www.sistani.org/arabic/archive/288/>
- ٢٧- مركز فجر عاشوراء الثقافي، مرجع سابق، ص ١٣
- ٢٨- الشيخ عبد المهدي الكربلائي، خطب الجمعة، ٢٠-١٠-٢٠١٧،
<https://imamhussain.org/arabic/19114>
- ٢٩- بيانات زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره حول الانتفاضة الشعبانية،
 موقع الكتروني،

<https://echo-najaf.blogspot.com/2020/07/blog-post.html>

٣٠- السيد محسن الحكيم، موقع الكتروني،

[السيد_محسن_الحكيم/https://ar.wikishia.net/view/](https://ar.wikishia.net/view/السيد_محسن_الحكيم)

٣١- بيان صادر من مكتب ساحة السيد (دام ظلّه) حول ما يتعرض له قطاع غزّة من قصف متواصل في مختلف مناطقّه، موقع الكتروني،

<https://www.sistani.org/arabic/statement/26809/>

٣٢- ص ٣٨٧ م د. أحمد محمد علي جابر العوادي، دور المرجعية الدينية في عملية الإصلاح في العراق بعد العام ٢٠٠٣، مجلة العلوم السياسية

٣٣- مرجع سابق، م. أ. د. فراس عبد الكريم محمد علي، ص ٣٨٧

٣٤- مرجع سابق، مركز عاشوراء

٣٥- السيد حامد الخفاف، دور المرجعية في المشهد الديني والسياسي، مقابلة،

<https://www.sistani.org/arabic/archive/26342/>

٣٦- السيد أحمد الصافي، منبر الجمعة، ١٠-١-٢٠٢٠،

<https://imamhussain.org/arabic/27800>

٣٧- الدستور العراقي، الفقرة ٢ من المادة ٢، موقع الكتروني،

https://www.constituteproject.org/constitution/Iraq_2005?lang=ar

- المصادر والمراجع:
- * أ.م.د. فراس عبد الكريم محمد علي، دور المرجعية في حفظ وترشيد العملية السياسية في العراق بعد عام ٢٠٠٣، مجلّة قضايا سياسية، العدد ٦٢، ص ١٤٢، ٢٠٢٠.
- * د. وليد عبد الغفار محمد رضا الشهب الحلي، دور فتوى الدفاع الكفائي بدحر الإرهاب وصيانة حقوق الانسان، مركز الكوفة للدراسات، ٢٠٢٣، ص ١.
- * د. يوسف الحسن، قلق القيم دار التنوير، الطبعة الأولى، ٢٠١٤، ٣٧.
- * نورة بوحناش، إشكالية القيم في فلسفة برغسون، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ص ٣٨.
- * د. فايزة أنور شكري، القيم الأخلاقية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠١١، ص ٢٢.
- * د. جميل حمداوي، نشأة القيم الأخلاقية وتطورها في الفلسفة اليونانية، مجلة المنهاج، العددان ١٠٣ و ١٠٤، مركز الغدير، بيروت ٢٠٢٣، ص ١٠.
- * الكربلائي الشيخ عبد المهدي، منبر الجمعة، ٢٠١٩-٢-١، <https://imamhussain.org/arabic> ٢٤٠٧٠
- * الكربلائي الشيخ عبد مهدي، خطبة الجمعة، ٢٠٢٠-٢-١٤، <https://imamhussain.org/arabic> ٢٨١١٤
- * الكربلائي الشيخ عبد المهدي، منبر الجمعة، ٢٠١٤-٦-١٣، <https://www.sistani.org/arabic/archive/24918/>
- * الشيخ عبد المهدي الكربلائي، خطب الجمعة، ٢٠١٧-١٠-٢٠، <https://imamhussain.org/arabic> ١٩١١٤
- * الشيخ عبد المهدي الكربلائي، منبر الجمعة، ٢٠١٧/١١/١٧، <http://www.nonpublic.net/public> ٩٤٩٦٠
- * الشيخ عبد المهدي الكربلائي، خطب الجمعة، ٢٠١٧-١٠-٢٠، <https://imamhussain.org/arabic> ١٩١١٤
- * الشيخ عبد المهدي الكربلائي، خطبة الجمعة، ٢٠١٧/٦/١٦، <https://imamhussain.org/arabic> ٢٧٨٠٠
- * السيد أحمد الصافي، منبر الجمعة، ١٠-١-٢٠٢٠، <https://imamhussain.org/arabic> ٢٧٨٠٠
- * بيانات زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره حول الانتفاضة الشعبانية، موقع الكتروني، <https://echo-najaf.blogspot.com/2020/07/blog-post.html>
- * مركز فجر عاشوراء الثقافي، مقال، مواقف المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف في مواجهة احتلالين <https://fajrashura.com/abb> ٦٢٥٥
- الدينية-العليا-في-النجف / موقع الكتروني
- * السيد محسن الحكيم، موقع الكتروني <https://ar.wikishia.net/view>
- السيد_محسن_الحكيم
- * بيان صادر من مكتب سماحة السيد (دام ظله) حول ما يتعرض له قطاع غزّة من قصف متواصل في مختلف مناطقه، موقع الكتروني، <https://www.sistani.org/arabic/archive/24918/>

- * مكارم الأخلاق، استفتاءات، موقع الكتروني
<https://www.sistani.org/arabic/qa/02223/>
- * العلاقات الاجتماعية، موقع الكتروني،
<https://www.sistani.org/arabic/>
- * السيد حامد الخفاف، دور المرجعية في المشهد الديني والسياسي، مقابلة
<https://www.sistani.org/arabic/archive/26342/>
- * الدستور العراقي، الفقرة ٢ من المادة ٢، موقع الكتروني،
https://www.constitute-project.org/constitution/Iraq_2005?lang=ar
- * مقال، القيم تعريفها وأهميتها في التعليم، موقع الكتروني، ٤-٤-٢٢٠٢
<https://innovsoledu.com/?p=3270#:~:text=تكمّن.٢٠%أهمية.٢٠%القيم.٢٠%في.٢٠%قدرتها وتساعد.٢٠%على.٢٠%تقوية.٢٠%عقيدته.٢٠%وسلوكة>
- www.sistani.org/arabic/261809/statement
- * أسئلة وكالة رويترز حول شؤون ساحة السيد (دام ظلّه) الخاصة، موقع السيد السيستاني،
<https://www.sistani.org/arabic/archive/249/>
- * بيان ساحة السيد (دام ظلّه)، ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٢٧ هـ
- * بيان مكتب ساحة السيد (دام ظلّه) حول الانتخابات النيابية في العراق عام ٢٠١٨م، موقع الكتروني،
<https://www.sistani.org/arabic/statement/26025/>
- * نصائح وتوجيهات السيد السيستاني للمقاتلين في ساحات الجهاد، موقع الكتروني،
<https://www.sistani.org/arabic/archive/2015>
- * وصايا المرجعية الدينية العليا للخطباء والمبليغين بمناسبة قرب حلول شهر المحرم الحرام عام ١٤٤١هـ، موقع الكتروني،
<https://www.sistani.org/arabic/archive/26341/>
- * نصائح ساحة السيد (دام ظلّه) للشباب المؤمن، موقع الكتروني،
<https://www.sistani.org/arabic/archive/2523/>
- * رسالة ساحة السيد (دام ظلّه) الى الحبر الأعظم البابا فرنسيس جواباً على رسالته إليه، موقع الكتروني،
<https://www.sistani.org/arabic/archive/26180/>

خُطْبُ الْجُمُعَةِ السِّيَاسِيَّةِ لِلْمَرْجِعِيَّةِ الدِّينِيَّةِ الْعُلْيَا لِعَامِ ٢٠٠٥ م _دِرَاسَةٌ فِي ضَوْءِ تَحْلِيلِ الْخُطَابِ_

م.م. زهراء سالم جبار/ المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الأشرف

ملخص البحث

الحمدُ لله الذي أكرمنا بالعلماء العاملين فنور بهم القلوب، وجعل طريقهم منهجًا للناس وخير أسلوب، فأُعيت بلاغتهم البُلغَاء، وَأَعَجَزَتْ حِكْمَتُهُمُ الْحُكَمَاءَ وَأَبْكَمَتْ فَصَاحَتَهُمُ الْخُطَبَاءَ، وصلى الله على مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الْمُصْطَفَى، وعلى خليفته الظافرِ مِنَ الْمَحَامِدِ بِالْخُصْلِ الظَّاهِرِ بِفَضْلِهِ عَلَى ذَوِي الْفَضْلِ، وَعَلَى آلِهِ الْأَبْرَارِ، وبعد:

لقد كان للخطابة إلى الآن الدور الفاعل والأثر الأكبر في عمليات التغيير الإنساني على جميع الأصعدة سواء على الصعيد الديني أم العلمي أم الفكري أم السياسي أم الاقتصادي أم الاجتماعي أم العسكري؛ لأنَّ الخطاب هو وعاء المعنى واللغة التي يتفاهم عن طريقها البشر، وقد وظَّف الإسلام خطبة الجمعة في الدَّعوة للقيم النبيلة والمثل العليا والرِّفعة والأخلاق الفاضلة فكان للتغيرات السياسية التي حصلت في العراق بعد عام ٢٠٠٣ م، السبب الرئيس برفع الحواجز وكسر القيود التي كانت تفرض على المرجعيات الدينية، ممَّا أسهم تقليل الفجوة بين الدين والدولة وخلق فضاء الحرية السياسية، الذي يتيح لجميع الأطراف والتوجهات ومراكز النفوذ في المجتمع، للإسهام الفعَّال في بناء السلطة؛ إذ جسَّدت مرجعية السيد السيستاني (دام ظلّه) دورها البارز في خطاباتها وتوجيهاتها ومواقفها في جميع المراحل التي مرَّت بها البلاد؛ لأجل تشخيص نقاط القوة والضعف في الأداء السياسي؛ من أجل النهوض

بواقع البلاد بصفة عامّة والسياسي بصفة خاصة، ومن هذا المنطلق جاءت هذه الورقة البحثية الموسومة بـ ((خطب الجمعة السياسية للمرجعية الدينية العليا لعام ٢٠٠٥م - دراسة في ضوء تحليل الخطاب))؛ لبيان دور هذا المنبر الإسلامي الذي انتشر في ديار الإسلام وطرحت فيه مفاهيم العقيدة وتعاليم الشريعة وسيرة الأنبياء والأئمة والصالحين، لتصل من القلب إلى القلب ومن فكر إلى الفكر فتتبعش بها الروح ويتجدد بها الإيمان، واقتضت طبيعة البحث أن يقوم على مقدمة وثلاثة محاور، تناولت في المحور الأول (الخطابة مفهومًا)، ودرست في المحور الثاني (مفهوم المرجعية العليا وخطبة الجمعة وأهميتها) وبيّنت في المحور الثالث (آليات الخطاب للمرجعية الدينية العليا دراسة تطبيقية)، وشفعت هذا كله بخاتمة تضمّنت أهم النتائج التي توصلت إليها، وشم تليها قائمة بثبت المظان.

Abstract:

All praise is due to Allah, Who has honored us with learned scholars who have illuminated our hearts with their knowledge and made their path a methodology for people and the best approach. Their eloquence has surpassed all others, their wisdom has baffled the wise, and their oratory has silenced the orators. Peace be upon Muhammad, His Servant and Messenger, the Chosen One, and upon his infallible successor, blessed with apparent virtues and favors upon the virtuous, and upon his pure progeny.

Until now the rhetoric plays a significant role in human transformation across various domains—religious, scientific, intellectual, political, economic, social, and military—because it serves as the vessel of meaning and the language through which people communicate. Islam has utilized the Friday sermon as a platform to advocate noble values, moral ideals, and virtuous ethics. Following the political changes in Iraq after 2003, the primary factor in dismantling barriers and breaking constraints imposed on religious authorities emerged, thereby reducing the gap between religion and the state. This created a space for political freedom, allowing all parties, orientations, and centers of influence within society to engage actively in building authority. The role of Seid. Sistani (May Allah prolong his life) is evident through his speeches, guidance, and stances during various stages of the country's development, identifying areas of both strength and weakness in political performance to advance the overall state, especially in the political sphere. Hence, this research , « Friday Political Sermons of the Supreme Religious Authority in 2005: A Discourse Analysis Study», seeks to explore the role of this Islamic platform that has spread across the Islamic world, presenting concepts of faith, the teachings of Sharia, and the lives of prophets, Imams, and righteous figures. It resonates from heart

to heart, from mind to mind, revitalizing the spirit and renewing faith. The research is structured into an introduction and three main sections: the first addresses the concept of rhetoric, the second examines the concept of the supreme authority and the significance of Friday sermons, and the third presents an analytical application of the discourse of the supreme religious authority. This is followed by a conclusion summarizing the key findings, with a bibliography.

المحور الأول: آليات الخطاب وتحليله

على الرغم من غنى العربية بالمفردات التي تفوق في عددها مفردات بعض اللغات الأخرى، ترانا نعاني أحيانا من مشكلة تحديد معاني عدد من المفاهيم والمصطلحات العلمية، وتحديد الوافد منها، في إطار العلوم الإنسانية، فاللغة، أي لغة كانت، هي أساس التعامل الإنساني، وهي وسيلة للتعبير عن أوضاع وحالات وأفكار محددة، والمصطلح هو ألف باء العلم، كل علم، وأي علم كان^(١) ومن هنا تأتي أهمية تحديد مفهوم «خطاب».

وإن مصطلح خطاب، اسم مشتق من مادة (خ. ط. ب.)، وقع اعتماده من طرف الفكر النقدي العربي الحديث ليحمل دلالة المصطلح الغربي (Discourse).^(٢)

أما التحليل: ويعني لغة - الفتح - جاء في لسان العرب ((حل العقدة يجلها حلا فتحها ونقضها فانحلت))^(٣) أي فككها.

والتحليل مصطلح جامع يستدعي في ممارسته مصطلحات عديدة، بإجرائه عملية إسقاطية على ما يسمى الخطاب، إذ تسعى هذه العملية إلى تفكيك الخطاب المحبوك المتناسك (شكلا ودلالة)، المكتوب والمسموع إلى بنيات جزئية فاعلة ومتفاعلة داخلية، وخارجية، من أجل معرفة مختلف المرجعيات الخطابية (الأسس المعرفية والخلفية والأطر النظرية للخطاب)، التي أسهمت في تشكله بمعرفة مضامينه ومحتوياته وغاياته ومعايره وفضائه وبنياته وجنسه... إلخ، ليتحقق التحليل، الأمر الذي يجعل العملية غاية في التشابك والتعقيد، تتطلب من أجل التحكم فيها، معرفة موسوعية عميقة في التخصص ومعارف رافدة أخرى من جهة، والتحكم في ممارسة بعض المصطلحات التي يقودنا إليها التحليل - بوصفه مصطلحاً جامعاً - من جهة أخرى^(٤)، والغاية من تحليل الخطاب هي ((الوقوف على دلالات النص الأكثر عمقا، وإعطاء

النص القراءة الدلالية الأدق، غير أننا متأكدون مبدئياً من أن تلك القراءة لن تكون نهائية، لأنها قراءة تجربنا إلى قراءات أخرى تتحكم فيها ظروف القراءة، لتقتحم النص في عمقه لتكشف دلالاته))^(٥).

المحور الثاني: مفهوم المرجعية العليا وخطبة الجمعة وأهميتها

أولاً- المرجعية العليا

المرجعية هي ((مفهوم إسلامي معناه رجوع المسلمين الشيعة إلى من بلغ رتبة الاجتهاد والأعلمية في استنباط الأحكام الشرعية، ومن أصبح مؤهلاً لمنصب الإفتاء وإصدار آرائه في الأحكام الفقهية في كتاب يسمى الرسالة العملية يعبر عنه بـ (المرجع الديني) أو (آية الله العظمى)، ويرجع المقلدين إلى المراجع لمعرفة الأحكام الفقهية، وقد يمتد نفوذ المراجع إلى التدخل في مسائل سياسية واجتماعية كما وقع ذلك مراراً في تاريخ المرجعية الشيعية، والمرجع هو طالب علوم دينية درس في الحوزات العلمية وقضى سنيناً في الدراسات العليا حتى حاز على رتبة الاجتهاد وأصبح مؤهلاً للإفتاء، ويستدل على مشروعية المرجعية بالدليل العقلي القاضي بأن يرجع الجاهل في الأمور التي لا يعلمها إلى المتخصص العالم بها)).^(٦)

ثانياً- خطبة الجمعة وأهميتها

خطبة الجمعة هي ((رسالة إعلامية ذات رؤية إسلامية تصاغ لمخاطبة الناس للتأثير فيهم بشكل إقناعي عاطفي وعقلي وسلوكي تنسجم مع الواقع المعاشي والظروف الزمانية والمكانية وتعد من وسائل الإصلاح الفردية والجماعية عن طريق تبليغ الدين ونشر الدعوة والإصلاح بين افراد المجتمع))^(٧)، وتكون ((شكل اتصالي يتضمن صياغة لغوية في نقل مضمون وأفكار ومعتقدات وآراء تتخذ أشكال مختلفة من النصوص والجملة والعبارات والتعابير والرموز والحركات تتفق واتجاه المرسل لغرض التأثير

المطلوب إحدائه لون المتلقي لغرض الإقناع الممكن في الموضوع المطروح من خلال اللفظ وموافقة الصوت وحركات الجسم)).^(٨)

-أهمية خطبة الجمعة

احتلت خطبة الجمعة مكانة مهمة في الفكر الإسلامي وخير دليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الجمعة: ٩)، فهذه إضاءة واضحة من الله سبحانه وتعالى على أهمية هذا اليوم؛ وهذه الخطبة ترتبط مباشرة بصلاة الجمعة فيقال: (لا صلاة جمعة بلا خطبة ولا جمعة بلا صلاة)، وبهذا الترابط القدسي أصبحت جزءاً من صلاة الجمعة لم يعرفها العرب قبل الإسلام^(٩)، كانت هذه الخطابة لأمر الحرب أو لأمر تتعلق بحياتهم، ونظراً لأهمية خطبة الجمعة ومكانتها في الإسلام فإنها تمثل عدة محاور منها^(١٠):

١- أنها وسيلة من وسائل نشر الدعوة العامة لمن يحضرها من المصلين بغض النظر عن العمر والمستوى الثقافي.

٢- أمر الشرع الإسلامي بالسعي إليها طبقاً لما ورد في الآية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.

٣- أنها شعيرة من شعائر الدين الإسلامي تشهدا للملائكة كما ورد وفي الحديث النبوي الشريف

((إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول...)).^(١١)

٤- الحضور فيه ذاتي وطوعي من دون أي دعوى موجهة.

المحور الثالث: آليات الخطاب للمرجعية الدينية العليا دراسة تطبيقية
تعدُّ الخطبة من أنواع الإعلام عرفها الإنسان منذ بداية خلقه وأصبحت

وسيلة للتواصل والتكيف مع متطلبات الحياة^(١٢)، ولعبت دوراً رئيساً في كلّ العصور وفي دور العبادة بصورة خاصة بوساطة إبلاغ ما يريده الخطيب إلى الجمهور من رسائل دينية ودينية، ولم يستطع الإنسان الاستغناء عنها، كما هو دور الإعلام في العصر الحالي إذ ازدادت الحاجة إليها وكبرت مؤسساتها وأصبحت الآلة التي بواسطتها تسوق الكلمة والصورة والتفاعل المباشر، وقد اعتمد الخطبة بشكل مباشر من قبل القادة والزعماء ورجال الدين في مجالات متعددة ليتم التواصل بين أفراد المجتمع وبين النخبة^(١٣)، وقد تنوعت وسائل الخطاب بين الشعوب في ظل تقدم وسائل الاتصال الحديثة، فاعتمد الخطاب الإعلامي المباشر الذي يشتمل على الخطاب السياسي والديني والمؤتمرات والمهرجانات والمناظرات والندوات العامة والخاصة^(١٤)، وبما أنّ خطبة الجمعة تعدُّ من أحدث أدوات الاتصال الجماهيري ولها عناصرها الأساسية المرسل والرسالة والمستقبل وقناة الاتصال والأثر في تكوين رسالة اتصالية مباشرة أو غير مباشرة وتكون مقروءة أو مرئية أو رمزية وقد تكون مركبة^(١٥)، ويقسم خطاب المرجعية الدينية العليا على عدّة أنواع مستمدة من عدّة روافد منها الرافد الديني والرافد الأدبي .

أولاً: الرافد الديني

يعدُّ الرافد الديني من أهم الروافد التي استقى منها الخطباء مادتهم، لاسيما القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، ولا يخفى على أحد ما للدين من أثر كبير في حياة الإنسان، فالموروث الديني ((هو كل ما يدخل في إطار الدين من مرجعيات دينية وما يتبعها من الأنساق الفكرية، وبما يعالج الروح الإنسانية، ويوثق صلتها بربها العظيم، وما يرتبط بمعايير العقيدة الإسلامية المتمثلة بالقرآن الكريم وقصصه وبالأحاديث النبوية الشريفة)).^(١٦)

١- القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب الله الذي أنزله على رسوله، وتحدى به العرب فأعجزهم على الرغم من كونهم أرباب البلاغة وفرسان الفصاحة، وقد بهرهم ما سمعوا من أسلوب القرآن وطرائق نظمه، فأصبح معجزة الرسول الأعظم ﷺ، وقد ترك أثراً كبيراً في حياة العرب الدينية والسياسية والاجتماعية والأدبية وغيرها، وقد دأب الخطباء والأدباء والشعراء على تضمين نصوصهم من آياته وألفاظه وتراكيبه بنصها أو بمعناها؛ لما يتركه ذلك من أثر كبير في نفوس السامعين، وقد زين هؤلاء كلامهم بآياته وأمثاله وصوره، وأفادوا منه في تصوير المشاهد وتقريبها إلى الأذهان وإعطائها صيغة التجدد والحيوية^(١٧)، ومن ذلك كلام السيد السيستاني في خطبة الجمعة ٦ رجب ١٤٢٦ هـ الموافق ١٢ آب ٢٠٠٥ م: ((أرجو أن تفكروا بهذا الأمر وهذا الاتجاه نحن نريد أن نسير إلى الأمام لا تراجع إلى الخلف مقاطعة الدستور والتصويت والانتخابات ماذا تعني؟ سوف تبقى فوضى ونزداد سوءاً، إكمال عملية الدستور يعني اعطاءكم فرصة جديدة فأرجو منكم أن تتقدموا للأمام ولا تراجعوا للخلف ليس فيها نتيجة لأن بقاء البلد في فوضى من يستفيد من بقاء البلد في فوضى وأنتم تعلمون قصدي وأسأل الله لي ولكم ولكل الشعب العراقي النصر والتأييد والتوفيق في الدنيا والآخرة تحت راية محمد وآل محمد بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ * إِنَّ شَأْنِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ صدق الله العلي العظيم))^(١٨)، يبدأ السيستاني بتوجيه الخطاب بالرجاء بدلالة الفعل المضارع بصيغة المتكلم (أرجو) من العراقيين بالتفكير في موضوع الانتخابات، وهو بذلك يريد بالعراقيين التقدم نحو الأمام والنهوض ببلدهم وانتشاله من واقعه الميرير جمعاً لا إفراداً بدلالة (نحن) لجمع المتكلم وحثهم على الانتخاب وعدم المقاطعة؛ لأنه (دام ظله) قد علم من قبل مقاطعة الشعب العراقي وموقفه حيال الواقع السياسي بدلالة الاستفهام (ماذا

تعني؟)؛ لأنه يعلم هذا الفعل يقود إلى الفوضى وزيادة الواقع العراقي سوءاً، فعملية إكمال الدستور وإخراجه بالصورة الصحيحة تُعدُّ بمثابة فرصة جديدة، وشروق شمس أخرى في سماء الواقع العراقي المظلم، ومن ثمَّ يكرر رجاءه بدلالة (أرجو) فجاء هذا التكرار بما في دلوه من أغراض ومقاصد دلالية وشكلية، إذ قد ((يلجأ المتكلم إلى تكرار الجملة قصداً لمعان يريدتها ويغيها من ذلك التكرار، هذه القصديّة تستند في جمالياتها إلى رد فعل المتلقي وقدرته على إدراك مزية هذا التكرار أينما وجد، كما أنّها تتكئ في مقصودها على نسج كلام المبدع؛ لأنه الموجه الأهم لهذا التكرار))^(١٩)، وكذلك يؤكّد سماحته على التقدم بدلالة (أن تتقدموا للأمام ولا تتراجعوا للخلف)؛ لأنَّ البقاء الوضع آنذاك على حاله يقود إلى الفوضى وعدم الوصول إلى نتيجة مرضية، وذلك ينعكس سلبيّاً على العراقيين فهم المتضرر الأول والأخير؛ لأنَّ الطبقة السياسية بمعزل ومنأى عن ذلك بدلالة قوله (أنتم تعلمون قصدي)، ومن ثمَّ يخطم خطبته بالدعاء لشخصه الكريم ولكلِّ أبناء الشعب العراقي بالتوفيق في الدنيا والآخرة وبنصِّ من القرآن الكريم، فالسيد السيستاني (دام ظله) في هذا الموضوع يدافع عن قضية وطن ومصير أمة فيريد أن يكون لخطابه أثر في نفوس العراقيين الذين وجّه إليهم خطابه؛ لذا نجده لجأ إلى النصِّ القرآني في ختام خطابه؛ ليزيد كلامه قوّة وثباتاً وتأثيراً في نفوس السامعين، وتوظيف السيد (دام ظله) لهذه الآية المباركة؛ لما لها من ارتباط فدلالة الآية من دفاع الله (عزّ وجل) عن نبيه ﷺ، ثم يكون كل ما تأمر به السورة هو نهاية ما تطمح إليه النفوس، من دوام التعلق بالخالق، وإيصال النفع للمخلوق، والسكينة القلبية والنفسية التي تصل إليها البشرية؛ إنَّ صَبَغَتْ حياتها بحبِّ الله وطاعته والأنس به، ثم زَيَّنَتْ وجودها بالأخوّة والتعاون والنصرة.

ومن خطبة له (دام ظله) في يوم الجمعة ١٣ ذي القعدة ١٤٢٦ هـ، الموافق

١٦ كانون الأول ٢٠٠٥ م قوله : ((عانت شعوب هذه الحكومات الكثير بسبب ذلك فما كان من مراجعنا العظام إلا أن يقفوا في وجه تلك الحكومات وينكروا عليها سياساتها الجائرة وانحرافها عن خط الإسلام وقد عانى علماؤنا الأعلام بسبب منهجهم هذا المستندين فيه إلى تعاليم أئمة أهل البيت الكثير من الظلم والقتل والتشريد فأعدم الكثير منهم وزج الآلاف منهم في السجون وشرد الآلاف منهم إلى خارج بلدانهم، ولا أريد أن أطيل عليكم في التاريخ الجهادي والتضحوي لقادتنا ومراجعنا العظام، من كل ذلك يتضح للجميع حقيقة الدور الوطني والجهادي للمرجعيات الدينية عبر تاريخها الطويل . وبهذه المناسبة فنحن نطالب الحكومة العراقية الموقرة بمقاضاة تلك القناة الفضائية وأولئك الأشخاص الذين تجرأوا على مقام المرجعية الدينية العليا وانتهكوا حرمة رموز هذا الشعب الدينية والوطنية بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ وَيَلُّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يُحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُبَدِّلَنَ فِي الْخُطْمَةِ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾^(٢٠)، نلاحظ أن السيد السيستاني (دام ظله) أراد أن يذكر العراقيين بما عانتهم هذه الشعوب من الأذى والظلم في ظل الحكومات الظالمة، وقد بين دور المراجع العظام ووقوفهم بوجه سياستهم الجائرة؛ بسبب انحرافها وابتعادهم عن خط الإسلام الحنيف، مما أدى إلى قتل بعضهم وزج الآخرين في السجن وتهجير بعضهم الآخر؛ ولأسباب شتى تقف في مقدمتها الأسباب السياسية فالمكوث الذي دفع الثمن الأكبر هم المراجع العظام؛ لامثالهم واستنادهم إلى منهج الدين الإسلامي ومنهج أهل البيت (عليهم السلام)، فأراد المرجع الأعلى (دام ظله) في خطبته هذه أن يبين دور الجهادي والتضحوي للمراجع عبر العصور المتقدمة حتى تتضح للمتلقي الصورة؛ لأن المنهج الذي انتهجته الحكومات السياسية

أنداك هو تغييب دور المراجع الدينية شخصاً وأداءً خشية الانقلاب عليهم وفضح سياساتهم الظالمة، فانتهجوا هذه الطرق والأفعال المشينة للحفاظ على مراكزهم، وما يزال البعض لم يكف لسانه من التناول على المراجع الدينية وبالأخص بعد عام ٢٠٠٣م، إذ أسهمت مواقع التواصل الاجتماعي والقنوات الفضائية المدفوعة في تبني هذه الأفعال والأقوال للانتقاص من شخص المرجعية؛ وأن هدفهم من ذلك واضح وهو تفكيك وحدة الشعب بتغييب دور مراجعهم الكلي، وجعل القول والفعل للدولة السياسية الحاكمة، وبهذا يحصل الفصل بين الدين والسياسة وما يتيح تنفيذ رغباتهم ضد أبناء الشعب الواحد، وبهذه الخطبة يطالب السيد السيستاني (دام ظله) بمقاضاة من تجرأ عليه وانتهك حرمة؛ بوصفه رمزاً دينياً ووطنياً للحد من هذه الأفعال، وإبطال غاية ورغبات منفيها، وقد تمثل الحضور القرآني في كلامه (دام ظله) بسورة الهمزة المباركة متوافقاً مع مقصده، فأن الهمز لكل من يستهزئ بالآخرين، ويعيبهم، ويغتائبهم، ويطعن بهم، بلسانه وحركاته ويديه، وعينه وحاجبه، وهذا التصرف يعدُّ بعيداً عن غاية الإسلام ومنهجه؛ لكون الإسلام ينظر إلى شخصية الإنسان وكرامته باحترام بالغ، ويعدُّ أي عمل يؤدي إلى إهانة الآخرين ذنباً كبيراً، وورد عن النبي ﷺ أنه قال: ((أذل الناس من أهان الناس))^(٢١)، ويبدو هنا أن الحضور القرآني في الخطبة أعطى للنص سلطته الحجاجية المستمدة من المعين القرآني الثر الذي يحث على عدم التناول واغتياي الآخرين؛ لكون هذه الأفعال بعيدة عن المنهج الإسلامي الحنيف، وكما أنها تنشأ غالباً من كبر وغرور ناشئين بدورهما من تراكم الثروة لدى مثل هؤلاء الأفراد.

ومن خطبة له في الجمعة ٨ شوال ١٤٢٦هـ الموافق ١١ تشرين الثاني ٢٠٠٥م قوله: ((...اتضح الآن حقيقة هذه الفرقة التي لا تمت إلى الإسلام

بصلة، بل إلى الإنسانية بصلة حينما نرى نتاجها من التنظيمات التكفيرية كيف تعيث في الأرض فسادا بقتلها وذبحها للأبرياء من الرجال والنساء والأطفال وتمثيلها بجثتهم، وكانت هذه الفرقة تدعي زوراً وبهتاناً منافاة بناء القبور وزيارتها للتوحيد الإلهي وهاهي نراها لا تتورع عن سفك الدم الحرام وانتهاك الأعراض والاعتداء على الأموال لجميع الشعوب إلا من يكون داخلاً في ضلالتها وعيها وحتى هؤلاء الذين انخرطوا في صفوفهم إذا ما اكتشفوا إجرامهم وانحرفهم فإن مصيرهم هو التصفية الجسدية، وفي هذه الأيام قد كشرت هذه التنظيمات المنحرفة عن أنياب الشر والجريمة حينما أخذت باترتكاب المجازر والمذابح ضد أتباع أهل البيت (عليهم السلام) ولقد أعلنوها صراحة هذه الحرب الظالمة، والمطلوب منا أيها الأخوة هو الصمود والصبر والمعالجة لهذه الأزمة بحكمة بحيث يخرج هذا البلد موحدًا متآلفًا فإن الظفر والنصر لكم؛ لأن مولانا هو الله تعالى ومولاهم هو الشيطان وقدوتنا وقادتنا هم محمد (صلى الله عليه وآله) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وصاحب العصر والزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وقدوتهم وقادتهم هم أبو سفيان وهند ومعوية ويزيد مروان، وديننا هو الورع عن محارم الله تعالى ودينهم هو سفك الدم الحرام والذبح والتمثيل بجثث عباد الله تعالى الذين نهى عن المثلة ولو بالكلب العقور، وفي الختام فإن أملنا معقود على ثقتكم بالله تعالى وتوكلكم عليه والصبر على ما أصابكم فإن النصر في الدارين هو لكم لا لأتباع الشيطان والشر، وأملنا بالمسلمين المنصفين أن يمارسوا كل ما يمكن من الضغط والمطالبة لإعادة صروح قادة الهدى والتقوى في أرض البقيع. نسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدينا إلى ما فيه عزتنا وسؤددنا وظفرنا إنه سميع مجيب.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ صدق الله

العلي العظيم))^(٢٢)، أفلح المرجع الأعلى (دام ظلّه) في بيان نوايا الأعداء التي لا تمت إلى الإسلام الحنيف بصلة، فهذه التنظيمات التكفيرية تعيث في الأرض فساداً، إذ أقدمت على قتل الأبرياء من الناس من الرجال والنساء والأطفال التمثيل بأجسادهم، بينما حرّم الإسلام التمثيل بالقتيل، وقد ورد عن النبي محمد ﷺ أنه قال: ((إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور!))^(٢٣)، فالمرجع الأعلى يبيّن أفعالهم المشينة بحق الأبرياء، هم الذين يدعون بأقوالهم بهتاناً وزوراً نفي بناء القبور، إذ يرونها تتعارض مع توحيد الله (عزّ وجل) ما يزالون يارسون القتل بحق الناس ويسفكون دمائهم وينتهكون أعراضهم ويعتدون على أنفسهم وأموالهم ولا يسلم منهم إلا من كان في زميرهم وفي طريقهم المظلم وما إن اختلفوا معهم ساقوهم القتل لتصفيتهم، خشية فضحهم وكشف جرائمهم أمام العدالة، وقد طالت أيادهم القاتلة إلى أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وهذا ليس غريباً على تلك الفئة التي تبطن الحقد الدفين لمحمد وأهل بيته (عليهم الصلاة والسلام)، فأظهرته بقتل أتباعهم من دون شريعة أو ذنب، وتوصينا المرجعية العليا في هذه الخطبة المباركة بالصبر والصمود والمعالجة لهذه الأزمة التي ابتليت بها الأمة بحكمة؛ كي لا تتخذ الأمور منحى آخر ومن ثمّ ينعكس هذا الأمر سلبيًا على البلد، يؤكد -دام ظلّه- على الظفر والنصر لهذه الفئة المظلومة بدلالة (فإنّ الظفر والنصر لكم)، ومن ثمّ يؤدّي النصّ الخطابي وظيفته القائمة على عرض الأصول التي يتّمسك إليها كلّ من الطرفين ومن ثمّ يكشف عن ثلاثية ضديّة -إن صح الوصف- تمثّلت في صور ثلاث:

الأولى: عقائديّة، تمثّلت في انتمائنا إلى الله (عزّ وجل) وانتماء الطرف الآخر إلى الشيطان.

الثانية: شخصيّة، تمثّلت في الشخصوس الذين انتمى لهما طرفا النزاع القائم

في حال الخطاب، فالخطاب يعرض لنا قائمة بالأسماء التي يكفي إن ذكرت أن يتمثل الذهن العربي الحاضر في ثنيات تلك الوقائع مرجعيات كل اسم، وبعبارة أخرى شكلت الأسماء علامات تشير إلى كمّ اختزالي لا يسعه المسرد التفصيلي بذكر ما يخترنه من مداليل، فكانت الأسماء بمثابة التعريفات التي بموجبها يتم الفرز والتصنيف في الموقف، وهنا يفلح الخطاب في تقشير اللحاء الذي يتلبّد على الذهنية الجمعية للمجتمع الإسلامي، وذلك بحقنه جرعة من المحفزات الحجاجية التي تعزز مكانة المحاجج بين متلقيه.

الثالثة: دينية: بكون الإسلام دين الورع الذي ينهى عن الاعتداء على الأنفس البريئة على العكس من الطرف الآخر الذي يدين سفك الدماء والذبح والتمثيل بأجساد القتلى هو ما نهى عنه الدين الإسلامي. لتأتي الألفاظ الختامية التي نلاحظ فيها الصفات الإيجابية تتضافر في سياق واحد، وهو الأمل الذي يعقده المرجع بهذه الثلة المضطهدة والثقة بالله تعالى من جانبهم والصبر على ما أصابهم؛ لأنّ الخطيب يعلم أنّ نهاية هذا الصبر النصر في الدارين لهم لا للقتلة وأهل الشر، ثمّ يودع أمله في الآخرين من المسلمين الذين لهم السلطة بالضغط والمطالبة في تشييد صروح أهل البيت (عليهم السلام) تعرّضوا للظلم بهدم قببهم زورًا وهتانًا، لنلاحظ أنّ الخطبة متناسقة ومتناسبة مع الحدث ألا وهو هدم بقية الغرقد من (٨ سؤال)، ليأتي النص القرآني متوائماً مع ما أوصت به المرجعية الرشيدة وما أكّدت عليه من النصر لهذه الفئة، والذي يتمثل بظهور الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وقيام دولته العادلة التي ينتهي بها الظلم والعناء.

ولم تتعد خطبته (دام ظله) التي ألقاها الشيخ عبد المهدي الكربلائي في الجمعة ٢٢ شوال ١٤٢٦ هـ، الموافق ٢٥ تشرين الثاني ٢٠٠٥ م، عن هذا المضمون إذ قال: ((هناك أيضاً نقطة مهمة نرجو أن يلتفت إليها البعض ويدرك المعنى وأن كنت

سأجمله سأعطي عنواناً عاماً كما أن من المهم أن يقدم المواطن مصالح بلده العليا على بعض نظراته السلبية تجاه القائمة التي يرى أهل القائمة والرشد أنها الأفضل من غيرها أو الأقل محذورا فإن في ذلك حفظاً لمصلحته المستقبلية ومصالح بلده وشعبه. نسأل الله تعالى أن يوفقنا لحسن الاختيار وأن نتخذ من المؤمنين الذين هم جزء منا أولياء وأن لا نعطي الفرصة لأعدائنا ومبغضي أهل البيت ع والذين لا يريدون ولا يبتغون إلا الشر لهذا البلد وشعبه التحكم فينا إنه سميع مجيب. بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا *﴾ ، صدق الله العلي العظيم.))^(٢٤)، إن من يدقق النظر في هذه الخطبة المباركة يلحظ أن المرجع الأعلى (دام ظله) وفي هذا الجزء تحديداً بين ضرورة تقديم المصالح العامة للبلد على بعض النظرات السلبية التي يحملها أكثر أبناء الشعب العراقي ؛ وذلك بسبب الأوضاع التي كانوا يعيشونها آنذاك من القتل، والطائفية، والانفجرات، والصراعات السياسية، وغيرها، ويحثهم على الاختيار الدقيق للشخصيات التي يراها أهل الرشد هي الأفضل والمناسبة لقيادة البلد مستقبلاً من أجل بنائه وقيادته نحو الأمام، وأن لا يتركوا فرصة سانحة للأعداء من النيل منهم والقضاء عليهم؛ لأن النصر حتماً سيكون بالاختيار الموفق والسديد لمن هو أهل لهذه الأمانة لانتشال العراق من واقعه المريع، فجاء النص القرآني متوافقاً مع مقصد المرجعية الدينية العليا من أن النصر معقودٌ ومرتبٌ باختيار الشعب العراقي وإقدامه على صناديق الاقتراع.

٢- الحديث النبوي الشريف

الحديث النبوي نص ديني، يتضمن دقة التعبير، وجودة السبك، وروعة التصوير فلا يرتفع فوقه في مجال الأدب الرفيع إلا كتاب الله بلاغة، وفصاحة وتأثيراً إذ ((لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أقصر لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنى ولا أبين

في فحوى من كلامه كثيرا))^(٢٥)، والحديث النبوي كما هو معروف كلام الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إنما هو وحي يوحى إليه، وهو المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم، وهو أفصح من نطق بالضاد وقد وصل إلينا كم هائل من الأحاديث النبوية الشريفة من طريق الصحابة والتابعين، وأفاد منها الخطباء والشعراء والأدباء في خطبهم وأشعارهم ويعدُّ الالتزام بها واجباً شرعياً على المسلم^(٢٦)، ومن خطب الجمعة التي تضمّنت الحديث النبوي الشريف قول المرجعية الدينية العليا في خطبة الجمعة ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ الموافق ٢٩ نيسان ٢٠٠٥ م قوله: ((أيها الإخوة الذين تصديتم للمسؤولية اعلّموا إنّها هذه أمانة قد حملها الناس إليكم وأعلّموا أنّ الله تعالى رقيب عليكم وأعين الناس رقيب عليكم وضائركم إن كنتم مخلصين لهذا البلد رقيقة عليكم فأكثرُوا من المهمة والنشاط ودعوا الكسل والعجز والتعاس وغير ذلك وابدلوا تمام الجهد وتوكلوا على الله عز وجل فاعملوا ما دمتم مخلصين فإنّ الناس معكم يدا بيد إن وجدوا أنّ الانجازات تصب في مصلحتكم وفائدتهم فلا تعدوا هذه المناصب ونعيد ونكرر لا تعدوا هذه المناصب مغانم ليست مغانم بل مسؤولية، إن فلتتم من الحساب في الدنيا فكيف برب الأرباب عندما تقدمون إليه في الآخرة ((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))^(٢٧)، الآن أنتم رعاة لهذا الشعب ولهذا الأمة وستسألون عن كل كلمة وخطوة وحركة تنجزوها في هذا المضمار فاعلموا أنّ الأمر إنّما هو مسؤولية عظيمة تقتضي أن تكونوا أهلاً لها وأن تؤتوها حقها))^(٢٨)، ابتدأت المرجعية العليا خطابها بنداء مباشر لهؤلاء القوم الذين تسنّموا مقاليد السياسة بدلالة (يا أيها الأخوة)، يذكّرهم بالأمانة التي سلّمها الشعب العراقي إليهم وأنه - دام ظلّه - يلفت انتباههم إلى أن الله سبحانه وتعالى رقيب عليهم وأعين الناس والضائير، ما كانوا مخلصين في عملهم لصيانة البلد وحفظه من الضياع وعدم قيادته إلى التهلكة، وأن يعملوا بهمة وإخلاص بعيداً عن التكاسل والتعاس، وأن يبذلوا قصارى جهدهم ويتوكلوا

على الله سبحانه وتعالى فالشعب العراقي معهم يداً بيد ولن يتركهم شريطة عدم العمل للمصلحة الشخصية وتفضيلها وتقديمها على المصلحة العامة؛ لكونها أمانة وليست مكسباً أو مغنماً لتحقيقها غاياتهم بل مسؤولية كبيرة، إن قصر أصحابها مع الشعب وفرّوا من الحساب والعقاب في الدنيا فكيف يفرّوا في الآخرة من عقاب الله سبحانه وتعالى، وقد جاء الحديث النبوي متناسقاً ومنسجماً مع المضمون الذي تريد المرجعية الدينية العليا إيصاله إلى الطبقة السياسية الحاكمة بأن هذه المناصب مسؤولية وأمانة وعليهم أن يصونوا هذه الأمانة، فالراعي هو الحافظ المؤمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه وديناه، وقد أكدت المرجعية الدينية العليا ذلك بدلالة (الآن) إشارة إلى تسلمهم تلك المسؤولية الكبيرة وهم من تلك اللحظة مسؤولون ومحاسبون عن كل تقصير، فعليهم أن يكونوا أهلاً لتلك المسؤولية.

٣- الرافد الأدبي

شكل الموروث الأدبي رافداً مهماً ومرجعاً غنياً للخطباء على مدى عصورهم المختلفة لما تضمنه من تقاليد وأعراف وأيام بوصفه أثراً خالداً ومتجدداً في نتاجهم الأدبي، فكان أداة من أدوات ابداعهم وتميزهم، وحقلاً خصباً ينهل منه الخطيب ليعث الحياة في خطابه نحو دوال ومقاصد تكسب الخطاب طاقات حجاجية تدعم طروحات الخطيب^(٢٩)، ولهذا أجمع النقاد والدارسون على أهمية هذا المصدر في إغناء الجانب الثري في الأدب العربي؛ لاحتوائه على تجارب فنية عدة خضعت بطبيعة زمانها ومكانها لمجموعة من عوامل التشكيل والتحويل^(٣٠)؛ إذ أضحت خطبة التضمين مع المرجع الأدبي داعمة رشيقة للفكرة الحجاجية التي يقوم عليها الخطاب، ومن خطب الجمعة التي تضمنت المرجع الأدبي قوله - دام ظله - في خطبة الجمعة ١١ شعبان

١٤٢٦ هـ الموافق ١٦ أيلول ٢٠٠٥ م قوله: ((وأود هنا أن أوجه خطابي إلى أبناء الشعب الجريح المظلوم وأود أن أقول إن ردكم على هؤلاء الإرهابيين الجبناء أحفاد يزيد الأعداء هو المزيد من التلاحم وحرص الصفوف وترك الخلافات البسيطة جانباً وعدم الاستسلام لهؤلاء المجرمين الذين يريدون منا أن نستسلم لمنهجهم ونعيش أذلاء عبيداً خاضعين لجبروتهم وطغيانهم ولكن ليعلم هؤلاء أننا سوف لن تركع ولن نخضع لهم ولا لأسيادهم، هذا الزرقاوي لا تدري هل هو شخصية حقيقية أم وهمية، وإذا كانت شخصية حقيقية فمن الذي يوجهها ويساندها؟ هناك الكثير من الخفاء في هذه الشخصية أو في هذا المسلسل الدامي الذي يجري في العراق، نقول ليعلم هؤلاء أننا لن نركع ولن نخضع وأنا على استعداد لبذل المزيد من التضحيات والدماء الغالية لأن دماء روح الثورة الحسينية تعيش في قلوبنا وأرواحنا وشعارنا الدائم في الحياة كما رده أبو عبد الله الحسين عليه السلام وسيبقى هذا الشعار حيّاً ليس في قلوبنا فقط بل نترجمه إلى تضحيات حقيقية، هذا الشعار هيهات منا الخضوع هيهات منا الذلة))^(٣١)، من خلال استقراء الخطبة المباركة نلاحظ أن المرجعية الدينية العليا توجه خطابها إلى فئة معينة وهي الشعب العراقي بدلالة (أبناء الشعب العراقي) ويتبعها بصفتي (المظلوم، الجريح)، لما كان يعانيه الشعب آنذاك من الأذى والظلم، وقد عدت المرجعية العليا رد أبناء الشعب العراقي على تلك الفئة المتمردة الإرهابية التي وصفتها المرجعية بأحفاد يزيد الأعداء الذين ما يزالون يعيشون في الأرض فساداً وهو مزيد من رصف الصفوف والوحدة والتلاحم والقوة التي يجب على الشعب العراقي أن يتسم بها على الرغم مما يمرُّ به من الأذى، وكذلك وصيتها بترك الخلافات البسيطة جانباً؛ لأنّها تدرك أنّ مثل هذه الفجوات البسيطة وانشغال الشعب بها سترك فرصة للأعداء للتمكن من السيطرة على الشعب العراقي لتنفيذ رغباتها؛ بل يجب صد هذه

الزمر وعدم الاستسلام لها، لأنهم يريدون الاستسلام لهذه الفئة المظلومة وأن يجعلوها أمة مستعبدة تنساق وراء أقوالهم وأفعالهم، إلا أن المرجعية قد بينت أن هذه الفئة الباغية لن تحقق مرادها بخضوع الشعب العراقي لها أو الركوع لها لا في الحاضر ولا المستقبل بدلالة أداة (لن) التي تفيد الاستقبال بعبارة (لن نخضع، لن نركع) لهم ولا لأسيادهم، ومن ثم أفصحت المرجعية عن تلك الشخصية المدعوة بـ(الزرقاوي) التي كانت أساس الطوفان الدموي الذي غرق به أبناء الشعب العراقي آنذاك، ولا يعلم أحداً إن كانت هذه الشخصية اللارحمائية حقيقية أم هي غطاء اتخذته الدول الأخرى لتنفيذ مبتغائها ضد أبناء البلد الجريح والانتقام منهم، وإن افترض وجودها الحقيقي من الذي يسيرها ويدعمها؟ فهذه جملة الاستفهامات التي أفصحت عنها المرجعية الدينية تنبئ عن الإبهام الذي كان يعيش فيه الشعب العراقي والخلط، ومن ثم يوجه الخطاب لتلك الفئة الباغية ليعلمها ويؤكد لها مرة أخرى بـ(أنا) بدلالة التأكيد بـ(أن) و(نا) المتكلمين التي لم تعبر عن لسان الخطيب فقط؛ وإنما عن الشعب العراقي أجمع بعدم الركوع والخضوع لهم، وأنهم على استعداد لبذل أرواحهم في سبيل وطنهم؛ لأن الثورة الحسينية ما تزال حيّة تسري في دمائهم وشعارهم هو شعار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء الذي ما يزال نبراساً لجميع الأحرار ألا وهو (هيهات منا الذلة) التي جاء ((مترابطاً ومنسجماً وسيقاق الخطاب، فظهر ذلك جزءاً من ثقافته اللغوية التي تؤكد تمكنه من زمام اللغة))^(٣٢)، وأن هذا الشعار الحيّ ليس هتافاً تردده الألسن بل ترجمته إلى توضيحات حقيقية ضد أبناء الظلم والجور في كل زمان ومكان.

ومن خطبه - دام ظلّه - للتأكيد على الاستشعار بمعاناة الفقراء قوله في خطبة الجمعة ٢٥ ذي الحجة ١٤٢٥ هـ الموافق ٤ شباط ٢٠٠٥ م: ((إننا نقرأ في عيون العراقيين في عيون الأطفال والعجزة والشباب نساء ورجالا على أنه

أما أن لهذا الشعب أن يستريح لمعاناته، إنه لا عذر بعد الآن. الإخوة الأعزاء الذين منحوا هذه الثقة لا بد أن يعلموا أن وراءهم شعباً كريماً، أن وراءهم شعباً معطاءً، أن وراءهم شعباً والشخص الذي رصيده الشعب يجب عليه أن لا يخاف، الشخص له واقعية، الشخص الذي له رقم حقيقي يجب أن لا يخشى أحداً، الشخص الذي يجلس على الكرسي ويعتقد أن الجماهير التي أجلسته على هذا الكرسي يجب دائماً أن يتذكر هذه الجماهير، يتذكر هذه المعاناة عليه أن يعيش حالة العدالة التي صورها علي عليه السلام «وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ بِالْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ»^(٣٣)، يجب عليه أن يستشعر بالمعاناة^(٣٤)، نلاحظ أن المرجعية العليا هي عين الشعب العراقي، فهي تنظر إليهم بعين العطف والرحمة وتستشعر بمعاناتهم ومرارة ما يعانونه في ظل تلك الظروف بمختلف فئاتهم كما صنفتهم (شباباً، رجالاً، وعجزة، ونساء)، ولم تعطِ العذر لأولئك الذين تسنموا مقاليد الحكم، فقد آن الوقت الذي يجب أن يتخلص فيه الشعب العراقي من معاناته وآلامه، فهو بهذا يوجّه خطابه للفئة الحاكمة ولا بدّ لهم أن يعلموا أن وراءهم شعباً معطاءً كريماً، وأن الشخص الحاكم عليه أن يستمد قوّته من الشعب العراقي فهو بجانبه، فهو من أجلس أولئك الحكام على كرسي السلطة وعليه أن لا ينسى هذه الفئة التي وضعت ثقته فيه، وعليه أن لا يتناسى معاناة الشعب ويعيش ما عاشه علي بن أبي طالب عليه السلام وقد جاء تضمين المرجعية العليا لكلام الإمام علي عليه السلام متناسباً مع المضمون والمقصد الذي يريد -دام ظله- إيصاله إلى المتلقي، والحال أنّه قد يكون بالحجاز أو اليمامة من لا يجد القرص أي الرغيف ولا طمع له في وجوده لشدة الفقر ولا يعرف الشعب، وهيهات أن يبيت مبطاناً أي ممتلئ البطن والحال أن حوله بطونا غرثى أي جائعة وأكبأداً حرى، وتؤكد على الاستشعار بمعاناة الآخرين.

ولم تتعد خطبته عن مضمون سابقتها من التأكيد على العدالة في خطبته في

٢٧ ذي القعدة ١٤٢٦ هـ الموافق ٣٠ كانون الأول ٢٠٠٥ م في قوله: ((إننا نعيش في هذه الأيام ولادة حكومة جديدة تنقسم فيها المناصب والأدوار بحسب الكفاءات وسعتها وحجمها ونأمل ممن وفق لهذه المناصب أن ينظروا إلى الناس الذين قدموا الكثير من التضحيات من أجل أن يرتقوا إلى هذه المناصب بعين اللطف والرحمة والمساواة والعدل والإنصاف وأن لا يستأثروا بقوم دون آخرين بل يكون ميزان العدالة والانصاف هو مرجعهم ورائدهم في عدم التمييز بين فرد وآخر وأن يجعلوا الله نصب أعينهم في كل صغيرة وكبيرة، وهنا نستعرض جانباً من عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لواليه على مصر وأعمالها مالك بن الحارث الأشتر النخعي، ليكون لنا أسوة وقدوة فقد جاء في كتابه إلى واليه مالك الأشتر: ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْطَرِّ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وِلَاةِ مِصْرَ جَبَايَةَ خَرَاஜِهَا وَجِهَادَ عَدُوِّهَا وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا أَمْرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِثَارَ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعَ مَا أَمَرَ بِهِ كِتَابَهُ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ الَّتِي لَا يَسْعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ ...))^(٣٥) هكذا كان علي يوجه العهد الطويل لمالك الأشتر وفيه من المواعظ والارشاد ما فيه، ولكن لضيق المقام اخترنا هذه المقطوعة وهذه الرائعة من روائع أهل البيت عليهم السلام، انظروا كيف يخاطب الإمام رعيته ومن قبلهم ولاة الأمر عليهم كان يلاحظ الأمور صغيرها وكبيرها ويتابعها بنفسه ولا يدع لأحد التدخل فيما لا يرضي الله سبحانه وتعالى، مر هكذا كان علي يوجه العهد الطويل لمالك الأشتر وفيه من المواعظ والارشاد ما فيه، ولكن لضيق المقام اخترنا هذه المقطوعة وهذه الرائعة من روائع أهل البيت انظروا كيف يخاطب الإمام لرعيته ومن قبلهم ولاة الأمر عليهم كان يلاحظ الأمور صغيرها وكبيرها ويتابعها بنفسه ولا يدع لأحد التدخل فيما لا يرضي الله سبحانه وتعالى...))^(٣٦)، لم يبتعد خطاب المرجعية الدينية العليا في هذا الموضوع عن سابقه من بيان تلك المرحلة التي كان يعيشها الشعب العراقي، الا وهي مرحلة تشكيل حكومة جديدة بدلالة (إننا نعيش في هذه الأيام ولادة حكومة

جديدة)، والتي تقسّم فيها المناصب حسب الكفاءات والخبرات، وأنّ المرجعية قد وضعت أملها في الذين وقّوا لقيادة البلد الجريح وانتشاله من واقعه المرير، إذ يجب عليهم أن ينظروا لأبناء شعبهم بعين الرّحمة والعطف واللطف، وأنّ الأهم من ذلك أن ينصفوهم وأن لا ينقادوا وراء الآخرين ويتأثرون بهم، لأنّ هذه أمانة قد سلّمها الشعب إليهم وعليهم أن يصونوا الأمانة ويجعلوا الله نصب أعينهم وقد ضمنت المرجعية الرشيدة جانباً من عهد الإمام علي عليه السلام إلى عامله مالك الأشر، لتبين لمن تولّوا السلطة الجانب المشرق من حكومة الإمام علي عليه السلام العادلة؛ ليتخذوا منه قدوة ويجذوا حذوه في معاملة الرعية وفي الانصاف والعدل واللين ويعملوا بما يرضي الله تعالى، فجاء تضمين المرجعية الرشيدة لهذه المقطوعة التي وصفتها ب(هذه المقطوعة وهذه الرائعة من روائع أهل البيت) متناسقاً ومتوائماً مع الحدث الجديد الذي يمرُّ به البلد من تشكيل الحكومة فأرادت المرجعية الرشيدة بيان الخط العلويّ الصحيح ليسيروا عليه ويتخذوا من عدالته وانصافه نهجاً لقيادة الأمة.

الخاتمة

توصّلتُ من سعة فضل الله تعالى ومنه عليّ إلى ثمرات عدّة في دراسة
خطب السياسة للمرجعيّة الدنيّة العُليا دراسة في ضوء تحليل الخطاب
ويمكن إنجازها على النحو الآتي:

١- كشف البحث أنّ خطاب المرجعيّة الدنيّة العُليا كان موجّهاً تارة إلى
أبناء الشعب العراقي ومؤازرتهم والوقوف معهم في تلك المرحلة الصعبة
التي كانوا يمرّون بها، وتارةً إلى السلطة الحاكمة التي تسنمت قيادة الشعب
وتذكرها بهذه المسؤولية الكبيرة التي أقيمت على عاقبها.

٢- كان الهدف من هذه الخطب هو إصلاح شأن العراق بعد ما انتشر
فيها الطغيان والظلم، فالإصلاح غايتها وهدفها وهو ما أراد أن يعيه الشعب
العراقي والسعي إلى تحقيقه بالإصرار والعزيمة واللّحمة الوطنية والوقوف
بوجه الإرهاب والفئات الظالمة التي تريد النيل من البلد وأبنائه.

٣- بيّن البحث أنّ جميع الخطب السياسية قد تميّزت بالإسهاب والإحالة
مع زج الدلائل والبراهين التي تعضد ذلك.

٤- غلبت سمة الوضوح وقوة الإبلاغ على جميع الخطب السياسية بسط
الكلام وتعزيز مخرجاته بالحجج المتمثلة بالمرجعيّات التي اعتمدها المرجعية
الدنيّة العُليا ووظيفتها في مفاصل خطابها والتي تمثّلت بالقرآن الكريم،
والحديث النبوي الشريف، وحث المقابل على الالتزام بها وتطبيقها.

٥- غلب الرافد الديني والمتمثل بالقرآن الكريم في جميع الخطب التي هي

محور الدراسة.

الهوامش

- ١- حول وضع العلوم الإنسانية ومشكلاتها من منظور استيمولوجي، يوسف بريك، مجلّة جامعة دمشق، العدد ٤، ١٩٩٩م، ١٠٦.
- ٢- تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، د. عبد القادر شرشار، الناشر: اتحاد كتاب العرب، ٢٠٠٦م، ٨٤.
- ٣- لسان العرب، جمال الدين بن منظور، الناشر: دار صادر، ط ١، ١٩٩٠م، مادة (خطب) ١٦٩/١١.
- ٤- خطب الإمام الحسين (عليه السلام) في وقعة الطف لأبي مخنف الأزدي (ت ١٥٧هـ)، أ.د. حربي نعيم محمد الشبلي، م.م. غفران إقبال يوسف، مجلة العميد، العدد ٣٧، ٢٠٢١م، ٢٦.
- ٥- البلاغة وتحليل الخطاب، حسين خالفي، الناشر: دار الفارابي، ط ١، بيروت- لبنان، ٢٠٠١م، ٥٦.
- ٦- أعيان الشيعة، أبو محمد الباقر محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الأمين بن أبي الحسن موسى بن حيدر بن أحمد بن إبراهيم العاملي الحسيني المعروف بمحسن الأمين العاملي، تحقيق وتحرير: حسن الأمين، الناشر: دار المعارف للمطبوعات، (د.ط.)، بيروت- لبنان، (د.ت.)، ١٨/١٠١.
- ٧- مقاصد الجمعة وأثرها في توحيد الأمة، د. مسعود حميد، مجلّة الوعي، الإسلامي، العدد ٥١١، ٢٠١١م، ١٤.
- ٨- المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، د. علي عبد الحليم، القاهرة، د.ت، ٣١٢.
- ٩- الخطابة بين النظرية والتطبيق، محمد محمود عمارة، الناشر: الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٦م، ٧٧-٧٨.
- ١٠- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر الدمشقي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ١/٦٣-٦٤، دور الخطاب الديني في إصلاح قضايا المجتمع دراسة تحليلية لخطبة جمعة كربلاء إنموذجاً، م. حاتم بديوي عبيد الشمري، مجلة بابل للدراسات الإنسانية، العدد ١، ٢٠١٩م، ٣٩٥.
- ١١- مسند الحديث، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ١/١٣٢.
- ١٢- ينظر: مائة سؤال عن الإعلام والضمانة، طلعت همام، الناشر: مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، ١٩٨٥م، ٦٧.
- ١٣- ينظر: دور الخطاب الديني في إصلاح قضايا المجتمع دراسة تحليلية لخطبة كربلاء

إنموذجًا، ٢٠١٩م، ٣٨٥.

١٤- ينظر: خطبة الجمعة وسيلة الإعلام مهمة، حفيظ عبد الرحمن، مجلة المجتمع، العدد ٤٧، ٢٠٠٨م، ٩٨.

١٥- ينظر: خطبة الجمعة بين الخطاب الديني وقضايا المجتمع، عزيز الكايد،

<https://archive.alsharekh.org/AuthorArticles/34483>

١٦- المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين والموحدين، د. جمعة حسين يوسف الجبوري، الناشر: دار صفاء للنشر والتوزيع، ط ١، الأردن- عمان، ٢٠١٢م، ٣٩.

١٧- ينظر: التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية، هادي سعدون هنون، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٨م، ١٨، والخطاب الحسيني في معركة الطف دراسة لغوية وتحليل، د. عبد الكاظم محسن الياسري، الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ط ١، ٢٠٠٩م، ٢٨-٢٩.

١٨- خطب الجمعة توثيق وتحقيق، قسم الموسوعات والمعجمات، تحقيق: م.م. ياسين خضير عبيس، حسين فاضل عيسى، عباس صباح مرشد، الناشر: العتبة العباسية المقدسة، ١٤٢٦هـ - ٢٠١٦م، ٣/ ٩٤-٥٩.

١٩- تلوينات التكرار في الجملة القرآنية، د. أسامة عبد العزيز جاب الله، كلية الآداب - جامعة كفر الشيخ، مصر، د.ت، ١.

٢٠- خطب الجمعة توثيق وتحقيق، قسم الموسوعات والمعجمات، ٣/ ٣٦٥-٣٦٦

٢١- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: محمد الباقر البهودي، الناشر: مؤسسة الوفاء، ط ٢، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ، ٧٥/ ١٤٢.

٢٢- خطب الجمعة توثيق وتحقيق، قسم الموسوعات والمعجمات، ٣/ ٢٩١.

٢٣- جامع أحاديث الشيعة، حسين الطباطبائي البروجردي، الناشر: مؤسسة الواصف، د.ت، ٢٦/ ٢٣٠.

٢٤- خطب الجمعة توثيق وتحقيق، قسم الموسوعات والمعجمات، ٣/ ٢٩١

٢٥- البيان والتبين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ت، ٢/ ٤١٨.

٢٦- ينظر: خطب الإمام الحسين عليه السلام في وقعة الطف لأبي مخنف الأزدي (ت ١٥٧هـ)، أ.د. حربي نعيم محمد الشبلي، م.م. غفران إقبال يوسف، ٣٢.

٢٧- خطب الجمعة توثيق وتحقيق، قسم الموسوعات والمعجمات، ٢/ ٢١٤.

٢٨- جامع الأخبار، محمد بن محمد الشعيري، الناشر: المطبعة الحيدرية، د.ط، د.ت، ١١٩.

٢٩-التناص الحجاجي في خطب عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، أمل عبد الرحيم جمعة، اطروحة دكتوراه، كلية التربية للعلوم الإسلامية، جامعة كربلاء، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م، ٥٧.

٣٠- ينظر: التناص الحجاجي في الشر العربي المعاصر، أحمد العواضي أنموذجًا، عصام حفظ الله حسين واصل، الناشر: دار غيداء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١م، ١١٩.

٣١- خطب الجمعة توثيق وتحقيق، قسم الموسوعات والمعجمات، ٣/ ١٨٠.

٣٢-التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة إلى المدينة، هادي سعدون هنون، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١١م، ١٧٨.

٣٣- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الكتاب العربي، ط١، بغداد، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ١٦/ ٢٨٦.

٣٤- خطب الجمعة توثيق وتحقيق، قسم الموسوعات والمعجمات، ٢/ ٦٩.

٣٥- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ١٧/ ٣١-٣٥.

٣٦- خطب الجمعة توثيق وتحقيق، قسم الموسوعات والمعجمات، ٣/ ٣٨٩-٣٩٠.

المصادر والمراجع

- المصادر والمراجع
- القرآن الكريم
أولاً: الكتب المطبوعة
- * أعيان الشيعة، أبو محمد الباقر محسن ابن عبد الكريم بن علي ابن محمد الأمين بن أبي الحسن موسى بن حيدر بن أحمد ان إبراهيم العاملي الحسيني المعروف بمحسن الأمين العاملي، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، الناشر: دار المعارف للطبوعات، (د.ط)، بيروت-لبنان، (د.ت).
- * بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: محمد الباقر البهودي، الناشر: مؤسسة الوفاء، ط ٢، بيروت- لبنان، ١٤٠٣ هـ .
- * البلاغة وتحليل الخطاب، حسين خالفي، الناشر: دار الفارابي، ط ١، بيروت- لبنان، ٢٠٠١ م.
- * البيان والتبين، عمرو بن بحر بن محبوب الكنافي الليثي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ت.
- * تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، د. عبد القادر شرشار، الناشر: اتحاد كتاب العرب، ٢٠٠٦ م.
- * التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة إلى المدينة، هادي سعدون هنون، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١١ م.
- * تلوينات التكرار في الجملة القرآنية، د. أسامة عبد العزيز جاب الله، كلية الآداب - جامعة كفر الشيخ، مصر، د.ت.
- * التناص الحجاجي في الشر العربي
- المعاصر، أحمد العواضي أنموذجاً، عصام حفظ الله حسين واصل، الناشر: دار غيداء للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١١ م.
- * جامع أحاديث الشيعة، حسين الطباطبائي البروجردي، الناشر: مؤسسة الواصف، د.ت.
- * جامع الأخبار، محمد بن محمد الشعيري، الناشر: المطبعة الحيدرية، د.ط، د.ت.
- * الخطاب الحسيني في معركة الطف دراسة لغوية وتحليل، د. عبد الكاظم محسن الياسري، الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ط ١، ٢٠٠٩ م.
- * الخطابة بين النظرية والتطبيق، محمد محمود عمارة، الناشر: الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٦ م.
- * خطب الجمعة توثيق وتحقيق، قسم الموسوعات والمعجمات، تحقيق: م. ياسين خضير عيسى، حسين فاضل عيسى، عباس صباح مرشد، الناشر: العتبة العباسية المقدسة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠١٦ م.
- * زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر الدمشقي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- * شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الكتاب العربي، ط ١، بغداد، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- * لسان العرب، جمال الدين بن منظور،

- الناشر: دار صادر، ط ١، ١٩٩٠ م.
- * مائة سؤال عن الإعلام، طلعت همام، الناشر: مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، ١٩٨٥ م.
- * المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، د. علي عبد الحليم، القاهرة، د. ت.
- * مسند الحديث، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- * المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين والموحدين، د. جمعة حسين يوسف الجبوري، الناشر: دار صفاء للنشر والتوزيع، ط ١، الأردن- عمان، ٢٠١٢ م.
- * ثانيا: الرسائل والأطاريح
- * التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية، هادي سعدون هنون، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٨ م.
- * التناص الحجاجي في خطب عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، أمل عبد الرحيم جمعة، اطروحة دكتوراه، كلية التربية للعلوم الإسلامية، جامعة كربلاء، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م.
- * ثالثا: المجلات
- * حول وضع العلوم الإنسانية ومشكلاتها من منظور ابستيمولوجي، يوسف بريك، مجلّة جامعة دمشق، العدد ٤، ١٩٩٩ م.
- * خطب الإمام الحسين عليه السلام في وقعة الطف لأبي مخنف الأزدي (ت ١٥٧ هـ)، أ. د. حربي نعيم محمد الشبلي، م. م. غفران إقبال يوسف، مجلة العميد، العدد ٣٧، ٢٠٢١ م.
- * خطبة الجمعة وسيلة الإعلام مهمة، حفيظ عبد الرحمن، مجلة المجتمع، العدد ٤٧، ٢٠٠٨ م.
- * دور الخطاب الديني في إصلاح قضايا المجتمع دراسة تحليلية لخطبة جمعة كربلاء إنموذجا، م. حاتم بديوي عبيد الشمري، مجلة بابل للدراسات الإنسانية، العدد ١، ٢٠١٩ م.
- * مقاصد الجمعة وأثرها في توحيد الأمة، د. مسعود حميد، مجلّة الوعي، الإسلامي، العدد ٥١١، ٢٠١١ م.
- * رابعا: المواقع الإلكترونية
- * خطبة الجمعة بين الخطاب الديني وقضايا المجتمع، عزيز الكايد، <https://archive.alsharekh.org/AutorArticles/34483>

